رسائل جامعية

٥

مفهوم العمل في الإسلام وأثره في التربية الإسلامية

دراسة ميدانية في مدارس المنطقة التعليمية بالشارقة

د. حميد ناصر الزري



منشورات دائرة الثقافة والإعلام . الشارقة ١٩٩٨

الشارقة عاصمة ثقافية للوطن العربي ٩٨

مفهوم العمل في الإسلام
وأثره في التربية الإسلامية

مفهوم العمل في الإسلام
وأثره في التربية الإسلامية

«دراسة ميدانية
في مدارس المنطقة التعليمية بالشارقة»

تأليف
الدكتور حميد ناصر الزري

منشورات دائرة الثقافة والإعلام - الشارقة - ا.ع.م
١٩٩٨

الطبعة الأولى ١٩٩٨م

منشورات دائرة الثقافة والإعلام

حكومة الشارقة

دولة الإمارات العربية المتحدة

٢١٩,٧	حميد ناصر الزري
ح ن. م	مفهوم العمل في الإسلام وأثره في التربية الإسلامية حميد ناصر الزري ـ الشارقة ـ الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ١٩٩٨
	٢٤٠ص: ٢٤سم. ـ (سلسلة رسائل جامعية: ٥)
	ـ دراسة ميدانية في مدارس المنطقة التعليمية بالشارقة.
	١ ـ العمل ٢ ـ حق العمل
	٣ ـ الإسلام والمجتمع ٤ ـ التربية الإسلامية
	أ ـ العنوان

تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة المركزية في الشارقة

اخراج: أمين زحير
غلاف: محمد باعشن

تقديم

يسعدني ويشرفني أن أقوم بتقديم هذا الكتاب والمعنون «بمفهوم العمل في الإسلام». ويكمن سر سعادتي في اعجابي بالموضوع الذي يتناوله الكتاب، وادراكي لحاجة المكتبة العربية والإسلامية له ولغيره من الكتب والمراجع التي تأخذ هذا المنحى.

فقد جاء هذا الكتاب بمثابة رد بليغ على ذوي الهوى والمشككين الذين يحاولون النيل من هذا الدين القيم منتهزين الفرصة تلو الأخرى للإساءة إليه رابطين بينه وبين التواكل متجاهلين الفروق اللفظية والمعنوية بين التوكل والتواكل، حيث جاءت موضوعات الكتاب متدفقة متسلسلة تغوص بسلامة وعمق بين أغوار الكثير من المصادر الإسلامية والعلمية، داحضة بالحجة والبرهان تلك الافتراءات، مرتكزة في ذلك على القرآن الكريم والحديث الشريف، موضحة مفهوم العمل في الإسلام وأهميته ومكانته، وحقوق العمل وواجباته كما حددها الإسلام، وموقف الإسلام من عمل المرأة وكذلك المجالات التي حددها الإسلام للعمل.. وكذلك تطور المهن والفنون مع التركيز على مهمة التعليم باعتبارها أساس الإجادة في كافة المهن. اضافة إلى عرض التغيرات التي حدثت في موقف المسلمين من العمل في القرن الوسيط سواء كان في مفهوم العمل أو في اتجاهاته وقيمه ومجاله.

ولعله في هذا الكتاب قد استطاع تقديم بيان عملي للدور الهام الذي لعبه الإسلام

في شحذ همم المسلمين تجاه العمل في كافة المجالات، وجعلهم يتقلدون مراتب القيادة ومواقع الريادة في المهن والفنون المختلفة في وقت مضى نحن في أشد الحاجة لعودته.

وعلى هذا فإن الموضوع الذي يعرضه الكتاب والذي حصل به المؤلف على درجة الدكتوراه من أكاديمية العلوم بأذربيجان، موضوع له خصوصيته وأهميته في حياة المجتمع المسلم وأفراده على السواء، حيث توافر له حسن البناء والاتساق والتوظيف الملائم للمصادر والمراجع التي استند عليها، اضافة إلى تحليلاته وتفسيراته المتعمقة والتي أضفى بها المزيد من العمق على ذلك الموضوع.

وانني في النهاية أتمنى للمؤلف كل نجاح وتقدير وأن يسير إلى الأمام في هذا المجال ملقياً الضوء على كثير من نواحيه الهامة وقضاياه الحيوية في أعمال مقبلة.

والله ولي التوفيق.

الأستاذ الدكتور/ رفيق يحيى عليوف

مقدمة

منذ أن شرفت الأرض بكلام الله تعالى يفيض على هذا الوجود ويتلقاه قلب النبي ﷺ ... ابتدأت الدعوة الكريمة بشموليتها لكل جوانب الحياة... وبمقدار الفعل الخطير ابتدأ التنزيل ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

إنها دائرة الوجود كله والخلق كله... والإنسان كله... إنها تسبيحة في هذا الوجود الفسيح... ولم تكن رسالة الإسلام موضعية محددة بل كانت للناس عامة... قال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾. وكل ما جاء من تعاليم هذا الدين الحنيف إنما قصد به حفظ الدين والنفس والعقل... يساير العقل ويجاري التطور، بل ويصلح لكل زمان ومكان .. فلم يترك شيئاً من أمور حياة الإنسان المدنية أو السياسية أو العقلية إلا تناولها ووضع لها نظاماً تمكن من خلاله المسلمون الأوائل من تحقيق التوازن الكامل في شخصية المسلم فوصلوا إلى الغاية التي ترمي إليها رسالة الإسلام من تزكية وتطهير للنفس عن طريق المعرفة بالله وعبادته وتدعيم الروابط الإنسانية واقامتها على أساس من الحب والرحمة والمساواة والعدل.. ولننظر



إلى قوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾. وقول المصطفى عليه الصلاة والسلام «أنا رحمة مهداة».

من جانب آخر، فإن الإسلام الذي ختم الله به الشرائع والرسالات السماوية أودع الله فيه عنصر الثبات والخلود وعنصر المرونة والتطور معاً... وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين وآية من آيات عمومه وصلاحيته لكل زمان ومكان. وبهذه المزية يستطيع المجتمع المسلم أن يعيش ويرتقي ثابتاً على أصوله وقيمه وغاياته، متطوراً في معارفه وأساليبه وأدواته، متخذاً من العمل وسيلته الأساسية في ذلك، حيث يوضح القرآن الكريم أن خير الإنسانية يكمن في العمل فيقول الله عز وجل ﴿وقل اعملوا﴾. والعمل هنا من تقوى الله ثم يقول عز وجل ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾. وهنا نقول إن اعتزاز الإنسان بالقرآن الكريم يترجم إلى حياة نابعة بالعمل.

وبنظرة شاملة لعقيدة الإسلام نجد أن العمل يمثل محورها الدائم بل جوهرها، وما من أمر حث عليه القرآن وجعله في أرفع درجة بميزان المسلم أعظم من العمل، فالعبادة عمل دائب شكلاً وموضوعاً، والعبادات كلها قائمة على العمل سعياً للوصول إلى مرضاة الله... فتلك هي الصلاة والصوم والزكاة والجهاد في سبيل الله كلها عمل يحتاج إلى صبر ومجاهدة للنفس... وبالتالي يرفع صاحبه إلى أرفع منزلة لدى فاطر السماء والأرض، ولعل أبلغ دليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

وكان النبي الكريم قدوة حسنة في ترجمة القول إلى عمل، فها هو يشارك في حفر الخندق بيده الشريفة مع المهاجرين والأنصار تأكيداً وتعزيزاً لمنزلة العمل في بناء الشخصية المسلمة... العمل الذي يضمن للمسلم حياة كريمة لا يحتاج فيها إلى غيره من الناس... وقد سئل النبي ﷺ عن أطيب الكسب فقال: «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور».

وقد تأصلت هذه الروح الكريمة في صحابة المصطفى ﷺ.. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدخل المسجد ليجد رجلاً لا عمل له فينهره ويحضه على العمل ويقول من يعولك؟ فيجيب إنه أخي فيقول الفاروق: أخوك أعبد منك.. وهذا كله تأكيد لقوله تعالى: ﴿فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ وقوله تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾.

وهكذا فإن العمل الذي دعا إليه الإسلام يشمل كل نواحي الحياة والمجتمع... وبهذا استطاع المسلمون أن يؤسسوا حضارة الإسلام التي عمت أرجاء الأرض ويتفوقوا على المجتمعات المحيطة بما فيها مجتمع اليهود القائم في قلب المدينة. وقد كان هذا التفوق في البناء الروحي والخلق الاجتماعي والتنظيمي بفضل المنهج القرآني قبل أن يكون تفوقاً اقتصادياً أو عسكرياً أو مادياً... كل ذلك بفضل العمل لإعلاء كلمة الله وتحقيق الخير والسلام لمجتمع المسلمين في أرجاء الأرض كافة.

لقد جاء الإسلام بعد عهود من الظلام عاشتها البشرية، ليمثل انقلاباً يشمل كافة مقومات وقيم وأنماط الحياة، حيث عمل على إعادة صياغة سلوك الإنسان بما يتناسب مع فطرته ويتفق مع انسانيته من خلال مبادئ وقيم وسلوكيات اصطلح على تسميتها بالتربية الإسلامية، وتهدف التربية الإسلامية إلى تنمية فكر الإنسان، وتنظيم سلوكه وعواطفه على أساس الدين الإسلامي من أجل تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة أي في كل مجالات الحياة.

وهناك العديد من الوسائط التي تضطلع بهذه العملية مثل الأسرة والمسجد والمدرسة والإعلام وغيرها، ولكن في أعقاب التغير الاجتماعي واهتزاز بناء ووظيفة بعض هذه المؤسسات أصبح للمدرسة دور طليعي في هذه التربية سواء من خلال المناهج الدراسية ذات الصلة أو من خلال ما يقوم به المعلمون من أداء وسلوك داخل المجتمع المدرسي.

وفي إطار تزايد أهمية دور المدرسة في عملية التربية الإسلامية، وتعاظم دور المعلمين، باعتبارهم المنوط بهم تحقيق ذلك وامتداد دورهم، فإن المؤلف من خلال هذا الكتاب يحاول التعرف على تأثير التربية الإسلامية التي حصل عليها هؤلاء المعلمون،

سواء في عمليات التنشئة الاجتماعية أو أثناء إعدادهم المهني ـ على كفاءة أدائهم المهني.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، فإنه لم يعتمد فقط على مسح التراث النظري المتعلق بذات الموضوع، بل تطرق إلى الواقع العملي من خلال دراسة ميدانية تكاملت خطوات منهجها العلمي، حيث اعتمدت إط ر المرونة واللياقة المنهجية على المنهج الوصفي التحليلي المقارن، متخيرا مدينة الشارقة بمدارسها المتعددة كمجال جغرافي، لخبرته بمجالها التعليمي وتكاملها، وإدراكه لخصائصها ومن أجل تكامل دقة نتائجه، فقد اعتمد على عينة عشوائية من جميع معلمي ومعلمات الشارقة، وكذلك جميع مديري ومديرات مدارسها، إضافة إلى عينة من الخبراء التربويين، وذلك لاستطلاع آرائهم في العديد من القضايا والمتغيرات المتعلقة بموضوع الدراسة، والتي حوتها الأدوات التي استخدمها لجمع البيانات، والتي تعدت الاستبيان لتشمل أيضا المقابلة شبه المقننة، معالجاً تلك البيانات معالجة إحصائية، ساعدت على تغليب الجانب العلمي التحليلي على النتائج التي حصل عليها من تلك الدراسة.

ونظراً لأهمية الموضوع وشمولية جوانبه وارتباطه بأهم المجالات والمؤسسات المجتمعية التي يعهد إليها بتربية النشء وإعداد أبناء المجتمع، فقد قرر المؤلف طرحه في كتاب، ليستفيد منه المهتمون.

وفي النهاية، فإن المؤلف يأمل أن يكون من خلال هذا الكتاب قد استطاع إلقاء بعض من الضوء على أحد الموضوعات الدينية التربوية الهامة، والدور الذي تقوم به المدرسة في ذلك الصدد.

والله الموفق.

د. حميد ناصر الزري



موقف القرآن الكريم والحديث الشريف من العمل

تمهيد

أولاً: مفهوم العمل في الإسلام

ثانياً: أهمية العمل ومكانته في الإسلام

ثالثاً: حقوق العامل وواجباته كما حددها الإسلام

رابعاً: موقف الإسلام من عمل المرأة

خامساً: مجالات العمل كما حددها الإسلام

الفصل الأول

موقف القرآن الكريم والحديث الشريف من العمل

تمهيد:

إن أهم شيء تقوم عليه هذه الحياة هو العمل، عمل كل إنسان في مجالات الحياة، والعمل في ذاته حركة، والحركة دليل الحياة، والسكون دليل الموت.. لذا لا يمكن أن تستقيم الحياة بغير عمل، كما لا يمكن أن تنتظم أية حياة بغير عمل طيب متقن.. ومن أجل ذلك خلق الله الإنسان وفي طبيعته حب العمل والسعي، لكي يعيش ويعمر أرضه ويستغل خيراتها ويستخرج كنوزها ومكنوناتها.. فالعمل في حد ذاته قاعدة طبيعية وليس بفضيلة أخلاقية، وإنما يلحق الفضل من الباعث عليه والقصد منه، فالإنسان مدفوع بطبعه وغريزته وفطرته إلى أن يحفظ ذاته ليعيش، وحفظ الذات احساس طبيعي غير أن الإنسان له شخصيتان احداهما ذاتية والأخرى اجتماعية، فهو بمقتضى الأولى يحافظ على الثانية، وبمقتضى الثانية يوائم بين ذاته ومصلحة مجتمعه[1].

---

١ ـ انظر:

ـ عبد المنعم النمر: إلى الشباب في الدين والحياة، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة (د.ت) ص:٥٨ـ٦٣

ـ منصور رجب: مذكرات غير منشورة، جامعة القاهرة ١٣٦٤هـ.

ومع حب الإنسان للعمل والسعي بطبيعته، إلا أن هناك في المقابل حب الخلود والراحة والبعد عن عناء العمل وإلقاء ثقله وتبعة عيشه على غيره، إضافة إلى البعد عن بعض الأعمال والتقليل من شأنها، ولو أطلق العنان للناس لوجدناهم يهملون كثيراً منها، حيث النظرة غير الكريمة إليها، لوجود بعض المفاهيم الخطأ.

ولذا فقد اهتم المنهاج الإسلامي بموضوع العمل، فقد ذكر في ثلاثمائة وتسع وخمسين آية[1] مقترناً بالإيمان، وأكدت أن الإيمان الصادق لابد وأن يترجم إلى عمل صالح، كما عمل على الترغيب فيه، والترهيب من استنكافه من أجل صلاح المجتمع الإسلامي وتقدمه[2]... وأوضحت العديد من القضايا ذات العلاقة التي ينبغي من ورائها تحقيق القناعة به أيًا كان نوعه والإخلاص والتفاني فيه، والحرص من أجل كرامة أبناء المجتمع الإسلامي.

ولمزيد من التوضيح والبيان سوف نحاول من خلال هذا الفصل إلقاء الضوء على موقف القرآن الكريم والحديث الشريف من العمل من خلال تناول:

أولاً: مفهوم العمل في الإسلام.

ثانياً: أهمية العمل ومكانته في الإسلام.

ثالثاً: حقوق العامل وواجباته كما حددها الإسلام.

رابعاً: موقف الإسلام من عمل المرأة.

خامساً: مجالات العمل كما حددها الإسلام.

---

١ ـ محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة والنشر، (ط٢) القاهرة (د.ت) ص:٤٨٣

٢ ـ عبد المنعم النمر: إلى الشباب في الدين والحياة، مصدر سابق، ص: ٥٨ ـ ٦٣.

أولاً: مفهوم العمل في الإسلام

يعد العمل المصدر الطبيعي لحصول الإنسان على ما يصلح أن يكون شيئاً يتعامل به ويجري في الحياة مجرى النفع والتبادل[1].

وينظر إلى الدين الإسلامي على أنه دعوة حماسية لمحاربة البطالة، والحرص على العمل، واختيار النافع منه[2]، حيث إنه باحتوائه على نظام شامل للحياة يرسم منهجاً متكاملاً لكل جوانب حياة المسلم. والعمل بمعناه العام ينصرف إلى أهم جوانب هذا المنهج[3].

ونظراً لأهمية العمل وقيمته، فقد تعددت مفاهيمه وتشخيصاته من قبل المهتمين الإسلاميين والاقتصاديين في محاولة منهم للوصول إلى تحديد دقيق يتناول مفهوم العمل في الإسلام.

وسوف نحاول إلقاء الضوء على بعضها على النحو الآتي:

١ ـ المفهوم اللغوي:

يعرف العمل لغوياً بأنه المهنة والفعل من عَمِلَ عَملاً والجمع أعمال، وأعمله واستعمله غيره طلب إليه العمل، واعتمل أي عمل بنفسه وأعمل رأيه، والعَمَلَة أي العاملون بأيديهم، والعامل على الصدقة الذي يسعى إلى جمعها، والعامل من يعمل

١ـ عبد الكريم الخطيب: التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته، دار المعارف للطباعة والنشر، (ط٢) بيروت، ١٩٨٥، ص ١٨٥.

٢ـ محمود مهدي الاستانبولي: عظمة الإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨، ص: ١٨٥.

٣ـ ابراهيم زيد الكيلاني: في الفكر الإسلامي، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، ١٩٩٠، ص٣٣٣.

في مهنة أو صنعة[١].

وقد يطلق لفظ العمل على تصرفات وسلوك الإنسان فيقال: عمل معروف، أو تصرف معروف[٢].

٢ ـ المفهوم العام:

وقد تعددت المفاهيم التي تتناول العمل بشكل عام من دون قيد، فمنها من ينظر إليه باعتباره فعالية انسانية مهما كان شكلها أو نوعها[٣]. ويعرف بأنه القدرة على الإنتاج واعتباره العامل الأساسي في نشأة وتأسيس الحضارة البشرية.

ولاشك أن هذا التعريف، وإن كان يعظم من قيمة العمل ويعدّها أساساً للتقدم والحضارة إلا أنه لم تتحدد فيه طبيعة الأعمال وأنواعها ومشروعيتها[٤].

كما يعرف بأنه الوسيلة الطبيعية التي نحصل بوساطتها على ما نحتاج إليه في حياتنا المادية والمعنوية[٥].

ولا شك أن هذا يفتقر إلى العناصر الرئيسية للمفهوم حيث ترك الباب مفتوحاً على مصراعيه لأي فعل وتصرف بغرض الاستمرار وتحقيق الإشباعات المادية والمعنوية، كما يعرف أيضاً بأنه الجهد الإداري الذي يبذله الإنسان مستهدفاً انتاج السلع

١ـ انظر:
ـ أحمد الشرباصي: المعجم الاقتصادي الاسلامي، دار الجيل، بيروت ١٩٨١، ص:٣٤.
ـ أبو الفضل بن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦، ص: ٤٨٤ـ٤٨٥.
ـ ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨،ص:٦٣٤.
٢ ـ صادق مهدي السعيد: العمل والضمان الاجتماعي في الإسلام، مطبوعات المعارف، (ط٢)، بغداد، (ب.ت)، ص:٦
٣ ـ فاخر عاقل: التربية قديمها وحديثها، دار العلم للملايين، (ط٢)، بيروت، ١٩٧٤، ص:٣٤٥.
٤ ـ المرجع السابق، ص: ٣٤٥.
٥ ـ المرجع السابق، ص: ٣٤٥.

والخدمات[1].

ولا يختلف هذا التعريف عن التعريفات السابقة إذ إنه قد نبذ عنصر الجبر والإكراه، وأدخل مدلول الاختيار على المناشط التي يقوم بها الإنسان.

وهناك تعريف آخر يرى أنه: «الفعل الذي يتناول به الإنسان المادة[2]».. ولا شك أن هذا التعريف على الرغم من محدوديته إلا أنه قد أوضح مباشرة الغرض من العمل دون التقيد بما ينطوي عليه أو يشمله.

وهكذا فإن المفاهيم تتحدّد في العديد من المعاني والمضامين، ولعل أكثرها وضوحاً عدم ادراج المشروعية أو التفريق بين الحلال والحرام حيث إنها تتفق في المقابل والإشباع المعنوي اضافة إلى توافر عنصر الحرية والاختيار، وقد يختلف الأمر كثيراً في المفاهيم والتعريفات الشرعية أو الإسلامية على نحو ما سنراه في السطور الآتية:

المفهوم الإسلامي "الشرعي" للعمل:

وقد تعددت تلك المفاهيم حيث نجد أن أحدها يقرر أن «العمل هو كل جهد مشروع يبذله الإنسان، ويعود عليه أو على غيره بالخير والفائدة والمنفعة، سواء أكان هذا الجهد جسمياً كالحرف اليدوية، أم فكرياً كالتعليم والقضاء»[3].

وعلى ذلك فالعمل في الإسلام يتميز بالشمول والتنوع في كل الفعاليات شريطة مشروعيتها.. وهناك تعريف آخر يتشابه مع التعريف السابق في العديد من النواحي، حيث يقرر بأنه «شامل لكل فاعلية اقتصادية مشروعة مقابل أجرة أو مال يؤخذ، سواء أكان هذا العمل جسمياً مادياً كالحرف اليدوية، أم فكرياً كالولاية أو الإمارة، وكتولي

---

١ ـ محمد الجمال: موسوعة الاقتصاد الإسلامي، دار الكتاب المصري، (ط١)، القاهرة، (ب.ت). ص:٩٦.

٢ ـ هنري أرفون: فلسفة العمل، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، باريس (د.ت)، ص:٥٣.

٣ ـ فاخر عاقل: التربية قديمها وحديثها، مصدر سابق، ص: ٣٤٥.

وظيفة القضاء وسائر الوظائف، وكمهنة الطبيب»[1].

وقد أضاف هذا التعريف مبدأ المساواة بين سائر الأعمال وإعطاء المكانة اللائقة للأعمال اليدوية ومساواتها بالأعمال الفكرية، حتى ينبذ الأفكار الخاطئة والسائدة في ذلك الصدد.

ولا شك أن التعريفين السابقين يعكسان ما جاء في النصوص الأصلية التي استعمل فيها لفظ العمل بالمعنى الاقتصادي حيث نجد أن بعضها يدلّ على معنى العمل الجسمي أو اليدوي كالحديث الصحيح القائل: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده[2]». وكذلك فيما جاء في حديث آخر قيل فيه يا رسول الله أي الكسب أفضل؟. قال:«عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»[3].

كما استعمل لفظ العمل للولايات - أي لوظائف الدولة - ومن هذا المعنى الحديث الذي روي عن عدي بن عميرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استعملناه منكم فكتمنا مخيطاً فما فوق كان غلولاً يأتي به يوم القيامة»[4].

كما استخدم لفظ «عامل» بمعنى الوالي والأمير أي الذي يلي عملاً من أعمال الدولة، وكذلك يستخدم للدلالة على أعلى مناصب الدولة لقول أبي بكر رضي الله عنه حين ولي الخلافة: «فسيأكل أبو بكر من هذا المال واحترف فيه للمسلمين»[5].

وهكذا يتبين مما تقدم أن كل جهد وعمل مشروع مادياً أم معنوياً أم مؤلفاً منهما معاً يعد عملاً في نظر الإسلام، وهذه النظرة مهمة جداً فقد عدّ الإسلام جميع الأعمال

---

١ - محمد المبارك: نظام الإسلام - الاقتصاد - مبادئ وقواعد عامة، دار الفكر، (ط٣)، بيروت، ١٩٨٤، ص:٣٦.

٢ - رواه البخاري.

٣ - مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، دار العربي، بيروت، (ط١)، ١٩٨٨.

٤ - رواه مسلم - رياض الصالحين، ص ١٢٨.

٥ - محمد المبارك: نظام الإسلام - الاقتصاد- مبادئ وقواعد عامة، مصدر سابق، ص: ٣٥ - ٣٦.

النافعة من أقلها شأناً كحفر الأرض إلى أعظمها كرياسة الدولة مع مراعاة التفاوت بينهما في النوع والقدرات المؤهلة لهما، وعلى هذا يكون المجتمع في نظر الإسلام مؤلفاً من مجموعة العاملين، وكلّهم يسمون عمالاً.. وهذا المفهوم يؤدي إلى نتائج اجتماعية مهمة منها:

- أن الأصل مساواة البشر من حيث كونهم عمالاً وبشراً لهم كرامتهم وإن تفاوتت قدراتهم ومزاياهم ودائرة عملهم سعةً وضيقاً وأجورهم أو رواتبهم فلا امتياز لفئة على أخرى.
- أن العمال ليسوا فريقاً من المجتمع بل هم جميع العاملين في المجتمع فالتصور الإسلامي للمجتمع يرى أنه يتألف من تعاون العاملين فيه. ويشتمل العمل في المفهوم الإسلامي على عنصرين أحدهما: مشروع أي نافع للناس غير ضار بهم. وثانيهما: يغني صاحبه عن الحاجة إلى غيره ويجعله قادراً على إعالة نفسه وأبنائه، لذلك فإن الإسلام أبدى انسجاماً مع هذين الهدفين اللذين يدعو إلى تحقيقهما بالحضّ على العمل والسعي لكسب الرزق ونفع الناس، وذلك من خلال:

ـ النهي عن السؤال والبطالة ومنعهما، حيث ورد العديد من الأحاديث الكثيرة الخاصة بالنهي عن الكسب عن طريق السؤال، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يوجه السائلين إلى العمل.

١ ـ عن المقداد بن معد كرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»[١].

٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان زكريا عليه

---

١ ـ رواه البخاري.

السلام نجاراً»[1].

٣ ـ روى الإمام أحمد بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يحب العبد المحترف، ومن كدّ على عياله كان كالمجاهد في سبيل الله ـ عز وجل».

٤ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لاتزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم»[2].

ـ عن طريق الحض على العمل والترغيب فيه بوسائل كثيرة، وقد ورد في الحث على العمل اليدوي وعلى الزراعة والتجارة[3] العديد من النصوص القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن

---

١ ـ رواه مسلم.

٢ ـ رواه مسلم.

٣ ـ عبد السلام أحمد غيغو: بحث بعنوان: «صيانة أجور العمال في الشريعة الإسلامية»، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السعودية، (د.ت)، ص: ١٥- ١٦ بتصرف.

٤ ـ سورة الملك، الآية ١٥.

٥ ـ سورة الواقعة، الآية ٦٤.

٦ ـ سورة الفتح، الآية ٢٩.

تضل إحداهما فتذكر احداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً[2] ﴾، وقوله تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾[3].

كما ورد العديد من الأحاديث في هذا الصدد، نذكر منها قول رسول الله ﷺ: «طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة». وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[4]، وقال رسول الله ﷺ أيضاً: «من الذنوب ما لا يكفره إلا السعي على العيال».

وهكذا فإن العمل في الإسلام هو ثمن الحياة، ومن دفع الثمن حل له الرزق، ومن قعد عن العمل فليس له جزاء إلا الحرمان.

وفي ضوء ما تقدم فإنه يمكن وضع تعريف إجرائي لمفهوم العمل في الإسلام على النحو الآتي:

١ ـ العمل يتضمن كل جهد مشروع يقوم به الفرد سواء كان عقلياً أو جسمياً.

٢ ـ يشمل المساواة بين أعمال الدولة كافة ويعدُّ جميع المواطنين عمالاً.

٣ ـ يتضمن المناشط الاقتصادية والاجتماعية كافة.

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

٢ ـ سورة النساء، الآية ٢٩.

٣ ـ سورة النور، الآية ٣٧.

٤ ـ رواه مسلم، رياض الصالحين، ٩٢.

٤ ـ يمثل اشباعاً مادياً ومعنوياً للفرد.

٥ ـ يراعى فيه اختلاف القدرات والمهارات والاستعدادات والمؤهلات.

٦ ـ ينبذ الإجبار والإكراه ويتضمن الاختيار.

٧ ـ يشارك في تحقيق الفائدة والنفع للفرد والمجتمع.

٨ ـ من أهم نتاجاته المشاركة في تأسيس الحضارات الإنسانية.

وإذا كنا تعرضنا في الجزء السابق لمفهوم العمل في الإسلام، فلابد لاستكمال هذا الجانب من تناول ما تعنيه كلمة عامل حيث اتفق على اشتمالها على : «الذي يعمل لنفسه أو لغيره» أما الذي يعمل لغيره فقط بقصد الحصول على أجر مقابل جهده فيسمى في نظر الشريعة الإسلامية «أجيراً». وقد وصفته النصوص الشرعية الإسلامية بهذه الصفة حيث قال المصطفى ﷺ : «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» وعلى ذلك فإن كل أجير عامل وليس كل عامل أجيراً.

ثانياً: أهمية العمل ومكانته في الإسلام

يتجه التشريع الإسلامي دائماً إلى تحقيق اليسر المادي والعيش الهانئ لكل فرد من أفراد المجتمع، فضلاً عن سد حاجاتهم الفطرية ورحمة من الله بعباده. فقد أمر المسلمين بالعمل والسعي في أرجاء الأرض ليبتغوا من فضل الله حتى جعل العمل مقابلاً للحياة، ولا قيمة لحياة المرء في نظر الإسلام بغير عمل، فأي مكانة هذه التي وضع الإسلام العمل فيها، ولعل أبلغ درجات تلك المكانة أن يقرر الإسلام أن العمل عبادة وفريضة من فرائضه وليس من نوافله[1].

ولقد جاء القرآن الكريم زاخراً بالآيات والمعاني التي تحث على العمل وتؤكد أهميته للمجتمع وأبنائه، وتسد كل ثغرة قد تتجه إلى تساؤل كما تضع الحوافز لكل عمل يباشره الفرد مهما كان صغيراً محتقراً لدى بعضهم، ويفضل العمل مهما كان شأنه على البطالة والكسل والعيش عالة على حساب الآخرين[2].

ولعل في عرضنا لبعض الآيات القرآنية التي تمثل أمثلة لا حصراً، بل توضيحاً لما جاء سابقاً فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾[3]، كما قال تعالى: ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾[4]، وأيضاً: ﴿ .. وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله.. ﴾[5]، فالضرب في الأرض معناه السعي بقوة، فالمسلم في جهاد مادام في سعي وعمل، والعمل فطرة في الإسلام، والإسلام لم يشأ أن يغير من هذه الفطرة أو يحجر عليها، بل عمل على تشجيعها وتأكيدها.

---

١ ـ عبد السميع المصري: مقومات العمل في الإسلام، مكتبة وهبة، (ط١)، القاهرة، ١٩٨٢، ص: ١٠.

٢ ـ عز الدين الخطيب: نظرات في الثقافة الإسلامية، ١٩٨٥، ص: ١٩٨.

٣ ـ سورة الملك، الآية ١٥.

٤ ـ سورة التوبة، الآية ١٠٥.

٥ ـ سورة المزمل، الآية ٢٠.

وإذا اتجهنا إلى السيرة النبوية العطرة نجدها مليئة بالأحاديث الشريفة العطرة التي تؤكد هذا المنهاج وتعظم من قيمة العمل أياً كان نوعه، مادام في حدود شرع الله سبحانه وتعالى حيث نجد أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ : «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه»[1].. وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه»[2].. وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله. فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه الماء. قال: «ائتني بهما». فأتاه بهما. فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «من يشتري مني هذين؟» قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال رسول الله ﷺ : «من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثاً» قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه. فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال: «اشتر طعاماً بأحدهما فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فائتني به» فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال: «اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً»..ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً. فقال له النبي ﷺ: «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة»[3]

وعن سعيد بن عمير عن عمه رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الكسب أطيب؟ قال: «عمل الرجل بيده، وكل كسب مبرور»[4]

ثم نجد أن الرسول ﷺ يلقى عاملاً من الأنصار فيرى في يده خشونة فيقول له: ما هذا الذي أرى في يدك؟ فيقول العامل: إنه أثر المسحاة أضرب بها وأنفق على عيالي.

---

١ ـ رواه مسلم في كتاب الزكاة، رقم ١٠٧. ورواه مالك والبخاري والترمذي والنسائي. متفق عليه.

٢ ـ رواه البخاري في كتاب الزكاة، رقم: ٥٠.

٣ ـ رواه أبو داود في كتاب الزكاة، باب: ٢٦، واللفظ له. والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن.

٤ ـ رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

فيقبّل عليه الصلاة والسلام يده ويقول: «هذه يد لا تمسها النار».. ولا عجب فإنما جزاء هذه اليد التي شقيت بحرارة العمل في الدنيا لتنفع نفسها أو من تعول أو اخوة لها في الله ألا تشقى في الآخرة بلهيب جهنم، فعرق العامل وجهده وتعبه من أسباب مغفرة الله له ذنوباً لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا أي واجب من واجبات العبادة، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « من بات كالاً - أي متعباً من العمل - بات مغفوراً له». وقال أيضاً ما معناه: إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا حج، وإنما يكفرها سعي الرجل على عياله.

ومما مكّن شرف العمل المادي وقيمته واتقانه في المجتمع الإسلامي، أن القرآن الكريم جعل أبطال الرسالات الدينية من الأنبياء والمرسلين على مدى التاريخ رواداً في مجالات العمل والقوة المادية مثل: نوح وابراهيم واسماعيل ويوسف الصديق وموسى عليهم السلام، إضافة إلى البشير الهادي محمد عليه الصلاة والسلام[1]، والذي شرف الله شبابه بالعمل في الرعي والتجارة وفي أموال الناس وشؤون الدفاع عن الحرمات، كما شرف العمل المادي بدعوته التي جعلت العمل قرين الإيمان ولا يصح أحدهما دون الآخر، وهكذا فإن دعوة الإسلام هي هدي العقول والقلوب إلى طريق الله الخالق وهدي الأيدي والجوارح إلى جميع أنواع العمل النافع الذي تنمو به الحياة المادية وتزكو الحياة الروحية وتلقى به النفوس جزاءها وثوابها في الحياة الآخرة بدار البقاء والخلد[2].

وإذا كان المنهاج مليئاً بتلك الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، فإن الصحابة رضي الله عنهم قد انتهجوا النهج نفسه، لتدعيمه وغرسه في المجتمع الإسلامي، حيث نجد عمر بن الخطاب يقول: «لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وإنما يرزق الله الناس بعضهم بعضاً»[3].

---

١ - عبد المنعم خلاف: المادية الإسلامية وأبعادها، دار المعارف، (ط٢)، القاهرة، ١٩٨٣، ص: ١٦٦ - ١٦٧.

٢ - المرجع السابق، ص: ١٦٧.

٣ - محمود مهدي الاستانبولي: عظمة الإسلام، مصدر سابق، ص: ١٣٤.

وهكذا وفي ضوء ما سبق نجد أن القرآن الكريم والسيرة النبوية ونهج الصحابة قد أوضحوا كثيراً وكثيراً من أهمية العمل ومكانته في الإسلام ورفع مكانة العمل والعاملين إلى مقام العبادة والعابدين، حيث يتقرب به العبد إلى الله وتكفر به السيئات وتغفر الذنوب.

فالصلاة مثلاً هي رأس العبادات والركن الثاني من أركان الإسلام أظهر ما فيها العمل والحركة مثل الوضوء والركوع والسجود[1].

كما عادل سبحانه وتعالى بين العبادة الخالصة كالصلاة وبين عمل الحياة وكسب العيش من حيث تقرير الثواب، فكل عمل طيب متقن يقوم به الإنسان سواء أكان خاصاً بالعبادة الخالصة أم كان عبادة عن طريق كسب العيش واثراء الحياة بالانتاج، يضع الله النتائج الطبيعية له في الدنيا ويضع أمامنا الجزاء عليه في الآخرة حافزاً يحمل الإنسان على اجادة عمله واتقانه مهما يكن نوع هذا العمل[2].

---

١ ـ عبد الكريم الخطيب: التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته، مصدر سابق، ص: ١٨٦.

٢ ـ عبد المنعم النمر: إلى الشباب في الدين والحياة، مصدر سابق، ص: ٥٨.

ثالثاً: حقوق العمل وواجباته كما حددها الإسلام

انطلاقاً من تأكيد الدين الإسلامي على أن العمل هو الوسيلة الطبيعية التي نصل بوساطتها إلى ما نحتاج إليه في حياتنا المادية والمعنوية شريطة تنظيمه بصورة عقلية علمية تتحدد من خلالها الحقوق والواجبات المنظمة[1] على النحو الآتي:

أ ــ حقوق العمال:

نظم الإسلام العلاقات الحقوقية بين أصحاب رؤوس الأموال والعاملين في مختلف النشاط الاقتصادي، وقد حفظ لصاحب المال حقه وللعامل حقه، ونظراً لأن الفئة الثانية تمثل الفئة الضعيفة فقد ورد في رعاية حقوقهم أحاديث عديدة توضح الحقوق الآتية:

١ ــ حق العمل:

إن مسؤولية الدول الإسلامية عن تحقيق المصلحة العامة لأفراد المجتمع الإسلامي تقتضي عدم تبديد أي من طاقات أفراده الفكرية والعلمية، وذلك بإيجاد العمل للقادرين عليه، يستشهد بذلك عندما جاء النبي ﷺ رجل يستعطفه، فيسر له النبي ﷺ العمل.. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ يسأله. فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى. حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه. وقدح نشرب فيه الماء. قال: «ائتني بهما». قال: فأتاه بهما. فأخذهما رسول الله ﷺ بيده. ثم قال: « من يشتري هذين؟» فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال: «من يزيد على درهم؟» مرتين أو ثلاثا. قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما اياه وأخذ الدرهمين، فأعطاهما الأنصاري وقال: «اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك. واشتر بالآخر قدوماً فائتني به» ففعل فأخذه رسول الله ﷺ فشد فيه عوداً وقال: «اذهب

---

١ ـ فاخر عاقل: التربية قديمها وحديثها، مصدر سابق، ص: ٣٤٥.

واحتطب ولا أراك خمسة عشر يوماً» فجعل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم. فقال: «اشتر ببعضها طعاماً وببعضها ثوباً». ثم قال: «هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نقطة في وجهك يوم القيامة. إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو دم موجع»[1].

وإن دل هذا الحديث الشريف على شيء فإنما يدل على أنه من واجب الدولة دراسة أسباب التعطل عن العمل وبحث سبل معالجتها[2] واعانة المتعطلين ريثما تفتح أمامهم أبواب العمل أو ايجاد أعمال لهم.

٢ ــ الأجر المجزي:

الأجر هو عصب الدراسات والأبحاث التي تناقش عنصر العمل سواء أكان هذا في المذاهب الاقتصادية الوضعية أم في الأديان السماوية[3] حيث يشترط التعريف النظامي عند العمل الفردي وجود شرائط ثلاث هي: تعهد العامل بالعمل، وأن يكون هذا العمل لقاء أجر، وأن يكون هذا العمل تحت اشراف رب العمل.. بينما يشترط التعريف الفقهي وجود عناصر مختلفة من العناصر النظامية وهي: أن يكون العمل مباحاً، وأن يكون معلومية المنفعة، ومعلومية الأجر[4].

ومن هنا تحدث الإسلام عن العمل وعن حق العامل في أن يستوفي أجره كاملاً عليه ازاء احسانه فيه، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ .. ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾[5]..

---

١ ـ رواه أبو داود والنسائي والبيهقي، وقال الترمذي: حديث حسن.

٢ ـ ابراهيم زيد الكيلاني: في الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص:٢٣٤.

٣ ـ رفعت العوضي: الإسلام والنظام الاقتصادي الدولي الجديد، البعد الاجتماعي. ندوة بعنوان: اقتصاديات العمل والأجر في الإسلام، منظمة المؤتمر الإسلامي. الأمانة العامة، جدة، المملكة العربية السعودية، (د.ت)، ص:٤١.بتصرف.

٤ ـ عبد السلام أحمد غيغو: بحث بعنوان: أجور العمال في الشريعة الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٠. بتصرف.

٥ ـ سورة الأعراف، جزء من الاية ٨٥.

وتحقيقاً للتوازن العادل بين العمل والجزاء وانصافاً للعامل قال ﷺ: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه»[١].

كما نبه النبي الكريم إلى رعاية أحوال العاملين ومستوى معيشتهم في قوله: «هم اخوانكم وخولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[٢].. وقد ورد هذا الحديث في الإماء ولكن دلالته شاملة لجميع العاملين[٣].

كما أحاط الإسلام الأجر في العمل بكثير من الضمانات، وأفسح له أكبر المجال، وخص القائمين به بأوفر الحظوظ والحقوق، وهو في نظر الفقهاء ينقسم إلى قسمين:

الأول: عمل عام ويستحق القائم به الأجر تبعاً لمقدار عمله.

الثاني: عمل خاص لا يستحق عليه الأجر إلا بمقدار استمراره.. وأن أجور العمال تقدر بقيمتها، أو بالمدة الزمنية التي قضاها العامل لإتمامها، وذلك يختلف باختلاف الأعمال والأشخاص والأموال والأعراف[٤].

ومن واجبات أجر العامل: الوفاء بالوعد لقول الرسول ﷺ: «من استعملناه على عمل، ورزقناه رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول»[٥].. أي لا ينبغي للعامل أن يأخذ ما يزيد على أجره، كما لا ينبغي لصاحب العمل أن يأخذ من العامل ما يربو على الأجر الذي يقدمه له.

وهناك قضية أخرى تتعلق بالأجور في الإسلام أفرزها نظام العمل تتمثل في وجود فئتين احداهما تخصصها قليل ونادر، ومن ثم أجورها مرتفعة، والثانية فئة عاملة لا

---

١ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، جـ ٤/ حديث رقم: ٢٢٤٧.
٢ ـ رواه البخاري في فتح الباري، جـ /حديث رقم ٣٠.
٣ ـ ابراهيم زيد الكيلاني: في الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٣٣٦.
٤ ـ عبد السلام أحمد غيغو: بحث بعنوان: أجور العمال في الشريعة الإسلامية، مصدر سابق.
٥ ـ صحيح أبو داود والحاكم، وفي صحيح الجامع للألباني، جـ٢، ص: ١٠٤١.

تخصص لها والقادرون على نوع عملهم كثيرون ومبذولون وأجورهم قليلة، أي الحد الأدنى من سلم الأجور.. ومن هنا فإن الإسلام درءاً لعدم امتداد نفوذ الأولى واستكانة ومهانة الثانية(*) كان له موقف مثالي يتمثل فيما يلي:

أ ـ عدّ في الأصل جميع الفئات العاملة سواء منها العالية الاختصاص والمرتفعة الأجور وغير ذات الاختصاص متساوية في الكرامة الإنسانية وفي استحقاق الاحترام الإنساني فكلهم «بنو آدم» والناس سواسية «وكلهم عباد الله»، بل إن هذه الفكرة راسخة في ضمير المسلم منذ بداية الإسلام، ويعدّ الاخلال بها في أي صورة من الصور مساساً بعقيدة المسلم، فتعظيم الغني لغناه واحتقار الضعفاء والفقراء خطأ فادح في عقيدة المسلم وانحراف في وجهته تخالف التأكيدات الكثيرة الواردة في القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ.

ب ـ لا ينحاز الإسلام في حكمه وتشريعاته لإحدى الفئتين، فلا يمنح حقوقاً متميزة لإحداها، ولا يسلط احداها على الأخرى، ولما كانت فئة الأجراء والعمال يغلب عليها الضعف، فقد جاءت الأحاديث النبوية مؤكدة حقها محذرة من ظلمها، وحتى بعد اتساع الدولة الإسلامية وازدياد ثروتها فما كان يخصص لأي واحد من الخلفاء الراشدين الأربعة الذين كانوا رؤساء أكبر دول العالم يومئذ أجر لا يختلف عن أجر واحد من أوساط الناس، وكذلك كان عمالهم وولاتهم على المناطق والأقطار مع تدفق الثروة على بيت المال.

جـ ـ إن الإسلام وضع مبادىء لحماية العمل والعاملين أيّا كانوا، كما أنه جعل من حق ولي الأمر «الدولة» مراقبة العمل منعاً للظلم والغش والفساد، وأقام لذلك مؤسسة عرفت في التاريخ الإسلامي باسم «الحسبة»، ونظم القواعد الحقوقية

(*) هذه تمثل مشكلة في سائر الأنظمة العالمية سواء الرأسمالية، أو الاشتراكية أو حتى الديمقراطية، حيث كانت الفئة الأولى تمثل أصحاب القوة والنفوذ في المال والإدارة والسياسة، بينما كانت الفئة الثانية مرهقة في العمل منخفضة المعيشة قليلة المال.

المتعلقة في أبواب فقهية أبرزها «باب الاجارة»[1].

٣ ـ اختيار العمل:

ينظر الاسلام إلى العمل على أنه موهبة من الله تعالى، وهذه الموهبة تتفرع إلى مجموعة من القدرات، وتقضي التعاليم الإسلامية بضرورة استغلال هذه القدرات إلى أبعد مداها، وفي سبيل تنفيذ ذلك ينبغي أن يعمل الشخص في الأعمال التي هيىء لها بدنياً وعقلياً، حيث يقول الله تعالى: ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها... ﴾[2].. وامعان النظر في هذه الآية نجد أن هناك العديد من الدلالات منها:

- أن الله سبحانه وتعالى يضع على الإنسان مجموعة من التكاليف ـ أي الأعمال التي تطلب منه ـ سواء أكانت تعبدية أم أعمالاً اجتماعية مع مراعاة التداخل بينها.
- أن هذه التكاليف في حدود الوسع، بمعنى أنها في اطار القدرات التي وهبها الله للانسان.
- أن الوسع في حدود القدرات المحتومة، وأن هناك تكليفاً لها بأن تعمل، فهذا يعني أنه ينبغي أن تعمل بأقصى ما فيها من امكانات وطاقة..
- أن تعطيل احدى هذه القدرات أو بعضها هو بمنزلة تقصير في التكليف الالهي، فإذا كان التعطيل من جانب المجتمع فهو ضياع لحق العامل وتقصير المجتمع في الوفاء بالتزاماته[3].

---

١ ـ محمد المبارك: نظام الإسلام ـ الاقتصاد ـ مبادىء وقواعد عامة، مصدر سابق، ص: ٥٦ ـ ٥٨.

٢ ـ سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

٣ ـ انظر:

- رفعت العوضي: الإسلام والنظام الاقتصادي الدولي الجديد/ البعد الاجتماعي، ندوة بعنوان: اقتصاديات العمل والأجر في الإسلام، مصدر سابق.
- ابراهيم زيد الكيلاني: في الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٣٣٨.
- فاخر عاقل: التربية قديمها وحديثها، مصدر سابق، ص: ٣٤٥.

وهكذا فإن النهج الإسلامي قد أكد على حرية كل مسلم في اختيار العمل الذي يريد أن يباشره بما يتفق مع ميوله ومواهبه.

٤ ــ العمل قدر الطاقة:

وفي هذا الصدد يقول الرسول ﷺ : «اكلفوا من العمل ما تطيقون، وعليكم من الأعمال بما تستطيعون، فإن الله لا يملّ حتى تملوا »[١]..حيث يتضح أن العمل تكليف للإنسان، وأنه في حدود الطاقة «الوسع».

كما نجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يروى عنه أنه مر بشيخ من أهل الذمة، وكان مسناً أعمى يسأل الناس، فضرب عضده من الخلف، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: اسأل الجزية والحاجة والسن. فأخذه عمر بيده وذهب إلى منزله ففرض له شيئاً، ثم أرسل إلى خازن بيت المال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم[٢].

وهكذا فإن الإسلام يعلمنا أنه ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾، كما علمنا أن نتوجه إليه سبحانه وتعالى بالدعاء: ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾.

٥ ــ حق العامل في مستوى معيشي لائق:

بما أن الله كرم الإنسان ورفعه فوق كل المخلوقات حيث يقول تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ فلا يجوز أن تكون كرامته عرضة للانتقاص بسبب الفقر وعدم كفاية أجره للوفاء بحاجياته الأساسية وحاجيات من هم في كفالته، حيث كان الرسول ﷺ يعطي الأهل حظين ويعطي العزب حظاً واحداً[٣].

كما أوجب الإسلام على المجتمع أن يوفر للأجير المقدار الواجب من المال لا على سبيل الصدقة، بل باعتبار ذلك واجباً في حق المحتاج أن يكون له نصيب من مال

---

١ ـ متفق عليه.
٢ ـ ابراهيم زيد الكيلاني: في الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٢٣٥.
٣ ـ المرجع السابق، ص: ٣٣٦.

الأغنياء وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾[1] .. وهو واجب مرسل ترك للاجتهاد أن يضبط أداءه، ولكنه واجب مؤكد[2]، وقد قال رسول الله ﷺ: «من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً، أو ليس له زوجة فليتزوج، أو ليس له دابة فليتخذ دابة»[3].

وهكذا يوضح لنا القرآن الكريم والرسول المختار أهمية احترام كرامة الإنسان وتوفير المستوى المعيشي الملائم الذي يتلاءم وهذا التكريم.

٦ ـ ضمان حاجة العامل عند العجز وحماية أسرته بعد مماته:

فقد أوضح الإسلام أن من حق العامل تأمينه على نفسه وأسرته ضد طوارىء العمل والأمن في المستقبل، فإذا عجز العامل عن العمل للشيخوخة أو المرض أو للإصابة في العمل أو لأي سبب من الأسباب، وقد أدى ذلك إلى فقره وجب تأمين حياته[4].

وينطبق ذلك الأمر على العامل بعد مماته، حيث يقرر الإسلام حماية أسرته وتأمين زوجته وأولاده إذا كانوا عاجزين عن العمل[5]. وقد قال رسول الله ﷺ: «تركة الرجل الهالك من نصيب وارثيه، فإن تركهم بلا مال فأنا موليهم»، أو كما قال في المعنى نفسه: «من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك كالاً فإلينا»[6].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في حق الأرامل: أما لئن لقيت أرامل أهل العراق لا أدعهن يحتجن إلى أحد بعدي[7].

---

١ ـ سورة الذاريات، الآية ١٩.

٢ ـ اسماعيل الفاروقي: ندوة بعنوان الإسلام والعمل، منظمة المؤتمر الإسلامي، الأمانة العامة، جدة، المملكة العربية السعودية، (د.ت)، ص:١٤، بتصرف.

٣ ـ رواه أحمد، انظر رياض الصالحين.

٤ ـ ابراهيم زيد الكيلاني: في الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٣٤٠.

٥ ـ نفس المرجع السابق، ص: ٣٣٩.

٦ ـ رواه البخاري في كتابه، جـ ٥ ص: ٤٦.

٧ ـ ابراهيم زيد الكيلاني: في الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٣٣٩.

وهكذا نجد أن الإسلام قد حدد حقوق العمال قبل أن تتطرق تلك الدول المتقدمة إلى تحديدها وسنها بتشريعات تدعي من خلالها السبق، ومازالت تلك الدول تدخل التعديل تلو التعديل على هذه التشريعات من أجل حقوق أفضل لعمالها، إلا أن الإسلام سوف يظل المنهل والمنبع الرئيسي للدول كافة في مثل تلك الموضوعات والقضايا.

ب ـ التزامات العمال وواجباتهم:

وتنطلق تلك الالتزامات والواجبات من قاعدتين أقرهما الإسلام في منهجه وهما:

١ ـ النصح للمسلمين والإتقان في العمل:

حيث قال الرسول ﷺ: «الدين النصيحة»[١].. وقال أيضاً: «من غشنا فليس منا»[٢].

وقد أكد ﷺ على ذلك النصح في العديد من الأحاديث الشريفة نذكر منها، عن جرير بن عبد الله قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: أبايعك على الإسلام. فشرط عليَّ: «والنصح لكل مسلم»[٣].

وفي رواية للبخاري ومسلم عنه أيضاً قال بايعت رسول الله ﷺ على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم».

٢ ـ الوعيد الشديد:

ويقصد به توعده سبحانه وتعالى للمطففين الذين يقبضون الثمن كاملاً ولا يؤدون السلعة كاملة، وهو ليس مقصوراً على الكيل والميزان، بل يشمل كل خدمة بثمن، فالعامل والموظف مسؤولان عن أداء عملهما بأمانة واخلاص واتقان ماداما يقبضان عليهما الراتب أو الأجر[٤]، وقد توعد الله هؤلاء المطففين بقوله: ﴿ ويل للمطففين.

---

١ ـ رواه مسلم، رقم الحديث: ٥٥

٢ ـ رواه مسلم، رقم الحديث: ١٠٢

٣ ـ رواه البخاري.

٤ ـ ابراهيم زيد الكيلاني: في الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٣٤١

الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾[1].

اضافة إلى ما سبق لابد من أن يكون العمل جائزاً في شرع الله غير محرم ولا مكروه[2].. فلا يُعدُّ التنجيم أو القيام بقتل الإنسان أو ايذائه عملاً مشروعاً بل حرام وممنوع، فلا يستحق أجراً لأن مشروعيته منتفية أصلاً، وكذلك بيع سلعة محرمة كالخمر. ويجب ألا يكون في العمل اضرار بالناس أو بواحد منهم كزراعة المخدرات أو بيعها أو المتاجرة بها[3].

وعلى ذلك فإنه في ضوء الالتزامات والواجبات التي حددها الإسلام ينبغي على العامل مراعاة ما يلي:

أ ـ الأمانة:

حيث دعا الإسلام إلى الأمانة، ونهى عن الغش والكذب في المعاملة وشراء المال المسروق[4].. ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾[5]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل... ﴾[6].

ب ـ البعد عن الحسد:

حيث نهى الإسلام عن حسد ذوي اليسار، وتمني حياة البذخ.. ويتضح ذلك في قوله

---

١ ـ سورة المطففين، الآيات من ١ ـ ٦

٢ ـ أحمد البقري: العمل في الإسلام، الاسكندرية، (د.ت)، ص: ١٢ ـ ١٥

٣ ـ عبد السلام أحمد غيغو: بحث بعنوان صيانة أجور العمال في الشريعة الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٨٠

٤ ـ عبد الكريم الخطيب: التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته، مصدر سابق، ص: ١٨٦

٥ ـ سورة البقرة، الاية ١٨٨

٦ ـ سورة النساء، الآية ٥٨

تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[1].

جـ ـ الطموح وبذل الجهد:

فقد دعا الإسلام إلى الطموح والعمل حتى آخر رمق في الحياة[2].. ويظهر ذلك في العديد من المواضع، مثل قوله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[3]. وكذلك قوله تعالى: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾[4].

وكما قال عليه الصلاة والسلام: «إذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب الرزق»[5]. وكما قال المصطفى ﷺ في حديث آخر: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»[6].

وهكذا يتبين لنا مدى حرص الإسلام على الطموح والعمل وبذل الجهد شريطة أن يكون هذا الطموح مشروعاً، وأن يكون بذل الجهد والعمل في نطاق مشروعية الأعمال التي أحلها الإسلام بعيداً عن الأفعال والأعمال التي تندرج تحت التحريم، ومن ثم عدم المشروعية.

د ـ السماحة في البيع والشراء:

حيث يؤكد رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»[7].

---

١ ـ سورة المائدة، الآية ٤٨

٢ ـ عبد الكريم الخطيب: التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته، مصدر سابق، ص: ١٨٦.

٣ ـ سورة التوبة، الآية ١٠٥

٤ ـ سورة البقرة، الآية ٦٣

٥ ـ في الجامع الصغير للألباني، جـ ١، الحديث رقم: ٦٧٤

٦ ـ رواه أحمد، جـ ١٨٤/٣

٧ ـ رواه البخاري، باب البيوع، رقم: ١٦

هـ - الاتقان:

ويتضح تأكيد اتقان الصانع عمله في قول رسول الله ﷺ: «إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه»[١].

و - النهي عن الكذب والغش:

ولعل هذا يتفق مع ما جاء في الأمانة، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب»[٢].. ولعل من أهم الحقوق في العمل أن يكون جائزاً في شرع الله غير محرم ولا مكروه.

ز - تكافؤ الفرص بين الناس كافة في السعي المشروع:

حيث أكد الدين الإسلامي على المساواة بين جموع الأفراد، واتاحة الفرص المتكافئة أمام الجميع للسعي والكسب الحلال[٣].. وعلى ذلك فإن مسؤولية المجتمع عن العمل لا تلغي حرية العمل في الإسلام، وتنحصر في:

- خلق فرص العمل.
- تمكين من يملك الموهبة والقدرة على أخذ فرصته.
- دفع من يقصر عن العمل إلى القيام بواجبه في العمل.
- أن الوسائل التي يملكها المجتمع الإسلامي لدفع العامل للعمل هي في الدرجة الأولى وسائل أدبية، وقد نصل إلى الوسائل المادية إذا هدد المجتمع نتيجة عدم عمل أبنائه[٤].

---

١ - صحيح الجامع الصغير للألباني.

٢ - متفق عليه، رياض الصالحين، ص ٥٤٧

٣ - عبد الكريم الخطيب: التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته، مصدر سابق، ص:٣٣٩

٤ - رفعت العوضي: ندوة بعنوان اقتصاديات العمل والأجر في الإسلام، مصدر سابق.



وهكذا فإن هذا المنهاج الذي وضعه الدين الإسلامي كفيل بإرساء قواعد العدل والمساواة والحماية بين أطراف العمل حتى لا يطغى أحدها على الاخر، وحتى تستقيم الأمور ويتحقق للمجتمع الإسلامي الصلاح والتقدم والرقي، وحتى يدفع أبناءه للعمل البنّاء.

رابعاً: موقف الإسلام من عمل المرأة

وللإسلام موقف واضح من عمل المرأة نتناوله من خلال النقاط الآتية:

١ ـ المساواة بين الرجل والمرأة في إيجاب العمل:

إذا كانت قضية عمل المرأة شغلت المهتمين بين مؤيد ومعارض في وقتنا الراهن، فإن موقف الإسلام كان واضحاً وصريحاً تجاه تلك القضية، حيث إنه لم يفرق في ايجاب العمل وفي ثوابه وجزائه ونتائجه بين الرجل والمرأة، حيث يقول الله تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾[١]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾[٢]. وأيضاً قوله تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض﴾[٣].

وإذا كان هدف العمل الدنيوي في السعي على الزرق هو أن يكون المرءُ ذا عفة ويكفي نفقته، فالرجل والمرأة في ذلك سواء، إلا أن هذا السعي فرض على الرجل واستثناء على المرأة في رأي الأغلبية من فقهاء الإسلام، ويستشهدون على ذلك بقول المولى عز وجل ـ وهو يوجه الخطاب لآدم وزوجه بعد أن أسكنهما الجنة: ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾[٤]، ولقد أطاعا الشيطان ونسيا تحذير الرحمن، فخرجا من الجنة ليكون الشقاء والتعب لآدم وحده، بمعنى أن نصيبه من ذلك أكبر من نصيب المرأة في العمل، أو كما يقول بعض العلماء «العمل معصوب برأس الرجل ما أهَّله له تكوينه الطبيعي من عمل في الحياة»[٥].

---

١ ـ سورة النحل، الآية ٩٧.

٢ ـ سورة النساء، الآية ٣٢.

٣ ـ سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

٤ ـ سورة طه، الآية ١١٧.

٥ ـ عبد السميع المصري: مقومات العمل في الإسلام، مصدر سابق، ص: ٨٠.

٢ ـ ضوابط عمل المرأة:

للمرأة في الإسلام شخصيتها المدنية الكاملة وثروتها الخاصة، والإسلام من أجل ذلك أباح للمرأة القيام بأي عمل ولو خارج منزلها محافظة على ما سنته الشريعة في هذا الصدد، ولا يتعارض مع أوضاعها في الأسرة والمجتمع، ولا يكلفها مالا طاقة لها به، ومالا تحسن أداءَه بطبعها[١]، وقد أباح الإسلام للمرأة أن تخرج مع الجيش لتقديم الطعام والشراب وتضميد الجرحى واسعاف المصابين حيث كانت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها تخرج مع النساء لهذه المهمة، وكانت تحمل القربة على ظهرها لتسقي العطشى[٢].. ولذا فإن العمل واجب على المرأة والرجل كلٌ في مجال اختصاصه وفي حدود التنظيمات والتشريعات التي وضعها الإسلام[٣]، والتي تتلخص في:

- عدم تعارض عملها ورسالتها الأساسية وهي الأمومة والزوجية واعداد البيت ليكون سكناً للرجل.
- عدم الاختلاط بالرجال أو الخلو برجل في غرفة واحدة.

٣ ـ مجالات عمل المرأة في الإسلام:

في ضوء المحددات السابقة فقد فرق بعضهم بين مصطلحين يتعلقان بمجالات عمل المرأة وهما اشتغال المرأة، وتشغيل النساء[٤]، حيث يرون لكل من المصطلحين مدلولاً قائماً بذاته. فأما عن اشتغال المرأة ببعض وجوه النشاط التي تصلح لها فهي ظاهرة أزلية ما خلا منها عصر ولا مصر والأمثلة كثيرة نجتزئ منها ما يلي:

---

١ ـ عبد السميع المصري: مقومات العمل في الإسلام، مصدر سابق، ص: ٨١

٢ ـ أحمد خليل: قضايا معاصرة، مكتبة الفلاح، دبي، ١٩٨٢، ص: ١٠٢

٣ ـ المرجع السابق نفسه، ص: ١٠٢

٤ ـ عيسى عبده ابراهيم: بحث بعنوان: «تشغيل النساء»، مجلة الاعتصام، عدد رمضان ١٣٦٩هـ، القاهرة.

معاونة الزوج في نشاطه الزراعي، والاشتغال بالتجارة، وممارسة الحرف الخفيفة التي تصلح للمنزل، كما هو الحال في العصور القديمة وفي القرون الوسطى، وكذلك العمل في ميدان تعليم الأطفال والبنات، وبعض أعمال الخدمة الاجتماعية والتمريض.

وأما عن تشغيل النساء فيعني عمل المرأة في أي مجال دون وجود ملاءمة بين طبيعة العمل ذاته وطبيعة المرأة[1]، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «لا تكلفوا الأمة غير ذات الصناعة الكسب، فإنكم متى كلفتموها كسبت بفرجها. وعفوا إذا أعفكم الله، وعليكم من المطاعيم بما طاب منها»[2].. فيشير الحديث إلى ظاهرة كانت معروفة وهي استغلال مالكي النساء المسترقات ـ الإماء ـ لهن واجبارهن على العمل لأخذ كسبهن، وربما فرض عليهم سادتهن مبلغاً معيناً من المال، وأسوأ هذه الأحوال حينما تكون تلك الأمة لا تحسن المهنة فيضطرها الحال إلى سلوك طرق شائنة للكسب[3]. فإذا عددنا هذه حالات تتشابه مع اقحام المرأة في مختلف أوجه النشاط، فإن ذلك يترتب عليه ارهاقها وتحميلها من الأعمال فوق ما تطيق، وكثيراً ما يؤدي إلى اهمالها لشؤون زوجها وأولادها وبيتها، ولا يخفى ما يترتب على هذا الإهمال من اضطراب في حياة الأسرة وتقويض لأهم مقوماتها ونقص في تربية الأولاد، واضعاف لروح الترابط العائلي، اضافة إلى ما تجنيه المرأة الكادحة في الطبقات الوسطى من كسب مادي في عملها خارج البيت في هذه الميادين تخسر الأسر مثله، بل أكثر في نفقات الخدم ودور الحضانة وعلاج الأضرار التي تلحق بالمنزل وأهله من جراء اهمال المرأة لشؤونه.

وعلى ذلك فإننا ننصح بعدم انزال المرأة المسلمة أي عمل من الأعمال العامة في خارج منزلها، بل إننا نرى ضرورة توظيفها في الأعمال التي تلائمها والسابق ذكرها.

وبعد هذا العرض السابق يبقى ثمة ملاحظات تساعد على بلورة ما جاء سابقاً،

---

١ ـ انظر:

ـ عبد السميع المصري: مقومات العمل في الإسلام، مصدر سابق، ص:٨٣

ـ أحمد خليل: قضايا معاصرة، مصدر سابق، ص: ١٠٢

٢ ـ الموطأ للإمام مالك: كتاب الاستئذان ص ٤٢

٣ ـ محمد المبارك: الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة، مصدر سابق، ص: ٣٠

وتؤكد العديد من المعاني والمضمونات في موقف الإسلام من عمل المرأة، ومنها:

١ ـ أن احتمال المرأة للأعمال الشاقة محدود وأجهزتها الحيوية مهيأة لغير الشقاء في سبيل كسب المعاش.

٢ ـ للمرأة أحوال خاصة تترتب على وظائفها الطبيعية حين تكون زوجة وأماً، وهذه الأحوال تنعكس على استعدادها البدني والنفسي حيث تباشر واجبات الوظيفة.

٣ ـ غياب المرأة عن منزلها يحرم الأطفال من الرعاية والتربية في السنوات الأولى قبل الالتحاق برياض الأطفال، كما يحرم النشء من توجيه الأم التي تعود إلى منزلها مجهدة من العمل، وكذلك الحال مع الآباء والنتيجة هي هبوط مستوى الأجيال.

٤ ـ يترتب على تشغيل النساء في المجالات كافة مشكلات اجتماعية يصعب التغلب عليها ومنها ما يصطدم ببعض أحكام الشرع حيث نجد على سبيل المثال تزاحم الرجال والنساء في المكاتب أو الاختلاط في العمل.

٥ ـ إن ما جاء في النقطة السابقة لا يتعارض وحق المرأة في التعليم وكذلك حقوقها المدنية والشخصية الثابتة بالنص القرآني وبالسنة الشريفة فلا مجال إذاً لما قد يزعمه الزاعمون بأن اختصاص المرأة بوظائفها معناه حرمانها من نور العلم، فهذا افتراء ومغالطة حيث إن التعليم شيء وكسب المعاش شيء آخر.

٦ ـ إن اشتغال المرأة ببعض الوظائف التي لا تنبغي للرجال يعود على المجتمع بآثار طيبة ولذلك يتعين انصاف المرأة العاملة في مجال تخصصها بتخفيف أعبائها الوظيفية واكرامها عند تقدير الأجر وغيره من المزايا المكملة له[(١)].

وهكذا فإن موقف الإسلام واضح من عمل المرأة، ولذا يتعين على المهتمين بذلك الموضوع من مشرعين تربويين تفهم هذا الموقف حتى يمكن الحسم في مواقف الاختلاف، وحتى يتعين تطبيق ما جاء به الإسلام بشأن تلك القضية المهمة التي يرتبط بها العديد من القضايا والموضوعات الأخرى ذات التأثير السلبي على النشء.

---

١ ـ عبد السميع المصري: مقومات العمل في الإسلام، مصدر سابق، ص: ٩٤

خامساً: مجالات العمل كما حددها الإسلام

لقد جاء الإسلام زاخراً بالآيات والأحاديث التي تدعو المسلمين أن يلتمسوا أبواب العمل، وطلب الرزق، وأن يعتمد كل فرد على نفسه، وأن يبذل وسعه في طلب قوته وقوت من يعوله، حتى لا يكون عالة على غيره، يتجرع آلام الذل والمهانة، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من عمل يده»[1]، وقال: «إن أشرف الكسب، كسب الرجل من يده»[2].

والإسلام وهو يدعو إلى العمل ويشيد به لم يفرق بين كونه عملاً في المجال الزراعي أو الصناعي أو عملاً في المجال التجاري.. إلخ. بل ترك أبواب العمل ومجالاته كلها مفتوحة للإنسان يدخل من أي باب، ويسلك من أي مسلك، فكل عمل يبلغ بالإنسان غاية ويحقق له نفعاً من غير أن يؤذيه، أو يؤذي الناس معه هو عمل يزكيه الإسلام ويجزي عليه الجزاء الحسن[3].

وفي السطور القادمة سوف نتعرض لبعض هذه المجالات مستعينين بما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف لتوضيح أهمية العمل بها:

١ ـ التجارة:

فقد دعا الإسلام إلى التجارة بشقيها البري والبحري طلباً للرزق وتنشيطاً لحركة المجتمع، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله﴾[5].

---

١ ـ رواه البخاري: جـ ٤/٢٥٩

٢ ـ رواه النسائي.

٣ ـ عبد الكريم الخطيب: التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته، مصدر سابق، ص: ١٨٥.

٤ ـ سورة الجمعة، الآية ١٠

٥ ـ سورة النحل، الآية ١٤

كما طالب الدين الإسلامي التاجر بدراسة المباحث العلمية المتعلقة بعمله، وذلك قبل مزاولته التجارة، كيلا يؤذي المستهلكين بوزنه واحتكاره والوقوع في الإثم دون أن يشعر[1]، حيث قال تعالى: ﴿... ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا... ﴾[2]، وذلك بمعنى أن كل تاجر ليس بفقيه قد يأكل الربا، وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يطوف في السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول: لا بيع في سوقنا إلا من يفقه، وإلا أكل الربا شاء أم أبى[3].

ومن أجل المحافظة على أركان الإسلام فقد حذر الله سبحانه وتعالى من مغبة ترك الصلاة بحجة التجارة حيث قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع... ﴾[4]، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله... ﴾[5].

وهكذا يتضح ما تحتله التجارة من منزلة عالية في ديننا الحنيف.

٢ ـ الزراعة:

وقد رفع الإسلام من قيمة الزراعة وشجع الناس عليها ووعدهم بثواب عظيم، ذلك لأنهم يمثلون بعملهم المؤمنين الحقيقيين العاملين الذين يعمرون الأرض ويستخرجون خيراتها ويفيدون البلاد والعباد، وقد أكثر الله تعالى في كتابه من التذكير بما أنعم به من انتاج الزروع وخيرات الأرض حيث قال تعالى: ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء حي﴾[6]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ إنا صببنا الماء صباً. ثم شققنا الأرض شقاً. فأنبتنا فيها حباً. وعنباً وقضباً. وزيتوناً ونخلاً. وحدائق غلباً.

---

١ ـ عبد الكريم الخطيب: التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته، مصدر سابق، ص: ١٨٥.
٢ ـ سورة البقرة، الآية ٢٧٥.
٣ ـ عبد الكريم الخطيب: التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته، مصدر سابق، ص: ١٨٦.
٤ ـ سورة الجمعة، الآية ١٠.
٥ ـ سورة النور، الآية ٢٧.
٦ ـ سورة الأنعام، الاية ٩٩.

وفاكهة وأباً. متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[1]. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ أفرأيتم ما تحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟ ﴾[2].

وقد أكد الإسلام على المبدأ القائل: (ازرع ولا تقطع)، حيث حث المجاهدين على المحافظة على الشجرة في أثناء القتال، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ ... يوقد من شجرة مباركة زيتونة... ﴾[3]، إضافة إلى قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا انتم منه توقدون﴾[4].. وقد تناول رسول الله ﷺ ذلك بقوله: « إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فليغرسها ».

وفي ظل تلك التوجهات برزت بعض الأقوال لصحابة رسول الله ﷺ، حيث يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «ولا تقطعوا شجرة مشمرة، ولا تعقروا بعيراً إلا للأكل».

وتدعيماً لأهمية الزراعة والعمل بها كأحد مجالات العمل، فقد خصص الإسلام الأعشار عن الأراضي التي تسقى بماء السماء فقط، كما استثنى التجار والزراع الصغار من الضرائب «الزكاة». وقد ساعد هذا التشريع الراقي الدولة على فتح الترع والأنهار والسدود من جزيتها تشجيعاً للزراع ومساعدة لهم لتحقيق أهدافهم[5].

كما تناول الدين الإسلامي العديد من القيم المهمة كالتدبير الزراعي اليقظ، حيث وضع نظاماً للتموين وحض على الاحتفاظ بالحبوب في سنابلها في السنين المخصبة صيانة من السوس، وإبقاء عليها لأعوام القحط[6].

وفي ذلك الصدد قال سبحانه وتعالى: ﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم

---

١ ـ سورة عبس، الآيات ٢٥ – ٣٢.
٢ ـ سورة الواقعة، الآيتان ٦٣ – ٦٤.
٣ ـ سورة النور، الآية ٣٥.
٤ ـ سورة يس، الآية ٨٠.
٥ ـ محمود مهدي الاستانبولي: عظمة الإسلام، مصدر سابق، ص: ١٤٥.
٦ ـ محمود مهدي الاستانبولي: عظمة الإسلام، مصدر سابق، ص: ١٦٤.

فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصدون﴾[1].

ولا شك أن هذه الايات الكريمة تحمل في جوهرها العديد والعديد من المعاني السامية والتوجهات التي إذا أخذت بها الأمم الإسلامية وجعلتها نبراساً لها تبوأت مكانتها السامية بين الأمم كافة.

٣ ـ الصناعة:

جاء المجال الصناعي في العديد من المواضع سواء في القرآن الكريم أو الحديث الشريف، لتتأكد أهمية ونظرة الإسلام إليه، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين. والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾[2]. كما يقول تعالى: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم﴾[3]، وكذلك: ﴿وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾[4]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿ ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾[5]، ويقول أيضاً: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾[6].. وهناك العديد والعديد من الآيات والأحاديث التي تدعم ذلك المجال بمختلف أشكاله وأنواعه لتكون خير حافزٍ على العمل والاجتهاد به.

---

١ ـ سورة يوسف، الآيتان: ٤٧ – ٤٨.
٢ ـ سورة النحل، الآيتان ٨٠ ـ ٨١.
٣ ـ سورة الأنبياء، الآية ٨٠.
٤ ـ سورة الشعراء، الآية ١٢٩.
٥ ـ سورة هود، الآية ٣٨.
٦ ـ سورة سبأ، الآية ١٣.

٤ ـ الصيد:

كما احتل الصيد مكانة هامة في الدين الإسلامي حيث ورد ذكره في العديد من الايات المحكمات لتتأكد أهميته كمجال من مجالات العمل يرتادها أبناء المجتمع ويحث عليها ديننا الإسلامي الحنيف حيث يقول المولى عز وجل: ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا ﴾[٢]، اضافة إلى قوله تعالى:﴿ يا أيها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ﴾[٣]، كما يوضح سبحانه وتعالى بعض القواعد الخاصة بتلك المهنة حيث يقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾[٤].

بعد هذا نرى أن الدين الإسلامي لم يفرق بين مجال وآخر مادام لا يقع أي منها تحت بند التحريم، وقد كان رسول الله ﷺ يمثل الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة في ذلك، حيث تؤكد سيرته على قيامه بعلف البعير وقم البيت، وخصف النعل، ورقع الثوب، وحلب الشاة، وأكله مع الخادم وطحنه معه إذا أعياه التعب.. كما كان صلى الله عليه وسلم لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله[٥].

وفهم الصحابة عليهم رضوان الله هذه الدروس المستفادة وعملوا بهذا التوجيه، فكانوا يعملون في كل مجالات العمل، فسعد بن أبي وقاص المبشر بالجنة كان صانع نبال، وبلال كان خادماً لرسول الله ﷺ ومؤذنه، وسلمان الفارسي كان حلاقاً، وخباب بن الأرت كان حداداً، وعبد الرحمن ابن عوف كان تاجراً[٦].. كما كان الإمام أبو حنيفة يعمل تاجراً للأقمشة، وأحمد بن حنبل حين تضيق به الحال يكتب الكتب بأجر.

---

١ ـ سورةالمائدة، الآية ٩٦.

٢ ـ سورة المائدة، الآية ٢.

٣ ـ سورة المائدة، الآية ٩٤.

٤ ـ سورة المائدة، الآية ٥٩.

٥ ـ محمود مهدي الاستانبولي: عظمة الإسلام، مصدر سابق، ص: ١٤٥.

٦ ـ سعيد حوى: الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨١، ص: ٣٠٧.

وهكذا يتضح من خلال العرض السابق أن مفهوم الإسلام والمسلمين للعمل شامل للفاعلية الاقتصادية المشروعة مقابل أجر أو مال سواء أكان هذا العمل جسمياً مادياً كالحرف اليدوية أم فكرياً[٢] كالولاية وسائر الوظائف، فكل جهد وعمل مشروع مادي أو معنوي أو مؤلف منهما هو مجال عمل في نظر الإسلام، وعلى ذلك يكون المجتمع في نظر الإسلام مؤلفاً من مجموعة من العاملين يسمون عمالاً، وهذا المفهوم يتفق مع أصلين عظيمين في الإسلام هما:

١ ـ تقرير المساواة بين الناس أمام القانون من حيث كونهم بشراً لهم كرامتهم وإن تفاوتت قدراتهم ومزاياهم ودوائر عملهم وأجورهم، فكل منهم عامل في المجتمع الإسلامي يسد ثغرة ويقدم خدمة.

٢ ـ أن المجتمع الإسلامي فريق واحد يتألف من تعاون العاملين فيه، وليس العمال فريقاً من المجتمع كما في الأنظمة الرأسمالية والاشتراكية، بل العمال هم المجتمع كله، صاحب رأس المال يقدم ماله وخبرته، وصاحب العمل يقدم جهده وصنعته، وهدف الجميع ابتغاء فضل الله والقيام بواجب الاستخلاف في الأرض وتعميرها وحسن استثمارها[١].

---

٢ ـ ابراهيم زيد الكيلاني: في الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٣٣٤.



تطور المهن والفنون في المجتمع الإسلامي

تمهيد

أولاً: تطور المهن والمجالات المختلفة في المجتمع الإسلامي

ثانياً: الفن الإسلامي

ثالثاً: تطور مهنة التعليم

رابعاً: نماذج من عمل المدرس عبر القرون المختلفة

الفصل الثاني

تطور المهن والفنون في المجتمع الإسلامي

تمهيد:

كان العرب قبل الإسلام يسكنون الجزيرة العربية ذات الطبيعة الصحراوية، حيث تأثرت حضارتهم بتلك الطبيعة، فقد كانوا دائمي التنقل، كثيري المعارك والمنافسات، دائمي التصارع، نتيجة الاختلاف في العادات والأعراف الخاصة بقبائل تلك الجزيرة[١].

وعندما ظهر الدين الإسلامي في تلك البقعة التي كانت تقع على أطراف امبراطوريتين عظيمتين ذواتي حضارة كاملة وفنون عريقة هما: الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية، استطاع محمد عليه الصلاة والسلام السيادة على بلاد الحجاز بعد أن وحد بين أهلها وبعث في نفوسهم ايماناً شاملاً بالدين الجديد، ونتج عن ذلك مجتمع اسلامي منظم متماسك[٢]، انتشرت رايته في كثير من الدول بسرعة فائقة ليمثل قلب العالم القديم شرقه وغربه[٣]، وصار الإسلام يمثل حضارة تضم كل

---

١ ـ نعمت اسماعيل: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، (د.ت) ص: ١٤.

٢ ـ نفس المرجع السابق، ص: ١٤.

٣ ـ محمد سعيد الشفعي وآخرون: تاريخ الحضارة الإسلامية، وزارة المعارف، (ط٢)، السعودية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص:٢٤٤.

العناصر النافعة من الحضارات السابقة عليها والمعاصرة لها، فانتقت من تلك العناصر ما لا يتعارض مع روحها وقيمها ومثلها، وأصلحت ما يتطلب الإصلاح والتعديل ونبذت ما عندها من مساوئ وانحرافات لا يقرها الدين والعقل[1].

ولم تقف الحضارة الإسلامية عند هذا الحد، بل شاركت عن طريق الخلق والإبداع والابتكار ببناء الحضارة البشرية فتوصل علماؤها إلى ما لم يتوصل إليه غيرهم من عناصر حضارية جديدة، أثرت الحضارة الإنسانية على مر العصور في سائر المهن والفنون، ولذلك لم يكن عجباً أن تظفر حضارة من الحضارات العديدة التي شهدها العالم في العصور الوسطى بمثل ذلك القدر من العناية التي ظهرت بها الحضارة الإسلامية التي انعكست على الدراسات والكتابات والمؤلفات الخاصة بتطور تلك الحضارة التي أظهرت فضل الإسلام والمسلمين في تقدم الزراعة والصناعة والفنون ورقي الحياة العامة والخاصة، ولعل أبلغ دليل على ذلك كتابات المفكر الأوروبي (داربر) التي قارن فيها التقدم الذي تعيشه الدول الإسلامية بنقيضه في المجتمعات الأوروبية[2].

وفي ضوء الهدف من طرح هذا الفصل الذي يتجلى في إلقاء الضوء على التطور في المهن والفنون ومهنة التعليم في صدر الإسلام، فإننا سوف نحاول عرضا لبعض النماذج المرتبطة بهذا الصدد وذلك من خلال المحاور الآتية:

أولاً: تطور المهن والمجالات المختلفة في المجتمع الإسلامي.

ثانياً: الفن الإسلامي.

ثالثاً: تطور مهنة التعليم.

رابعاً: نماذج من عمل المدرس عبر القرون المختلفة.

١ـ محسن عبد الحميد: منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، مؤسسة الرسالة، (ط١)، بيروت، ١٩٨٣، ص:١١٥.

٢ ـ لمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى:

عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ت)، ص:١٦.

أولاً: تطور المهن والمجالات المختلفة في المجتمع الإسلامي

١ ـ الصناعة:

تعدّ مهنة الصناعة أحد مظاهر النشاط البشري العملي، وأحد مرتكزات الحضارة المادية القائمة على ما توصل إليه الإنسان من علوم ومهارات.. فالعرب قبل الإسلام لم يكن لصناعاتهم وفنونهم طابع قومي مميز خاص بهم إلا الدول التي عاشت على وادي النيل ودجلة والفرات. ولما جاء الإسلام تمكن حملة مشعل هذا الدين الحنيف من قادة ومجاهدين من رفع راية الإسلام في كثير من تلك الدول التي فتحوها بسرعة فائقة، وأصبحت الدول الإسلامية تحتل قلب العالم القديم شرقه وغربه، واعتنق العديد من سكان ذلك العالم الدين الإسلامي[١]، واختلطوا مع غيرهم من الحرفيين الذين ينتمون إلى الديانات الأخرى كاليهودية والمسيحية[٢]..

واقتبس المسلمون من هؤلاء جميعاً ما توصلوا إليه من صناعات وفنون فتجلت في البداية الآثار الفارسية في صناعة النسيج، واليونانية في صناعات القيانات والإسطرلابات وآلات الحرب والمجانيق والعدادات والدبابات وآلات النفط، كما وجدت التأثيرات الصينية في عمل الصباغين والدباغين والخراطين، على حين وضحت التأثيرات الهندية في صناعة السيوف[٣].

ثم بعد ذلك قام المسلمون بتطوير تلك الصناعات، بحيث أصبحت تحمل طابعاً اسلامياً مميزاً، ولقد زود المسلمون العالم بمختلف العلوم والمعارف، وقدموا لهم النظم الإدارية والقضائية المتعددة، وزودوهم أيضاً بالمزيد من الصناعات والفنون التي كانت ومازالت من مفاخر الأمة الإسلامية[٤].

---

١ ـ محمد سعيد الشفعي وآخرون: تاريخ الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٣٤٣.
٢ ـ المرجع السابق، ص: ٣٤٣.
٣ ـ المرجع السابق، ص: ٣٤٤.
٤ ـ المرجع السابق، ص: ٣٤٤.



وفي السطور القادمة سوف نحاول استعراض نشأة بعض المهن والصناعات وتطورها وازدهارها في العالم الإسلامي كنماذج تأكيدية للدور الذي لعبه الإسلام في تطوير الحضارة والمدنية ليس في العالم العربي أو الإسلامي فقط، ولكن في العالم بأسره:

● **صناعة الأقمشة:**

يعدُّ الملبس أحد الإشباعات الأساسية التي يحتاج إليها جسم الإنسان (المأكل - الملبس - المسكن) ومثلما كانت صناعة الملابس ذات أهمية، كانت زينة البيوت بالستائر والسجاد مهمة كذلك.

وقد تنوعت الملابس والستائر من بلد لآخر حتى أصبحت تمثل علامة ودلالة مميزة لكل دولة، وفيما يلي استعراض لما قام به المسلمون في عهودهم المختلفة من اثراء أنواع متعددة من هذه الصناعة الهامة.

فقد بدأت عنايتهم بهذه الصناعة منذ العهد الأموي، وذلك باستخدام المنسوجات الفاخرة بتأثير الرفاهية، وزوال عهد الزهد والبساطة أيام الخلفاء الراشدين، وبزيادة الترف في العهد العباسي نشطت دور النسج في أنحاء الدولة العباسية لإنتاج أفخر المنسوجات للخلفاء.

وقد أنشئت لهذه الصناعة مصانع النسيج الحكومية في مصر، وقد عرفت هذه المصانع باسم «دار الطراز»، ومن أجل نشر هذه الصناعة أمدت الحكومة الطولونية الحكام في بغداد وسائر البلاد الإسلامية بالمنسوجات الكتانية والحريرية، الأمر الذي ساعد على انتشارها وازدهارها على مر العهود الإسلامية.. وقد تنوعت تلك الصناعة لتشمل المنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والصوفية، وزينت بخيط الذهب والفضة، وصبغت بصبغات نباتية كالأزهار والأوراق، ويذكر أن هذه الصناعات قد لقيت تشجيعاً خاصاً في أقاليم الدول العربية الإسلامية المختلفة[1].

---

١ - محمد سعيد الشفعي وآخرون: تاريخ الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٣٥٤.

● **صناعة السجاد:**

وهناك نوع آخر من صناعة المنسوجات اشتهرت به البلاد الإسلامية ألا وهو صناعة السجاد والبسط، وقد كانت هناك ثلاثة أنواع للسجاد الإسلامي هي:

ـ سجاد الجدران.

ـ السجاد الذي تفرش به أراضي الغرف والممرات والأبهاء.

ـ السجاد الذي تزين به أراضي الغرف وليس للسير عليه.

وهناك أنواع أخرى صغيرة منها سجاد الصلاة والأغطية التي تستخدم للوسائد والنمارق والمقاعد وغيرها.

ويرجع الفضل إلى السلاجقة في نشر صناعة السجاد في بلدان العالم الإسلامي، ولقد عرف المسلمون هذا السجاد بعد اعتناق هذه القبائل للدين الإسلامي.

وفي عصر الدولة الصفوية الفارسية بإيران بلغت صناعة السجاد عصرها الذهبي حيث زاد انتاج السجاد لكثرة الطلب عليه.

أما في العصر العثماني فقد اشتهرت آسيا الصغرى بالسجاد الذي غلبت عليه ميزات السجاد التركماني الذي جلبته تلك القبائل معها لدى استيطانها في آسيا الصغرى[1].

● **صناعة الورق:**

كان الناس قبل ظهور صناعة الورق يستعملون للكتابة الجلد وورق البردي وألواح الطين. وقد بدأت صناعة الورق عند الصينيين، ومن الصين انتقلت إلى سمرقند في بلاد ما وراء النهر، ولما فتح المسلمون هذه البلاد عام ٩٤ هجرية تعاملوا بتلك الصناعة وأدخلوا عليها تحسينات جوهرية، ومن سمرقند نقل المسلمون صناعة الورق إلى بغداد، ومن بغداد إلى بلاد الشام ومصر ثم الأندلس، ومن الشمال الإفريقي نقل

---

١ ـ المصدر السابق، ص: ٢٦٠.

المسلمون صناعة الورق مما جعله سبباً في شيوع الكتب وانتشارها[1].

- **صناعة الأدوية والعقاقير الطبية:**

لقد عرف المسلمون تأثير الأعشاب في الشفاء من الأمراض، ولذلك استخرجوا منها العديد من الأدوية التي استعان بها الأطباء في المشافي، وقد انتشرت هذه الأدوية والعقاقير حتى أصبحت في متناول الناس عامة.

وإضافة إلى العقاقير النباتية قام المسلمون على نحو لم يسبقهم إليه أحد من قبل بإجراء تجارب كيماوية عديدة من أجل تحويل المعادن وعزل المواد بعضها عن بعض، وكانت تلك التجارب المقدمات الأولى لقيام علمين فيما بعد هما علم الكيمياء العضوية وعلم الكيمياء غير العضوية، وقد استخدم المسلمون الأواني الزجاجية لحفظ المواد الكيماوية وبالإضافة إلى ذلك تمكن علماء المسلمين وعلى رأسهم أبو بكر الرازي الذي توفي عام ٩٢٥م من استخدام التقطير في استخراج مواد طبية وزيوت وغيرها، كما برع العرب بصناعة أنواع الضمادات والمساحيق والمواد اللاصقة وغيرها.

كما اشتهر المسلمون بعلم الجراحة وقاموا بصناعة أدواتها، وكان العرب أول من افتتحوا الصيدليات العامة[2]، وكذلك أول من قاموا بتحضير (الآقريازين) أي الأدوية ويرجع الفضل إلى ابن البيطار في اكتشاف ما يقرب من ألف وأربعمائة نوع من دواء النباتات.

كما عرف المسلمون الرقابة علم الصيادلة والصيدليات، وكانوا أول من أسس مدارس الصيدلة، ووضع المؤلفات فيها كما أنهم عرفوا التخدير في العمليات الجراحية، وكذلك أول من أسسوا العلوم الطبيعية وركائزها[3].

---

١ ـ المصدر السابق، ص: ٢٤٥.

٢ ـ محمد سعيد الشفعي وآخرون: تاريخ الحضارة الإسلامية ،مصدر سابق، ص: ٢٦٢

٣ ـ المصدر السابق، ص: ٢٤٣.

- **صناعة الأصباغ:**

اشتهر المسلمون بهذه الصناعة واعتنوا بها مثل عنايتهم بالصناعات الأخرى لما للصبغة من أهمية في كثير من المجالات، إذ كانوا يستخدمونها في تلوين المنسوجات والسجاد والبسط، بالإضافة إلى الأواني الخزفية والزجاجية والقيشاني، والفسيفساء، والزخارف الجصية والكتابة والمصنوعات الجلدية وغيرها من الصناعات والفنون الجميلة، ونظراً لكثرة استخدام الأصبغة في الصناعة والفن الإسلامي فقد أوجد المسلمون معامل تحضيرها في العديد من البلدان الإسلامية[1].

- **صناعة تكرير السكر:**

لقد كان السكر الذي يعرف باسمه العربي في عدد من اللغات الأوروبية من مآثر المسلمين الحضارية، وعلى الرغم من أن صناعته ليست اختراعاً عربياً إلا أن المسلمين شاركوا مشاركة كبيرة في تطويرها ونشرها في بلدان العالم.

وقد عرف السكر في بلاد الهند من القدم، في عام ٥٠٠ من الميلاد نجح الفرس في زراعة السكر في سهول العراق الجنوبية، وأنشؤوا معامل لتكريره في بلاد فارس، وعندما فتح المسلمون العراق وفارس والهند عملوا على نشر زراعة قصب السكر في جميع أنحاء الدولة الإسلامية وقد ساعد على ذلك ملاءمة ظروفها لإنباته، وأسسوا معامل لتكريره في سوريا ومصر وقبرص وبحر قزوين وشمال افريقيا وصقلية والأندلس، وكانت هذه المعامل تنتج كميات كبيرة من السكر النقي بحيث تغطي - ولمدة طويلة - استهلاك العالم الإسلامي، وزاد الاهتمام بزراعة القصب في عهد الدولة الفاطمية باعتباره عماد صناعة السكر والعسل[2].

- **صناعة زيت الزيتون:**

وقد استحوذت هذه الصناعة على عناية خاصة من قبل المسلمين لما له من فوائد غذائية وصحية، وقد استخدم المسلمون الزيت في الإضاءة وبعض الجوانب العلاجية،

---

١ ـ المصدر السابق، ص:٢٦٥.

٢ ـ محمد سعيد الشفعي وآخرون: تاريخ الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٥٢.

ولا يزال حتى الآن يصفه الأطباء لمن يعانون من الرهل والحصوة.

ولقد اشتهرت بلاد الشام والشمال الأفريقي والأندلس بصناعته كما اشتهرت بذلك حلب. وبآبار الزيت التي كانت تختزن بها كميات كبيرة منه كما اشتهرت مدينة نابلس بهذه الصناعة ومازالت شهرتها باقية حتى الآن، وكانت تونس وخاصة مدينة صفاقس ابان القرن الرابع الهجري تنتج كميات كبيرة من الزيت، وتصدر ما يزيد على حاجتها إلى ايطاليا[١].

● **صناعة الجلود والتجليد:**

اشتهر المسلمون بصناعة الجلود التي كانوا يستخدمونها في أغراض كثيرة مثل: الحقائب والأحذية والسيور والدروع والسروج وغير ذلك، وقد اشتهرت الفسطاط بمصر بمعمل لأنطاع (الجلود) التي كانت تصدر إلى بلاد الشام.

وقد عني المسلمون بتجليد المصاحف والكتب، والتفنن في تلك العملية، وقد شهدت تلك الصناعة نهضة ملحوظة بسبب رغبة الحكام المسلمين في انتاج المصاحف الجميلة، من حيث العناية بالخط والتجليد والزخرفة ولم يقتصر فن التجليد على المصاحف فقط، بل شمل أيضاً صناعة الجلود بوجه عام[٢].

● **صناعة السلاح:**

عني المسلمون بصناعة الأسلحة والتدريب على استعمالها في مختلف العصور الإسلامية ومن بينها السيف والرمح والقوس والترس والدرع اضافة إلى آلات الحرب الأخرى المستخدمة في الحصار مثل المنجنيق والدبابة والكيش.

ومما يذكر أن السيف كان يعد أشرف الأسلحة، وينسب إلى أماكن صناعته مثل: السيوف اليمانية والهندية والسلمانية والخراسانية والدمشقية، كما اشتهرت الأندلس والمغرب بصناعة السيوف أيضاً.

---

١ ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية والإسلامية، منشورات ذات السلاسل ـ الكويت.
٢ ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية والإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٧٥.

كما تفنن المسلمون بالرمي حتى صنعوا من الأقواس آلات مركبة كالمجراة التي يقذف منها السهم، كما تقذف الرصاصة من البندقية اليوم. كما صنع العرب ضرباً من المجانيق (توضع السهام وترمى عليها بالأقواس)، كما تفنن المسلمون في صنع الأتراس ونقشوا عليها الحِكَم والأشعار[1].

وقد اختلفت مواد صنع تلك التروس لتشمل الحديد والخشب المكشوف أو المغطى بالجلد، وحرص المسلمون على اتقان صناعة الدروع بحيث تقي مرتديها ضربات الأعداء[2].

ونظراً لاتصال البارود بمعدات القتال الإسلامية، فقد نقل المسلمون من بلاد الصين المادة الأساسية التي تدخل في صناعة البارود وهي البوتاسيوم، وقاموا بإدخال تحسينات على ملحه وتخليصه من شوائبه ثم بعد ذلك استطاعوا انتاج البارود، وهذا ما أكده أحد باحثي المسلمين منذ سبعة قرون*.

● صناعة الآلات الفلكية وبناء المراصد:

جذب علم الفلك اهتمام علماء المسلمين في المشرق والأندلس لمعانيه ودلالته الدينية العميقة، والتي تتمثل في تحديد أوقات الصلاة واتجاه القبلة، وقد دعا ذلك إلى اهتمام المسلمين برصد النجوم ومعرفة حساباتها، ومن أجل هذا بنوا المراصد التي من أشهرها مرصد بغداد والقاهرة وقرطبة وطليطلة وسمرقند، كما اخترعوا الآلات الفلكية، ومن بينها الإسطرلاب بأنواعه حيث كان الإسطرلاب المسطح أفضل آلة قياسية وأكثرها منفعة واستعمالاً عند المسلمين، واستطاعوا تطويره والسير به خطوات واسعة، وصنعوا منه أشكالاً عديدة ملائمة لكثير من الخدمات والأهداف فأوجدوا

---

١ ـ محمد سعيد الشفعي وآخرون: تاريخ الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٣٠١.

٢ ـ المصدر السابق، ص: ٣٠١.

(*) حيث أكد حسن الرماح السوري عام ١٢٨٠م في كتابه المسمى بالفروسية والمناصب الحربية عند حديثه عن الناريات: أن البارود اختراع إسلامي، بفضل ما قاموا به من تنقية مادته من الشوائب، وكذلك اضافتهم الفحم والكبريت من أجل فعالية البارود.

الإسطرلاب الدائري والبيضاوي والمستطيل. وقوبلت هذه الآلات بحماس شديد في أوروبا، وعمد كثير من الأوروبيين إلى اقتنائها.

ومما هو جدير بالذكر أن للعرب فضلاً كبيراً في علم الجغرافيا الذي يرتبط بطبيعة الحال بتفوقهم في علم الفلك[1].

● **صناعة السفن:**

لم يُعنَ العرب في صدر الإسلام ببناء السفن من أجل استخدامها، وذلك لعدم تعودهم ركوب البحار ولعدم معرفتهم بأحوالها، إلا أنه بعد أن فتح المسلمون بلاد الشام ألح معاوية على الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يأذن له بغزو بلاد الروم بحراً إلا أنه لم يوافق لعدم خبرة المسلمين بالقتال في البحر في ذلك الوقت.

ولما تولى الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه أعاد معاوية الطلب فأذن له شريطة ألا يكره أحداً على ذلك، فكان الغزو الإسلامي لجزيرة قبرص، وقد عني معاوية بن أبي سفيان كثيراً ببناء السفن لاستخدامها في صد غارات البيزنطيين على البلاد الإسلامية، فأنشأ داراً لصناعتها، مستخدماً الأخشاب التي تكثر في بلاد الشام.

وقد ازداد اهتمام المسلمين ببناء السفن في العهد الأموي، فكثرت دور صناعتها في موانئ البحر المتوسط مثل عكا والأسكندرية وغيرهما.

كما تم بناء المنارات ليهتدي بها ربابين السفن ونظموا قيادة السفن والأساطيل بأن جعلوا لكل سفينة قائداً يتولى أمر الملاحة[2].

وفي العهد العباسي، والدول التي قامت خلاله زادت العناية بصناعة السفن، فقد جعل الطولونيون من جزيرة الروضة أحواضاً للسفن، كما جعل الإخشيديون من الفسطاط داراً لصناعتها.. أما الفاطميون فقد اهتموا كثيراً ببناء السفن للقتال ضد المسيحية، وذلك من أجل بسط السيادة على البحر الأبيض المتوسط.. وفي بلاد

---

١ ـ محمد سعيد الشفعي وآخرون: تاريخ الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٨٤.

٢ ـ المصدر السابق، ص: ٢٦٨.

المغرب اهتم المرابطون في عهد يوسف بن تاشفين ببناء السفن، وقد استمر ذلك في عهد ابنه أيضاً.

وقد استمرت العناية بإعداد الأسطول الذي برزت قوته القتالية في الحرب مع النورمانديين حكام صقلية، وافتتحوا المدارس لتدريب العاملين في تلك السفن على الأساليب الحربية.

أما في العهد الأموي في الأندلس، فقد اهتم الحكام المسلمون ببناء السفن، وكانت الجزيرة الخضراء في جنوب الأندلس أهم دور لصناعة السفن.

ولم يقتصر اهتمام المسلمين بتلك الصناعة للأغراض الحربية فقط، بل امتد اهتمامهم بصناعتها إلى الأغراض التجارية، وقد ساعد ذلك على انتشار الصناعات الإسلامية في كثير من أقطار العالم، كما أصبحت موانئ البحر المتوسط الإسلامية مراكز تجارية ذات شهرة عالمية[1].

وهكذا يتضح من خلال العرض السابق التطور الذي لحق بالصناعات والمهن المختلفة على مر العصور الإسلامية وإبان الحضارات المختلفة في كل البلدان العربية والإسلامية.

ولا شك أن ما يدعو إلى التأكيد في هذا المجال هو انفتاح المسلمين العرب على شتى بقاع العالم للإفادة والاستفادة، إذ إن محاولة نقلهم لإحدى الصناعات الأجنبية لم تقتصر على النقل فقط، وانما تعدتها إلى التطوير والتحديث، ثم اعادة نقلها مرة أخرى إلى بلاد العالم المختلفة، أضف إلى ذلك أن العرب المسلمين لم يكتفوا بالتخصص في مهنة أو حرفة صناعية واحدة، بل تميز تطورهم الصناعي بالشمول والتكافل حتى برعوا في العديد من الصناعات ليؤكدوا فضل الإسلام على العالم ويدحضوا بعض الأقاويل التي يرددها المغرضون في هذا الشأن التي تحاول النيل من الإسلام، ولكن ما يعزينا في هذا الصدد أن هناك بعض المنصفين الغربيين الذين

---

١ ـ المصدر السابق، ص: ٢٦٨.

يتصفون بالحيدة ويعملون من آن إلى آخر على التوصل للأدلة والبراهين التي تؤكد تفوق الإسلام والمسلمين ليس في مضمار الصناعة فقط، ولكن في شتى المجالات.

٢ ـ الزراعة:

بات التطور الزراعي كمياً ونوعياً واضحاً بعد انتشار الإسلام، حيث استطاع المسلمون الأوائل بقوة ايمانهم وعقيدتهم أن ينشروا دين الله وينشروا الخير للناس جميعاً بعد أن كونوا دولة اسلامية فسيحة الأرجاء تستظل بظل الإسلام، وبما فيه من حق ووعد وعلم، واتقنوا الزراعة باعتبارها نشاطاً هاماً يساعد على ازدهار دولتهم وزادوا من انتاجها[١].

وقد روى البخاري حديثاً نصه: قال رسول الله ﷺ:«ما بالمدينة أهل بيت هجرة لا يزرعون على الثلث أو الربع».. وأعمر صلى الله عليه وسلم أرض خيبر بالنصف.. ولما رأى صلى الله عليه وسلم يداً خشنة من أثر المسحاة قال: «هذه يد يحبها الله ورسوله».

وقد سار على هذا المنهاج قادة المسلمين، وقد أمر معاوية بن أبي سفيان باستصلاح الأراضي البور.. واهتم الأمويون بتجفيف المستنقعات بين البصرة والكوفة وبنوا السدود.. وفي تطور آخر في عهد الدولة العباسية زادت العناية بأراضي السواد، وعدّت الدولة المحافظة على شق القنوات وتجديدها من صميم أعمالها الخاصة[٢].

كما نشطت الزراعة في الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل، وامتدت آثار تطورها حتى وقتنا الحاضر، حيث نجد أن نظام الري المتبع حالياً في اسبانيا يمثل أثراً من آثار المسلمين اضافة إلى ادخالهم زراعة البرتقال وقصب السكر والقطن إليها حيث حولوا سهولها إلي حدائق غناء[٣].

١ ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٣٤.
٢ ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، دار القلم، (ط٢)، بيروت ـ دمشق، ١٩٨٠، ص: ١٦٦.
٣ ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٣٤.

٣ ــ التجارة

ولما كان هناك ارتباط وثيق بين تطور التجارة وتقدم سائر المجالات المهنية الأخرى، فقد ألقى التطور الصناعي والزراعي والفني بظلاله على حركة التجارة وامتداد نشاطها في ظل الفتوحات الإسلامية المتتالية اضافة إلى توافر مناخ حرية التنقل للتجارة في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية بعيدة الأطراف من سواحل افريقيا إلى الصين وإلى جزر الهند الغربية والشرقية إلى بلاد الملايو من منطلق ايمانهم برسالتهم وحق الإنسان في أن يعطي ويأخذ وأن يتأثر ويؤثر[١].

وإذا كان ذلك المجال قد شهد تطوراً كبيراً في تلك الفترة - كما سبق أن أوضحنا - إلا أنه قد بلغ أوجه في العصر العباسي واتساع رقعة الدولة الإسلامية وتنوع أقاليمها واختلاف سلعها، وقد شجع الخلفاء التجارة فحفروا الآبار وبنوا الخانات على طول طرق قوافل التجارة[٢].

وهكذا فقد كان لتطور التجارة أثر كبير في خروج الحضارة الإسلامية من حدودها الضيقة إلى حدود واسعة الأرجاء تشمل شعوباً كثيرة، وأجناساً متباينة وتعيش تحت لواء عقيدة واحدة، وهذا ما جعلها حضارة عالمية نبعت منها الحضارة الأوروبية[٣].

ولعلنا من السطور السابقة قد استطعنا تقديم ملمح سريع عن التطور في المجالات المهنية المختلفة التي توضح الشمول والتكامل بينها، وتؤكد أيضاً على التقدم المذهل الذي أحرزه المسلمون في هذه المجالات، ليرسوا بذلك دعائم أفضل حضارة على مر التاريخ الإنساني.

---

١ - المصدر السابق، ص: ١٩٢.
٢ - المصدر السابق، ص: ١٩٣.
٣ - المصدر السابق، ص: ١٩٢.

ثانياً: الفن الإسلامي

يمثل الفن الإسلامي جانباً هاماً من جوانب الحضارة الإسلامية[1]، ويشمل هذا الجانب قسمين أساسيين: الأول يضم الفنون التشكيلية، ويحوي الثاني الفنون التطبيقية.. أما الفنون التشكيلية فتتمثل في النحت والتصوير والخط العربي.. بينما تتمثل الفنون التطبيقية في الصناعات المختلفة التي ازدهرت في العالم الإسلامي، ووصلت إلى مستوى رفيع من الجودة والإتقان الفني مثل التحف الخزفية والزجاجية والتحف المصنوعة من الخشب والعاج والمعادن والبلّور الصخري والنسيج والسجاد والجلود وغير ذلك[2].

نظرة تطورية:

ازدهرت بعض أنواع الفنون مثل عمارة المدن والتصوير والنحت لدى بعض الدول العربية القديمة خاصة في اليمن والتبراء وتدمر، ولم تتطور مثل هذه الفنون عند عرب الحجاز قبل الإسلام، وعندما قامت دولته واتسعت رقعتها فشملت بلاداً واسعة، نشأت في المجتمع الجديد وتطورت فيه فنون مختلفة تعد من أهم مظاهر حضارته، ولا تزال هذه الفنون ماثلة في البلاد الإسلامية والبلاد التي وصلت إليها حضارة الإسلام، وخير مثال على ذلك ما يوجد في بلاد العراق والشام وتركيا وايران وفي مصر وشمال افريقيا والمغرب والأندلس والهند وباكستان.

وإذا كان من المعروف أن الفنون التي تنشأ عند مختلف الأمم تتأثر عادة بعوامل مختلفة، حيث إنها تأخذ الفنون التي سبقتها وتتأثر كذلك بفنون البلدان المجاورة، فإن الأمر يختلف بالنسبة للمسلمين الذين استفادوا من التقاليد الفنية التي كانت سائدة

---

١ ـ عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، مصدر سابق، ص: ٩٩.

٢ ـ شوقي أبو خليل: الحضارة الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، (ط١)، ليبيا، ١٩٨٧، ص: ٢٥٣.

في البلاد التي فتحوها مع الأخذ في الاعتبار أن هناك محددات تمثلت في تعاليم الإسلام وطبيعة المجتمع، حدت على تحديد الإطار الهام للفنون الإسلامية وأعطتها خصائصها العامة المميزة[1] . وذلك من خلال الالتزام بالإباحة أو التحريم، ولعل أهم الفنون التي استفاد منها المسلمون فنون ما قبل العرب من الفرس والبيزنطيين والأقباط وبمعنى أكثر تحديداً من الفنون البارثية والساسانية.

ولقد ارتفعت مكانة الفن الإسلامي في تلك الآونة ليصبح في مكانة الصدارة، وسيستفيد منه كثير من الدول، وتظل آثاره باقية في كثير من أرجاء المعمورة[2] ، حيث تحمل مراحل تطوره الكثير من المعاني وتتضمن العديد من المراحل التي تؤكد أصالته، فقد بدأت معالمه تظهر منذ العصر الأموي، ثم تطورت من جيل إلى آخر، ومع الزمن ظهرت أنماط مختلفة من العمارة والتصوير والزخرفة ارتبطت بفترات زمنية معينة أو بأقاليم محددة في العالم الإسلامي، مع الأخذ في الاعتبار اشتراكها جميعاً في خصائص عامة.

ولعل من أهم العوامل التي ساعدت على تطور الفنون الإسلامية وثرائها استعداد الحكام المسلمين للاستفادة من الصناع والفنانين الذين ينتمون إلى أجناس مختلفة وأديان متباينة[3] .

وعندما خلفت بغداد دمشق بعد ذلك، وتسلم العباسيون الحكم من الأمويين وقعوا تحت التأثير الفارسي في الفن الذي بلغ قمته في بناء قصور الأمراء، وانتقلت أساليب العباسيين في الفن إلى أرجاء الدولة الإسلامية، ومع ضعف الدولة العباسية وظهور الحركات الانفصالية وقيام الدول المستقلة، نشأت أنواع من الفنون المحلية المستقلة مثل الطراز الفاطمي في مصر والشام، والطراز الأيوبي فالمملوكي، ثم بعد ذلك دخل

---

١ ـ عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، مصدر سابق، ص: ٩٩.

٢ ـ انظر:

ـ محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، (د.ت)، ص:١٢١.

ـ نعمت اسماعيل: فنون الشرق الأوسط، مصدر سابق، ص: ٤٤.

٣ ـ محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، مصدر سابق، ص: ١٢٧.

الفن مرحلة جديدة هي مرحلة الفن العثماني الذي بدأ بسيطرة الدولة العثمانية[١].

وهكذا فإن الرقعة الجغرافية للفن الإسلامي أصبحت شاسعة من أندونيسيا وحتى الأندلس، بما في ذلك افريقيا الغربية، وممتدة زمنياً من القرن السابع وحتى القرن السابع عشر، وأصبح للفن الإسلامي شخصيته وطابعه المميز بين فنون الأمم، بداية من العمارة وزينتها وحتى الفنون الصغرى المختلفة[٢] التي عنيت عناية خاصة بالشمول والتكامل، ولاسيما في النفس البشرية مادياً وروحياً[٣]، حيث إنه يأخذ من الإسلام شموله وسعته وتعبيره عن نظرة الكون والحياة والإنسان[٤].

وإذا كنا قد حاولنا من خلال ما سبق تقديم ملمح سريع شامل لتطور الفنون الإسلامية من خلال العهود المختلفة فإن الدقة تقتضي مزيداً من التفاصيل من خلال عرض لتطور بعض نماذج هذا الفن على النحو التالي:

أ ـ العمارة:

للعمارة الإسلامية شخصيتها وطابعها المميز الذي تتبينه العين مباشرة، سواء أكان ذلك نتيجة للتصميم الجمالي أم العناصر المعمارية المميزة أم الزخارف المستعملة[٥].

ولاشك أن المسجد الإسلامي يمثل النموذج الأساسي الذي يمكن اتخاذه دليلاً وشاهداً على تطور فن المعمار في تلك الحقبة الزمنية، نظراً لأنه يحتل مكانة خاصة في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية عند المسلمين، وهو أقدم الأبنية التي اهتم بها المسلمون، فعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة واستقر بها اتخذ مسجداً كان يمثل

---

١ ـ نعمت اسماعيل: فنون الشرق الأوسط، مصدر سابق، ص:٧٥.

٢ ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية والإسلامية، مصدر سابق، ص: ٤٩٠.

٣ ـ المصدر السابق، ص: ٤٩٦.

٤ ـ المصدر السابق، ص: ٤٩٧.

٥ ـ نعمت اسماعيل: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، مصدر سابق، ص:٢٢.

المركز العام للمسلمين، وعلى هذا الهدي اتخذت معظم القبائل التي أسلم أفرادها في المدينة مساجد خاصة بهم[1].

وأصبح للمساجد الإسلامية نظام خاص لا تخرج عنه، استمدته من المسجد الأول الذي أقامه النبي ﷺ في المدينة حيث يبنى جزء أوسط يسمى صحناً وهو سماوي في الغالب، وتحيط به أروقة بها بوائك[2] أكبرها رواق القبلة وفيه المحراب وعلى يمينه المنبر، ويحمل السقف أعمدة من الرخام أو الحجر[3].

وقد كانت هذه المساجد مربعة الشكل فيها رحبة واسعة تحتوي على المضيأة وفي جهة القبلة بيت للصلاة فيه ظلة يقام على أعمدة، ويلاصق المسجد عادة دار الإمارة، وقد بنيت هذه المساجد من اللبن والطين، ثم أعيد بناؤها في العصر الأموي[4]، الذي اتخذ الشام مقراً له حيث توسعت مساحات المساجد وجعلت أعمدتها من الحجارة وبنيت سقوف معظمها من الساج، وأضيف إليها التزيين والبرج المرتفع للأذان فسميت بالمئذنة، وقد كانت أهم العناصر المعمارية التي تعطي المسجد شخصيته المتميزة[5] ولعل أهم المساجد التي بناها الأمويون هو المسجد الأموي بدمشق[6]، وقد أدخل الأمويون ثلاثة عناصر معمارية جديدة وهي المحراب والمنبر المرتفع والمقصورة بجانب المحراب[7].

---

١ ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٤٩٣.

٢ ـ انظر:

ـ نعمت اسماعيل: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٢.

ـ بهجة المعرفة: موسوعة مصورة، المجموعة الثالثة، مسيرة الحضارة، المجلد الأول، دار المختار للطباعة والنشر، سويسرا، ١٩٧٤، ص: ٤٢٤.

٣ ـ نعمت اسماعيل: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٣.

٤ ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٤٩٠.

٥ ـ بهجة المعرفة: موسوعة علمية مصورة، المجموعة الثالثة، مسيرة الحضارة، مصدر سابق، ص: ٤٢٤.

٦ ـ يسمى هذا المسجد بالمسجد الجامع بدمشق، وقد بني في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، ولمزيد من الدراسة حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى: ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٤٩٠.

٧ ـ بهجة المعرفة: موسوعة علمية مصورة، المجموعة الثالثة، مسيرة الحضارة، مصدر سابق، ص: ٤٢٤.

ولم يكن نشاط الأمويين في الأبنية المدنية أقل منه في الأبنية الدينية، ويظهر في العمارة الأموية ازدواج التأثير البيزنطي والساساني سواء في الهندسة أو الزخرفة، وعندما انتقلت الخلافة إلى الدولة العباسية انتقل مركز الدولة في العصر العباسي إلى العراق، وبالتحديد إلى بغداد التي أسسها أبو جعفر المنصور عام ١٤٥هـ.[١] وأسس أيضاً المسجد الجامع، وجعله وسط المدينة المدورة ملاصقاً لقصره، وقد أنشئت في بغداد عدة مساجد أخرى لإقامة صلاة الجمعة، كما كان في كل مدينة كبيرة في العالم الإسلامي جامع أو أكثر لإقامة صلاة الجمعة فضلاً عن وجود عدد كبير من المساجد لإقامة الصلوات عليها[٢].

ومما هو جدير بالذكر أن العهد العباسي قد أدخل فناً جديداً في العمارة، من خلال استخدام إيوان على البناء، والتي تظهر في قصور سامراء والمتوكلية، كما تظهر في قصر الأخيضر الذي يشكل مخططه حلقة الاتصال بين العمارة الأموية والعباسية[٣].

ولم تكن الخلافتان الفاطمية والأندلسية أقل نشاطاً من الخلافة العباسية في الجهد المعماري، فقد كان البناء الضخم جزءاً من سمعة الدولة حيث توصل الفاطميون إلى حكم افريقيا وبنوا لأنفسهم المدن والقصور وأهمها مدينة القاهرة في مصر، لحقتها بعد ذلك المساجد الضخمة أهمها الجامع الأزهر[٤] وكذلك الجامع الطولوني في عهد أحمد بن طولون، أما في العهد المملوكي الذي يعدّ العهد الذهبي في تاريخ العمارة الإسلامية فقد بني العديد من المساجد لعل أشهرها جامع السلطان الظاهر بيبرس اضافة إلى العديد من المدارس والأضرحة[٥].

يعد مسجد قرطبة الكبير أروع الأبينة في الأندلس، اضافة إلى مدينة الزهراء التي تعدّ نموذجاً للقصور الأموية في الأندلس[٦].

---

١. بهجة المعرفة: موسوعة علمية مصورة، المجموعة الثالثة، مسيرة الحضارة، مصدر سابق، ص: ٤٢٥.
٢ ـ عبد الرحمن حسن حبنكة: أسس الحضارة الإسلامية، مصدر سابق.
٣ ـ بهجة المعرفة: موسوعة علمية مصورة، المجموعة الثالثة، مسيرة الحضارة، مصدر سابق، ص: ٤٢٥.
٤ ـ المصدر السابق، ص: ٤٢٢.
٥ ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٤٩٠.
٦ ـ بهجة المعرفة: موسوعة علمية مصورة، المجموعة الثالثة، مسيرة الحضارة، مصدر سابق، ص:٤٢٣.

وإذا كان تركيزنا فيما سبق على المساجد الإسلامية باعتبارها تمثل الواجهة الطبيعية لفن العمارة وتطوره في العهود الإسلامية المتتابعة، فإن المسلمين قد اهتموا أيضاً ببناء الحصون وتحصين المدن لأغراض دفاعية وحربية، وهناك العديد من الدلائل على ذلك لعل أشهرها قصر الأخيضر الذي ينسب إلى القرن الثامن الهجري، ويقع جنوب غرب كربلاء في العراق، وخلّف الأيوبيون آثاراً مهمة منها قلعة صلاح الدين في القاهرة، وقلعة حلب التي تمت عمارتها في القرن السابع الهجري[1].

ولم يختلف الأمر بالنسبة لعمارة المدارس انطلاقاً من ايمان المسلمين بأهمية طلب العلم باعتباره فريضة على كل مسلم ومسلمة، حيث اهتموا ببنائها.. ومما يذكر فقد كانت المساجد في العصر الإسلامي الأول مراكز التدريس، ومن أبرز أمثلة المدارس العربية الإسلامية: المدرسة المستنصرية التي بناها المستنصر بالله أبو جعفر على ضفة نهر دجلة الشرقية في بغداد وتعدّ هذه المدرسة النموذج الجامعي في المدارس العربية الإسلامية ببنائها ونظام التدريس بها، وقد عنيت بدراسة علوم القرآن والسنة النبوية والعلوم العربية والرياضيات والفرائض والزكاة ومنافع الحيوان وعلم الطب وحفظ قوام الصحة وتقويم الأبدان[2].

ب ـ الزخرفة:

يعدّ فن الزخرفة من أبرز مميزات الفن الإسلامي حيث استفاد المفن المسلم من كل ما وقع عليه نظره من عناصر سواء أكانت نباتية أم حيوانية أم آدمية لتحقيق أهدافه الزخرفية[3]، وقد ظهر هذا جلياً في العديد من المواضع، نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر:

١ ـ الزخرفة المعمارية:

حيث زينت القصور والمساجد والمدن التي شيدت في العالم العربي والإسلامي

---

١ ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٤٩٠.

٢ ـ المصدر السابق، ص: ٤٩٦.

٣ ـ نعمت إسماعيل: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، مصدر سابق، ص:٥١.

بزخارف متعددة في تيجان الأعمدة والمحاريب والجدران، وقد بدأ الاهتمام بتلك الزخارف منذ عهد مبكر، فالقصور التي بناها الخلفاء الأمويون في البادية كقصر المشتى، وقصر الطوبة وقصر هشام في خربة المفجر كانت كلها مزخرفة، وقد تطورت فيها الزخارف الإسلامية وبالذات عناصر (الأرابيسك) أي التعريفات النباتية، أو ما يعبر عنه الرقش العربي، وقد كان قوام زخارف رسوم هذه القصور الرسوم النباتية ومناظر الصيد وصور الحيوانات، ولقد استمرت الأساليب الأموية في النحت متبعة إبان حكم العباسيين، ويتجلى النشاط الفني بإنشاء مدينة بغداد ومدينة سامراء[1].

ولعل أهم ما أتى به الفن العباسي هو تغشية وجوه الجدران كلها بالزخارف الهندسية المتكررة بوساطة القوالي، وقد سيطر هذا الأسلوب على التزيين المعماري الإسلامي وربط قواعد (التوريعة) أو (الرقش) وخاصة أيام العهد الفاطمي في مصر والأندلس[2].

ومما هو جدير بالذكر فقد كان من عادة الخلفاء المسلمين استقدام خير الصناع والمفنين في انشاء المدن من الأقاليم المختلفة الأمر الذي ساعد على التقاء أساليب فنية متباينة طبعت فيما بعد بطابع الفن الإسلامي[3].

٢ ـ زخرفة الحفر على العاج والخشب والرخام:

اهتم المسلمون بزخرفة الحفر على الخشب والعاج، وقد اتبعوا في بداية العصر الإسلامي ما كان سائداً قبل الإسلام في هذا الميدان، ومن أمثلة ذلك زخارف المساند الخشبية بالمسجد الأقصى من العصر الأموي، أما العصر العباسي فيمثله منبر جامع القيروان في الحفر على الخشب. وقد تزايد الاهتمام بهذا الفن في العصر الفاطمي وزادت درجة إتقانه في العصر المملوكي، ويبدو ذلك واضحاً في مصراع باب في

---

١ ـ ابرهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٤٩١.

٢ ـ بهجة المعرفة: موسوعة علمية مصورة، المجموعة الثالثة، مسيرة الحضارة، مصدر سابق، ص: ٤٢٩.

٣ ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية،مصدر سابق، ص: ٤٩٧.

متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، واستمرت الأساليب نفسها والاتجاهات في العصرين الأيوبي والمملوكي[1].

أما صناعة العاج فقد ازدهرت في العصر الأموي في الأندلس، ومن أجمل ما أنتجه فن ذلك العصر علب العاج المزخرفة بنقوش مزدحمة تغطي جسم العلبة وغطاءها، وفي العصر الأموي أنتجت مصر حشوات عاجية مزخرفة بعناصر نباتية وحيوانية، كما أنتجوا العديد من الأشياء المشابهة مما يؤكد اتقانهم وتقدمهم في هذا النوع من الزخارف الفنية[2].

كما وفق المفن العربي المسلم في فن الحفر على الرخام إلى حد كبير، ومن أفضل الأمثلة على ذلك ما وجد في قبة الصخرة والجامع الأموي في عهد بني أمية، ومحراب جامع الخاصكي ببغداد في العهد العباسي، وقد امتد هذا الفن إلى المغرب العربي حتى وصل الأندلس[3].

٣ ـ زخرفة النسيج والزجاجات:

كانت الخلعة تقليداً معروفاً منذ العهد الأموي، وقد كانت دار (الطراز) المحلقة بالبلاط تنسج هذه الملابس الرسمية في العهد العباسي والعهد الفاطمي حيث كانت دور الطراز ومصانع بعض المدن في مصر تنتج الأنواع الفاخرة من النسيج وتقوم بزخرفتها[4].

أما الزجاجيات فقد زاولت جميع الأمم الشرقية القديمة صناعة الزجاج منذ أيام الفينيقيين، وكان لمصر وسوريا شهرة قديمة في صناعة الزجاج، وقد حدث تقدّم عظيم على امتداد العهود الإسلامية المختلفة، ففي العصر العباسي إبان القرنين الثامن والتاسع الميلاديين كانت القطع الزجاجية إما خالية من الزخارف أو مزخرفة بزخارف على شكل الخيوط البارزة أو الأقراص أو الكتابات.

وفي العهد المملوكي زمن السلطان الظاهر بيبرس كانت دمشق أهم مراكز انتاج

١ـ المصدر السابق، ص: ٤٩٧.

٢ ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٤٩٨.

٣ ـ المصدر السابق، ص: ٥٠٠.

٤ ـ بهجة المعرفة: موسوعة علمية مصورة ، المجموعة الثالثة، مسيرة الحضارة، مصدر سابق، ص: ٤٣١.

الأواني الزجاجية إضافة إلى حلب التي ذاعت شهرتها في إنتاج أفخر المنتوجات الزجاجية التي كانت تصدر إلى مختلف أجزاء الدولة الإسلامية[١].

وفي العهد الفاطمي استخدمت زخرفة الزجاج وتشكيله بطريقة النفخ والضغط كما استخدمت الخيوط الرفيعة والقطع المختلفة الأشكال، وفي ذلك العهد ازدهرت صناعة الزجاج والبلّور الصخري الذي كان يستخرج من باطن الأرض ووصلت درجة عالية من الرقي والإتقان..[٢] واختصت بعض المصانع المصرية بالبلّور الصخري (الكريستال)[٣]، ولم تقتصر هذه الصناعة على المشرق الإسلامي بل انتقلت إلى الشمال الإفريقي والأندلس، ومن البلدان الإسلامية إلى أوروبا، وكان للمسلمين أثرٌ كبيرٌ في تفوق مدينة البندقية الإيطالية في هذه الصناعة[٤].

٤ ـ زخرفة الفسيفساء:

اهتم العرب المسلمون بصناعة الفسيفساء، وأبدعوا فيها لتزيين العمائر، والمقصود بالفسيفساء الموضوعات الزخرفية المؤلفة من جمع أجزاء صغيرة متعددة الألوان من الزجاج والحجر وتثبيتها ببعضها فوق الحصى أو الأسمنت، وبهذه الأشكال تتكون موضوعات زخرفية ورسوم متعددة، وقد تكون هذه الموضوعات الزخرفية هندسية أو رسوم كائنات حية أو نباتية اضافة إلى هذا استعمل المفن العربي المكعبات الحجرية والصدفية، كما استخدم المكعبات ذات اللون الذهبي أو الفضي، وجعلها في وضع مائل قليلاً لتعكس الضوء، ولا ريب في أن أبدع ما وصل إلينا من أمثلة الفسيفساء من العصر الإسلامي فسيفساء قبة الصخرة بالقدس وفسيفساء المسجد الجامع بدمشق

---

١ ـ محمد سعيد الشفعي وآخرون ـ تاريخ الحضارة الإسلامية ـ مصدر سابق ـ ص: ٢٤٨.

٢ ـ المصدر السابق ص ٢٤٨.

٣ ـ بهجة المعرفة: موسوعة علمية مصورة، المجموعة الثالثة، مسيرة الحضارة، مصدر سابق، ص:٤٣٣.

٤ ـ محمد سعيد الشفعي وآخرون: تاريخ الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٤٨.

ولمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى: ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٤٩٧.

وقصر هشام بخربة المفجر[١]، وهذا يعكس ما وصل إليه التقدم في العصر الأموي[٢].

ومن الصناعات الفنية التي سارت جنباً إلى جنب مع الفسيفساء الزخارف الجصية التي شاركت في اثراء فن العمارة الإسلامية بشكل خاص والفنون الأخرى بشكل عام[٣].

جـ ـ الرسم والتصوير:

من أهم ما تكشف عنه بقايا القصور الأموية في الشام والعباسية في سامراء هو لوحات الرسوم الجدارية الملونة والزخارف البارزة من الحصى وظهور التوريق العربي، حيث إنها تسجل وجود التصوير في وقت مبكر في الإسلام وتسجل في الوقت ذاته الفاعلية الفنية تدريجياً وتوجيهها لدى المفن المسلم إلى العمل الزخرفي في أكثر من التصوير الواقعي أحياناً، ولم يكن السبب في هذا الاتجاه تحريماً دينياً في الإسلام، ولكنه نوع من التحرج شاع تحت تأثير المحدثين والفقهاء الذين سيطروا على الكفر بين القرنين التاسع والثاني عشر للميلاد[٤].

ومن أقدم المحاولات التي أكدت نبوغ المسلمين الأوائل في هذا الفن تمت في الجامع الأموي حيث تميز بالمناظر الطبيعية من أنهار وأشجار ومنازل كالقصور مع ملاحظة خلوها من الصور الآدمية والحيوانية للسبب الذي ذكر آنفاً[٥].

اضافة إلى تلك المحاولة فقد اهتم العرب المسلمون بتزويق الكتب وتزيينها بالصور وخاصة كتب التاريخ والطب والمخطوطات الأدبية، وكان كثير من هذه الصور يدور حول شرح الأحداث التاريخية، وقد كان التصوير العربي الإسلامي في بادئ الأمر

---

١ ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٤٩٠.

٢ ـ محمد سعيد الشفعي وآخرون: تاريخ الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٨٢.

٣ ـ المصدر السابق، ص: ٢٨٢.

٤ ـ بهجة المعارف: موسوعة علمية مصورة، المجموعة الثالثة، مصدر سابق، ص: ٤٢٦.

٥ ـ المصدر السابق، ص: ٤٢٦.

بعيداً عن الطبيعة إلا أن هذه الروح لم تلبث أن تحررت بمرور الزمن، وقد استطاعت المدارس العربية الإسلامية الوصول إلى عهدها الذهبي في مدرسة بغداد للتصوير[1].

ومما يذكر أن المفن المسلم قد استعان في فنه هذا بالألوان والخامات الطبيعية من أجل ابراز لون الخامة نفسها، والحفاظ على لون الخشب والأبنوس والعظم والعاج والرخام والبرونز والذهب والفضة وغيرها، كما استخدمها المسلمون الأوائل في رسومهم وزخارفهم لتقوم بوظيفة النور والظل وبحيث تبرز الرسوم بشكل واضح وقريب للواقع ويظهر جمالها ورونقها[2].

وقد أدى ذلك إلى قيام المسلمين بإنشاء العديد من معامل تحضير الأصباغ في بعض البلدان الإسلامية[3].

د ـ التذهيب والمعدنيات:

على الرغم من أن المفنين المسلمين قد أنتجوا تحفاً معدنية كثيرة، إلا أنها لم تكشف عن خصائص الفن الإسلامي الذي لم يكن قد تبلور بعد، ومع أنه لم يعثر على الكثير من الصناعات المعدنية التي يمكن أن تنسب إلى العصر الأموي، إلا أن العصر العباسي بلغت فيه الصناعات المعدنية أوجها كماً وكيفاً، إذ دفع الازدهار الاقتصادي إلى تقدم الصناعات المعدنية وغزارتها لتلبية احتياجات المجتمع الإسلامي، وفي تلك الآونة ظهرت صناعات معدنية جديدة، ومن أمثلة ذلك: الأواني الفضية المزخرفة والأباريق الذهبية وكتابات المصاحف[4].

---

١ ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٤٩٣.

٢ ـ محمد سعيد الشفعي وآخرون: تاريخ الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٦٥.

٣ ـ المصدر السابق، ص: ٢٦٥.

٤ ـ انظر:

ـ ابراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٤٩٣.

ـ محمد سعيد الشفعي وآخرون: تاريخ الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٩٥.

هذا وقد احتوت كنوز الفاطميين على كثير من الحلي المرصعة بالأحجار الكريمة والمينا، وفي عهد السلاجقة ظهر أسلوب جديد في زخرفة المصنوعات المعدنية هو التلفيت أو التطبيق الذي يعني النقش على التحفة المعدنية، ثم ملء تلك النقوش المحفورة بشرائط من الفضة أو النحاس الأحمر أو بكليهما معاً[1].

وخلاصة القول:

إن للمسلمين الأوائل السبق في العديد من الفنون التي عرضنا بعض نماذجها فيما سبق، والتي تتميز بالتداخل حيث إن الفن وحدة لا تتجزأ، فمثلاً نجد أن الألوان والعمارة والحفر والتزويق كلها تمثل عناصر أساسية في أي جانب من جوانب الفن، وإذا كنا قد حاولنا من التقسيم السابق تقديم عرض لتطور بعضها، فإن هذا لا يمنع بأي حال من الأحوال ادراكنا لتداخلها وتشابكها، بل والأكثر من ذلك أن بعضها يتداخل.. والمجال الصناعي على اعتبار أن كل مهنة أو حرفة تمثل فناً في حد ذاته، ويكون الصناع كالمفن، ونحن نعني هنا الفن بالمعنى المهاري، وليس بالمعنى الجمالي.

---

١ ـ محمد سعيد الشفعي وآخرون: تاريخ الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٩٥.

ثالثاً ـ تطور مهنة التعليم «مهنة المعلم»

إذا كنا تناولنا فيما سبق التطور الذي حدث في المهن والفنون المختلفة إبان ظهور الإسلام فلابد من أن نذكر أن هذا مرجعه بالضرورة إلى إيمان المسلمين بفضل العلم والعلماء[1]، وبفضل دعوة الإسلام إلى العلم الصحيح والتفكير السليم وغرس حب المعرفة، الذي ساعد على نشأة العلوم الإسلامية، وعكوف العلماء على البحث والتنقيب، كأساسٍ للمدنية والحضارة في الإسلام، ليحمل المسلمون مشاعل النور والحضارة، ويرفعوا للإنسانية صروحاً عالية، وقباباً سامقة يؤذن عليها بدعوة الحق والعلم والحكمة والمعرفة والثقافة الشاملة[2].

ولاشك أن ذلك يتطلب إلقاء مزيد من الضوء على صفة التعليم في صدر الإسلام من خلال العديد من النقاط التي تتناولها هذه المحاور، وذلك على النحو التالي:

١ ـــ تطور التعليم في صدر الإسلام:

ويمكن تناول تلك النقطة من خلال المراحل الآتية:

أ ـــ مرحلة البدايات الأولى:

جاء الإسلام بالدين الحنيف فبدأ رسول الله ﷺ يدعو قومه إليه، ويعلم من استجاب منهم مبادئ الدين الجديد، وقد كان عليه الصلاة والسلام زعيماً سياسياً ورائداً دينياً في الوقت نفسه، ولهذا باشر الأمرين جميعاً بكفاءة ونجاح[3]، حيث بذل جهداً دؤوباً خلال سنوات طوال لتغيير العقلية العربية التي كانت سائدة خلال العصر

---

١ ـ محمد جواد رضا: العرب والتربية والحضارة، دراسة في الفكر التربوي المقارن، دار الزهراء للطباعة والنشر، (ط ١)، بيروت، ١٩٧٩، ص: ٢٢٣.

٢ ـ المصدر السابق، ص: ٢٢٤.

٣ ـ أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، الجزء الرابع، مكتبة النهضة المصرية، (ط ١)، القاهرة، ١٩٧٧، ص: ١٠٢.

الجاهلي ليحلّ مكانها النظرة الإسلامية الواعية المتفتحة في مجال العقيدة والعادات والسلوك.

ولقد شجع الرسول الكريم ﷺ الناس على العلم، وحثهم عليه فكانوا يجتمعون في المسجد يتعلمون القرآن ويتدارسون أحكامه، وما اشتملت عليه من تعاليم وكانت هذه الظاهرة تمثل البداية الأولى لنشأة الحركة العلمية[1].

ب ـــ مرحلة الفتوحات الإسلامية وإيفاد العلماء:

عندما بدأت الرقعة الإسلامية في الاتساع، وسار الدين الجديد من بلد إلى آخر، بدأ الناس يعتنقون الإسلام ويستجيبون لداعي الله، ومن ثم أصبح غير متيسر على الخليفة أن يعلم الناس أمور دينهم فانتقلت المسؤولية في هذا العمل إلى العلماء، وبدأ الرسول ﷺ بهذه السُنَّة حيث ترك في مكة بعد عودته منها وفتحها معاذاً ليعلم المسلمين الجدد قواعد الدين الإسلامي.

ولما انتشرت الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل أفراداً من علماء الصحابة إلى المدن المختلفة للقيام بمهمة تعليم الناس أمور دينهم، وكان من هؤلاء عبدالله بن مسعود الذي ذهب إلى الكوفة، وأبو موسى الأشعري الذي قصد البصرة، ومنذ قامت الدولة الأموية أصبح كثير من الخلفاء حكاماً سياسيين فقط، ولم تكن لهم ثقافة دينية واسعة تجعلهم أكفياء للإفتاء وتعليم الناس[2].

ومن هنا انتقلت إلى العلماء هذه المسؤولية حتى في العاصمة دمشق، وحملوا عبء التعليم والإرشاد، إلا أن هؤلاء المعلمين لم يكونوا معينين من قبل الدولة للقيام بهذا العمل، وإنما كانوا يؤدونه طلباً للثواب من الله، وكان كثير منهم يسعون من تلقاء أنفسهم هنا وهناك، ويجلسون لتثقيف الناس وتعليمهم، واتخذ هؤلاء من المسجد مكانهم المختار، وكانت المساجد بدورها مفتوحة يقصدها من يأنس في نفسه الكفاءة

---

١ ـ عبد الرحمن حسن حبنكة: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، مصدر سابق، ص: ٣٣٩.

٢ ـ أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص: ١٠٢.

في تعليم الناس[1].

وقد أدت المساجد رسالتها في هذا المجال، فكانت معاهد ومدارس للعلم على مر العهود الإسلامية، ومن أهم هذه المساجد مسجد قباء في المدينة، ومسجد المنصور في بغداد، والجامع الأموي بدمشق، والجامع الأزهر بالقاهرة، وجامع القيروان في تونس[2].

وهكذا ظلت المساجد تقوم بدورها هذا، وظل العلماء يقصدونها ليؤدوا عملهم دون انتظار من يحثهم على الذهاب، ودون تدخل من الحكومة حيث إن هذا العمل ليس في دائرة سلطتها، وحيث إن المعلم لم يكن معنياً من قبلها ولا يتقاضى أجراً منها على عمله[3].

وعلى جانب آخر تشوق العلماء المسلمون للاطلاع على العلوم السابقة، واعتمدوا على تفسير الحديث النبوي الشريف: «الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها ممن سمعها، ولا يبالي من أي وعاء خرجت»، «وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». فنقل العرب من العلوم الطبيعية في أيام الخليفة المنصور.. وفي عهد الرشيد زاد الاهتمام بعلوم الأقدمين بما كان يأتي إلى بغداد من أطباء وعلماء من اليونان والهند والفرس، كما تمت ترجمة كتاب إقليدس في الهندسة أيام الرشيد على يد الحجاج بن معد. وقد أعيدت ترجمة هذا الكتاب مرة أخرى أيام المأمون[4].

جـ ـــ مرحلة التدخل الحكومي:

بدأت الحكومات التدخل في التعليم عندما اقترح القائمون عليها موضوعاً معيناً ليُدرس، وعندما شيدت الحكومة معاهد تعليمية بدأت في تعيين المدرسين للعمل بتلك

---

١ ـ المصدر السابق، ص: ١٠٢.

٢ ـ عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، دار القلم للملايين، (ط ١)، بيروت، ١٩٨٤.

٣ ـ أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص: ١٠٢.

٤ ـ محمد جواد رضا: العرب والتربية والحضارة، دراسة في الفكر التربوي المقارن، مصدر سابق، ص: ١٥٥.

المدارس، ونظمت لهم الأجور، وبهذا وذاك بدأ تدخل الحكومات في التعليم[1]، حيث شيد العباسيون بيت الحكمة في بغداد وعينوا له أجلة العلماء للترجمة والنسخ والإشراف ورتبوا لهم الأجور السخية، ومن هذا المنطلق أصبح للخلفاء كامل الحق في السيطرة على بيت الحكمة وتوجيه أموره حسب ما يريدون، ولما أنشأ الخليفة المستنصر العباسي المدرسة المستنصرية جعل فيها أربعة أمكنة (إيوانات) منفصلة لتعقد فيها حلقات على المذاهب الأربعة، وعين لكل إيوان شيخا من شيوخ المذهب ليدرس فيه فقه ذلك المذهب.

وينبغي أن يكون واضحاً أنّ تدخل الحكومات كان خاصاً بالمدرسين الذين عينتهم، وحددت عملهم واختصت بأجورهم، ولم يمس هذا التدخل المدرسين الذين يعملون بالمساجد[2]، وكذلك الذين يعملون بالكتاتيب ويقومون بتعليم الأطفال القواعد والخط والحساب، والشعر وقصص الأنبياء، وكذلك المعلمون (المؤدبون) الذين كانوا يختصون بتعليم أبناء الخلفاء والوزراء داخل القصور[3].

وهكذا يتضح أن التعليم قد مر بالعديد من المراحل المتباينة والمتكاملة في الوقت ذاته، والتي من خلالها تم وضع اللبنات الأولى والبذور الأساسية لمهنة التعليم في المجتمعات العربية والإسلامية، حيث امتزجت جهودُ العهود المختلفة، وشرع علماؤها في الاهتداء بهدي القرآن الكريم وسنة رسوله ﷺ في عدم حجب العلم عن الآخرين وكذلك الاستفادة مما توصل إليه بعضهم من خلال حرية التنقل للعلماء ومن خلال جعل المساجد منارة للعلم والاستعانة بها لافتتاح المدارس والمعاهد التخصصية وإيلائها العناية والرعاية التي تكفل لها التقدم وتحقيق الحضارة والمدنية المبتغاة من خلال الأخذ بأسباب العلم.

---

١ ـ أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص: ١٠٢.
٢ ـ أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص: ١١٢ ـ ١١٣.
٣ ـ عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، دار القلم للملايين، مصدر سابق، ص: ١٥٤.

٢ ـــ تطور مفهوم التعليم واقترانه بالتربية:

عني المربون المسلمون عناية فائقة دقيقة وبالغة بالتعليم لجعله مهنة من خلال محاولتهم فهم طبيعة المتعلم وإمكاناته ومسؤوليات المعلم، ويتضح هذا جلياً من خلال المؤلفات والرسائل التربوية الإسلامية المشهورة مثل رسالة: (أيها الولد) للغزالي، و(آداب المتعلمين) للطوسي، و(تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم) لابن جماعة، و(تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال) لابن حجر الهيثمي، و(آداب المعلمين) لابن سحنون، و(الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين) للقابسي، و(تعليم المتعلم طرق العلم) للزرنوجي[١].

ولعل هذا الاهتمام والحرص الشديد من جانب العلماء قد ساعد على تحديد بعض الجوانب الخاصة بالعملية التعليمية، وتوضيح مفهومها والتأكيد على ركنها التربوي عند المربين المسلمين، ويمكن تناول ذلك من خلال النقاط الآتية:

أ ـ التفريق الواضح بين التربية والتعليم حيث إن الأولى أعم وأشمل من الثانية فضلاً عن نصح الغزالي أولياء الأمور بتذكر أن تربية الأبناء ليست مقصورة على تعليمهم، فيجب عليهم مراقبة أبنائهم من أول أمرهم فلا يستعملوا في حضانتهم وإرضاعهم إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال وأن يقووا فيهم خلق الحياء مع تعليمهم الطريق المستقيم في تناول الطعام إلى غير ذلك[٢].

ب ـ الإدراك بأن العلم وحده لا يكفي أن يكون سلاح المعلم حيث إنه لابد من إضافة فن التربية إلى العلم لتمكين المدرس من دراسة نفسية الطفل والنزول إلى مستواه والاتصال العاطفي به ليكون ذلك جسراً يصل من خلاله إلى عقل الطفل، وفي هذا الصدد أكد ابن عبدون على أن التعليم كالصناعة يحتاج إلى

---

١ ـ محمد جواد رضا: العرب والتربية والحضارة، دراسة في الفكر التربوي المقارن، مصدر سابق، ص: ٢٢٣.

٢ ـ الغزالي: إحياء علوم الدين، جـ ٤، ص: ٥٧.

معرفة ودراية ولطف وكذلك كالرياضة للمهر الصعب الذي يحتاج إلى سياسة ولطف وتأنيس حتى يرتضي ويتقبل التعليم.

كما أكد ابن خلدون ما جاء سابقاً من خلال تخصيصه فصلاً كاملاً في كتابه تحت عنوان إن التعليم للعلم من جملة الصنائع[1].

جـ ـ إدراك أن فهم الطفل أساس نجاح تعليمه، حيث أكد ابن سينا في القانون أنه يجب أن تكون العناية مصروفة إلى مراعاة أخلاق الصبي وذلك بأن يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد أو خوف شديد أو غم أو سهر، وذلك بأن يتأمل كل وقت ما الذي يشتهيه ويحن إليه فيقرب منه، وما الذي يكرهه فينحى عنه حتى ينشأ في طفولته حسن الأخلاق يحفظ الصحة للنفس والبدن جميعاً.

د ـ التسليم بأن العمر المناسب لبدء التعليم هو السادسة، حيث يقول ابن سينا في القانون: إذا بلغ ست سنوات فيجب أن يقوم إلى المؤدب والمعلم ويدرب في ذلك فلا يحمل على ملازمة الكتاب مرة واحدة[2].

هـ ـ إدراك قيمة التفاعل العقلي بين المعلم والتلميذ وأهميته في نمو الطفل، حيث كرهوا كراهية شديدة أن يأخذ الطالب العلم من الكتب وحدها، وفي هذا الصدد قيل: (إن من أعظم البلية تشييخ الصحيفة) أي أن يتعلم الناس من الصحف وحدها.. كما كان الإمام الشافعي يقول: (من تفقه من بطون الكتب فقد ضيع الأحكام).. وجاء في رسائل إخوان الصفا إنه: ليس في وسع كل إنسان معرفة العلوم من أولى مرتباته، ومن أجل ذلك فإن الإنسان يحتاج إلى معلم أو مؤدب أو أستاذ في تعلمه واعتقاده وأعماله وخصائصه[3].

---

١ ـ محمد جواد رضا: العرب والتربية والحضارة، دراسة في الفكر التربوي المقارن، مصدر سابق، ص: ٢٢٥.

٢ ـ المصدر السابق، ص: ٢٢٤.

٣ ـ محمد جواد رضا: العرب والتربية والحضارة، دراسة في الفكر التربوي المقارن، مصدر سابق، ص: ٢٢٦.

وهكذا نجد أن في تلك النقاط السابقة التي تمثل اتجاهات العلماء المسلمين العرب مصدراً شاملاً جامعاً يمكن من خلاله استخلاص مفهوم حديث للتعليم يعمد إلى اقترانه بالتربية ويتبنى نظريات علم النفس التعليمي التي توصل إليها علماؤها ومنظّروها بعد ذلك بسنوات كثيرة، ولاشك أن الإيمان بتلك النقاط السابقة من معلمينا إنما يساعد على التخلص من بعض العيوب والشوائب التي قد تعوق تحقيق العملية التربوية والتعليمية لأهدافها.

٣ ــ أهمية المعلم في الإسلام:

ولإلقاء مزيد من الضوء على أهمية المعلم في الإسلام، يجدر بنا أن نتحدث عن فضل العالم والمعلم في المجتمع الإسلامي، وعن المكانة المرموقة التي أعطاها المسلمون لهما، وأن نعرض بعض الشواهد المعبرة عن هذا الفضل والمكانة، لأن اعتراف الإسلام بفضل العلم ومكانته يتضمن تأكيداً صريحاً على أهميته، حيث إن أهمية أي شيء وفضله مرتبطان في أغلب الأحيان، ومن تصفح آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية وآثار السلف الصالح، فإنه لا يجد أي مشقة في الخروج بما يكفي من شواهد وأدلة للإقناع بفضل المعلم وأهميته في الإسلام.

شواهد من القرآن الكريم:

قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أمَّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذّكر إلا أولو الألباب﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا

---

١ ـ سورة الزمر، الآية ٩.

٢ ـ سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

٣ ـ سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين »[3]، وقوله تعالى: ﴿ أفمن يعلمُ أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب ﴾[4].

حيث إن هذه الآيات تدل في مجموعها على أن العلم هو أفضل ما طلبه طالب لما أظهر الله فضل العلم والعلماء في هذه الآيات وغيرها من كتابه العزيز.

والمعلم اشتق اسمه من العلم، والعلم لا يحمله إلا هؤلاء العلماء الذين بيّن الله فضلهم وعلو مراتبهم، حيث هم المثال والقدوة في وسط مجتمعهم، وما ذاك إلا لتميزهم بالعلم والعمل به، حتى غدوا مصابيح النور ومشاعل الهدى لأفراد الأمة.

جعلهم الله البطانة الصالحة لأئمة المسلمين وعامتهم، يأمرونهم بالخير ويعينونهم عليه، كما جعلهم أهل كتابه وورثة أنبيائه، علمهم من علمه ليكونوا أهلاً لهداية الناس.

آتاهم الله الحكمة ليغدوا أئمة في الفهم، وقدوة في السلوك، وعدولاً في الحكم، ومثالاً في الالتزام والتطبيق حتى يترسم الناس خطاهم ويهتدوا بهديهم وينتهجوا بمناهجهم، يرجع إليهم فيما يلتبس فيه من أمر الدين والدنيا. ليس هذا فحسب، بل حملهم الله أعباء الدعوة والإصلاح والتوجيه للمجتمع حكاماً ومحكومين.

---

١ ـ سورة المجادلة، الآية ١١.

٢ ـ سورة فاطر، الآية ٢٨.

٣ ـ سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

٤ ـ سورة الرعد، الآية ١٩.

جعلهم الله أهل الحل والعقد، بفقههم تفض المنازعات، وبعلومهم تزول الشبهات، موقعهم في المجتمع المرجع والاستفتاء، حيث قال تعالى: ﴿فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[1]، لما يتمتعون به من رجاحة العقل وسداد الرأي ونقاء البصيرة والفكر.

ويكفي لهؤلاء العلماء أن يكونوا حملة رسالات الأنبياء، كما يكفيهم فخراً قول القائل:

ففز بعلم تعش حياً به أبداً

الناس موتى وأهل العلم أحياء.[2]

شواهد من السنة النبوية[3]:

تتعدد الأحاديث النبوية التي تؤكد على أهمية المعلم، نذكر منها قول رسول الله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» من حديث رواه أبو داود والترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سلك طريقاً إلى العلم سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن العالم يستغفر له من في السماوات والأرض حتى الحيتان في البحر...».

وروى أبو أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ عن رجلين أحدهما عالم والآخر عابد؟ فقال ﷺ: «فضل العالم كفضلي على أدناكم، إن الله عز وجل وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» رواه الترمذي.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الحكمة تزيد الشريف شرفا، وترفع المملوك حتى

---

١ ـ سورة الأنبياء، الآية ٧.

٢ ـ البيت للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إحياء علوم الدين، جـ ٧/١.

٣ ـ عمر التومي الشيباني: أسس التربية الإسلامية، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ليبيا، ١٩٧٨.

يدرك مدارك الملوك» رواه أبو نعيم في الحلية وابن عبدالبر في بيان العلم.

قال ﷺ: «أفضل الناس المؤمن العالم، إن احتيج إليه نفع، وإن استغني عنه أغنى نفسه» رواه البيهقي في شعب الإيمان.

قال ﷺ: «إن من الصدقة أن تتعلم العلم ثم تعلمه ابتغاء وجه الله عز وجل» أخرجه ابن ماجه بلفظ قريب منه.

قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه» رواه البخاري.

وقال ﷺ: «نضر الله وجه أمرئ سمع مني حديثاً فبلغه» رواه أحمد وابن ماجه من حديث أنس.

قال ﷺ: «ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بَلغَهُ فَبَلّغَهُ» رواه ابن عبدالبر من رواية محمد بن المكندر.

وقال ﷺ: «من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطي ثوابَ سبعين صديقاً» رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس.

قال ﷺ: «لا حسد في اثنين رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس، ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير» متفق عليه من حديث ابن مسعود.

قال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «فقيه واحد أشد على إبليس من ألف عابد» أخرجه الترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «للأنبياء على العلماء فضل درجتين، وللعلماء على الشهداء فضل درجة» رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله.

وعنه ﷺ قال: «إن مثل العلماء في الأرض كمثل نجوم السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا طمست النجوم يوشك أن تضل الهداة» أخرجه أحمد وقال ليس به بأس في الرقائق.

وقال ﷺ: «أربعة يجري عليهم أجورهم بعد الموت: المرابط في سبيل الله، ومن علم علماً أجري له ما عمل به، ورجل تصدق فأجره يجري ما جرت، ورجل ترك أولاداً صغاراً فهم يدعون له» أخرجه أحمد والطبراني والبزار.

شواهد من آثار السلف الصالح[1]:

جاءت أقوال الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً وأقوال السلف الصالح من هذه الأمة بصورة عامة مؤكدة وموضحة ومفصلة لما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في فضل العلم والعلماء والمعلمين لأهمية الدور الذي يقوم به العلماء والمعلمون في تربية الناس وتنويرهم وإصلاح أحوال المجتمع.. ومن هذه الأقوال والآثار نذكر ما يلي:

(قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكحيل: يا كحيل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق).

(وقال علي رضي الله عنه أيضاً: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه) ذكرهما الغزالي في الإحياء في بيان فضل العلم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه) ذكره الجيكاني في قناطر الخير.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (معلم الناس الخير تستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر) ذكره الغزالي في الإحياء في فضيلة التعليم.

وقال مصعب بن الزبير: (تعلم العلم فإن لم يكن لك جمال كان لك جمالاً، وإن لم

---

١ ـ المرجع السابق، ص: ٦٩.

يكن لك مال كان لك مالاً) ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين.

قال أبو حازم لسليمان بن عبدالملك حينما سأل الأخير الأول: (يا أبا حازم من أعقل الناس؟ قال أبو حازم: من تعلم الحكمة وعلمها الناس) ذكره ابن العربي في محاضر الأبرار[1].

وإلى غير ذلك من الآثار السلفية التي تؤكد هي الأخرى ما أكدته آيات القرآن الكريم والسنة النبوية من جعل فضل العلماء والمعلمين في مرتبة تلي مرتبة الأنبياء، وتجعل جهدهم في سبيل تعلم العلم وتعليمه أفضل من مرتبة العبادة غير الواجبة، وتجعل صلاح المجتمع مرهوناً بصلاحهم، ومن أجل ذلك لابد من تناول المستوى الاجتماعي والمالي للمعلمين على النحو التالي:

المستوى الاجتماعي للمعلم:

كان المستوى الاجتماعي للمعلمين في المجتمع الإسلامي بصفة عامة جيداً، ويعدّ الجاحظ مصدراً أساسياً عند تناول هذا الجانب، حيث دافع عن سائر المعلمين في كتابه «رسالة المعلمين» وكذلك «البيان والتبيين» حيث بيّن أقدارهم وأوضح أنهم يمثلون ثلاث طوائف هي: معلمو الكتاتيب والمؤدبون ومعلمو المساجد والمدارس.. ولكل طائفة من هؤلاء ظروفها الخاصة.

فمعلمو الكتاتيب كان من بينهم من احترف هذه المهنة بثقافة ضحلة ولا يحظى في بعض الأحيان بالمكانة والمستوى الاجتماعي الملائم.

أما معلمو أولاد الخاصة «المؤدبون» فهناك كثير من الدلائل والنصوص التي تشهد بمكانتهم ووضعيتهم الملائمة في المجتمع[2].

---

١ ـ عمر التوني الشيباني: أسس التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٦٩.
ولمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى: عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، مصدر سابق، ص: ١٦٦.

٢ ـ عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، مصدر سابق، ص: ١٦٦.
ولمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى: أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، الجزء الرابع، مصدر سابق، ١٩٧٧.

أما معلمو المدارس والمساجد فقد نالوا كثيراً من الإجلال والتقدير.

أما عن الحالة المالية للمعلم، فقد اختلفت من عصر إلى عصر، ومن مكان إلى آخر، وقد كان أخذ الأجر على التعليم في بداية عهد الإسلام مستقبحاً لاسيما وأن التعليم كان منصباً على «القرآن الكريم». وقد ذهبت طائفة كبيرة من الفقهاء كالحنفية جميعهم وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وغيرهم إلى أنه لا يجوز أن يأخذ المعلم أجراً على تعليم القرآن والحديث.

ولكن بعد إنشاء المدارس والمعاهد التعليمية أصبح من الضروري تخصيص راتب شهري للمعلمين أياً كان الموضوع الذي يدرّسه، وهكذا انتشرت المرتبات في العالم الإسلامي[1].

ويتبقى من هذه النقطة تساؤلٌ هامٌ يفرض نفسه، ويتعلق بكل ما تم التعرضُ له من نصوص قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة، وآثار وشواهد للصحابة والسلف الصالح، وكلها تؤكد على أهمية التعليم والمعلم باعتباره يمثل عنصراً رئيسياً في العملية التعليمية والتربوية، ولعل السؤال يتركز في مدى الملاءمة والعلاقة بين المكانة التي وضعها الدين الإسلامي للمعلم والمكانة الاجتماعية التي يشغلها في المجتمع؟ ولعل جميع التربويين يدركون مدى الخلل الذي يكتنف هذه العلاقة، والحق أن هناك عوامل متضافرة قد ساعدت على ذلك، منها ما يتعلق بالمعلم ذاته، ومنها ما يتعلق بالمجتمع.. ولذا فإن مسؤولية إعادة التوازن يقع عاتقها على كل الأطراف المشاركة في العملية التعليمية التربوية.

١ ـ المصدر السابق، ص: ١٦٨.

رابعاً ـ نماذج من عمل المدرس عبر القرون المختلفة

كان للمسلمين في جميع أنحاء دولتهم المترامية الأطراف في العصور الوسطى نظام تعليمي واحد ساعد على تحقيق الوحدة الروحية والعقلية بين شتى الأجناس والشعوب التي تألفت منها الدولة الإسلامية، وكان من مظاهر ذلك النظام الفريد الذي عني بتربية الإنسان المسلم عقلاً وجسماً وخلقاً ظهور مؤسسات تعليمية متعددة[(١)]، نشأت في أزمنة مختلفة بتأثير ظروف خاصة أملتها طبيعة الحياة الإسلامية آنذاك، كما كان من مظاهر ذلك النظام ظهور مربين أفذاذ سبقوا علماء التربية في العصر الحديث إلى كثير من حقائق التربية وأصولها الأولى.. وفي هذا الصدد سوف نحاول تعرّف صفات العلماء المسلمين وأخلاقهم وكذلك نماذج من عمل المدرس عبر القرون المختلفة من خلال التعرض لحياة بعض علماء التربية والمعلمين في العصور الإسلامية الوسطى[(٢)].

١ ـــ صفات العلماء المسلمين وأخلاقهم:

نظراً للمكانة التي كان يتبوأها المدرس في الإسلام فقد اشترط المسلمون في أساتذة المساجد والمدارس شروطاً عديدة، تتعلق بالأخلاق والصفات، يمكن إجمالها على النحو التالي:

١ ـــ الكفاية العلمية:

لم يكن يتم تنصيب أحد للتدريس إلا بعد أن يستكمل عدته ويشهد له بذلك أفاضل أساتذة وكبار علماء عصره أو بلدته.

٢ ـــ التفرغ للتعليم:

يجب أن يتفرغ المدرس للتدريس ولا يكون هناك عمل آخر بجانب هذا العمل

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى الفصل الثاني.

٢ ـ أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٠٩ (بتصرف).

الشريف باستثناء بعض الذين كانوا لا يتقاضون أجراً من الأوقاف نظير مهنة التعليم، فكان يسمح لهم بالقيام ببعض المهن الشريفة ليقوم بأود نفسه وإصلاح حال أهله.

٣ ـــ معرفة طلابه:

كان على المدرس أن يعرف أسماء طلبته وحاضري دروسه وأنسابهم ومواطنهم وأحوالهم لما في ذلك من تقوية الصلات بينه وبينهم وتعرف ماضيهم[١].

٤ ـــ الرفق بالمتعلمين ومراعاة قابلياتهم:

إن الشفقة فيما يتصل بطريقة التدريس في رأي علماء المسلمين تستدعي عدم إرهاق المتعلم بما هو فوق إدراكه وفهمه، فلا يمتنع عن تعليم أحد منهم علماً أو بحثاً إذا أنِسَ منه الفهم، وأن يتدرج معه في تفهيمه مبتدئاً بضرب الأمثلة والشواهد ومنتهياً بذكر الأدلة والعلل والمآخذ.

٥ ـــ التثبت من مدى فهم التلاميذ:

فعلى المدرس أن يطرح مزيداً من الأسئلة على طلابه ليتبين له مقدار ما استوعبوه من دروسه وما فهموه من مقرراته، فإن لم يجدهم قد استفادوا أعاد عليهم الكرّة، وإن وجدهم قد فهموا منه أثنى على البارع منهم، وشجع المتوسط[٢]، وأن يختبر مقدار فهمهم وعلمهم فيوصي كلّ واحد منهم بقراءة الكتب التي تلائم مستواه وعلمه، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «كل ميسر لما خلق له».

٦ ـــ التحلي بالأخلاق الفاضلة:

فعلى المدرس أن يكون مهذباً متديناً متحلياً بالآداب الإسلامية كاظماً لغيظه حليماً وقوراً متئداً رفيقاً بطلابه، وأن يعمل على مراعاة مصلحتهم في تعيين مواعيد الدروس وساعاتها، ولا يرفع صوته ولا يدعي علم ما يجهل، فإذا سأله تلاميذه عن

---

١ ـ أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٥٧ (بتصرف).
انظر: عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، مصدر سابق، ص: ١٧١ (بتصرف).
٢ ـ أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ (بتصرف).

شيء يجهله قال: «لا أعلم»[1].

تلك هي أهم الصفات العلمية والشخصية التي رأى المسلمون في العصور الوسطى ضرورة توافرها في القائمين بأمر التدريس.

٢ ـ نماذج من عمل المدرس عبر القرون المختلفة:

في السطور القادمة سوف نتعرض لبعض هؤلاء العلماء باعتبارهم يمثلون نماذج عمل المدرس، وذلك على النحو التالي:

* القابسي (٣٢٤ ـ ٤٠٣ هـ) = (٩٣٥ ـ ١٠١٢م):

نبذة عن حياته:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القري الملقب بـ «ابن القابسي»، ولد بقرية تسمى بـ «المعارفين» من قرى القيران بجوار مدينة قابس، حفظ القرآن ودرس علومه وبرع في علم الفقه والحديث رغم أنه كان ضريراً.

عمل بالتدريس والتأليف في الفقه والحديث والمواعظ إلى جانب اهتمامه بشؤون التربية والتعليم مما أدى إلى تأليفه رسالة مشهورة اسمها «الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، وأحكام المعلمين والمتعلمين».

نماذج من تطبيقاته التربوية:

استطاع القابسي بأفكاره أن يسبق كثيراً من آراء المتقدمين وأفكارهم ومبادئهم في التربية الحديثة، ومن ضمن التطبيقات التي نجدها في أفكار القابسي ما يلي:

١ ـ الدعوة إلى مبدأ حديث وهو التعليم الإجباري مصاحبة بمبدأ آخر هو نشر التعليم وتعميمه من خلال إلزام الآباء بتعليم أبنائهم وذلك لغرض نشر التعليم بين

---

٣ ـ سعد مرسي أحمد: تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، (ط ٥)، القاهرة، ١٩٨١، ص: ٢٦٠ - ٢٧١ (بتصرف).

أفراد المجتمع بغض النظر عن الجنس أو المستوى الاقتصادي خاصة بالنسبة للتعليم الابتدائي. وهذا ما نراه الآن وتدعو إليه كثير من المجتمعات المعاصرة.

٢ ـ الاهتمام بتعليم المرأة بما يتناسب وطبيعتها دون أن يكون هناك تعليم مختلط بما يتناسب والإسلام ومبادئه.. وهذا ما تفتقر إليه كثير من المجتمعات الإسلامية المعاصرة، خاصة إذا ما عرفنا المشكلات الناجمة عن ذلك في الدول التي تطبقه اليوم.

٣ ـ نظرته إلى العقاب من خلال التأديب والتقريع دون سب أو شتم، وجعل العقاب البدني آخر وسائل الإصلاح واختلاف العقاب بالظروف والسن، تعدّ نظرة عميقة وسليمة تتمشى مع النظرة الحديثة المعتدلة في قضية التأديب والعقاب.

٤ ـ الاهتمام بمبدأ القدوة الصالحة وأثره في اكتساب الأخلاق الجيدة والفضائل الحميدة والابتعاد عن الرذائل من الأمور التربوية التي تسعى إلى تحقيقها كثير من المجتمعات وعلى مر العصور.

٥ ـ توضيحه لأثر شخصية المعلم في تربية النشء.. يدل على بعد نظره واستقامة رأيه وعمق أفكاره[١].

وهكذا يتضح أن هذا النموذج يحمل كثيراً من المعاني التربوية سواء بالنسبة للغرض من التعليم الذي يتمثل في معرفة الدين وتطبيق ما ينادي به، وكذلك نظرته إلى التعليم ونشره باعتباره عاملاً هاماً في تقدم الأمم، وكذلك إيمانه بتعليم المرأة وتخصيص مناهج تتفق وطبيعتها ودورها في المجتمع ووضع المناهج الملائمة لتعليم

---

١ ـ صالح سالم باقارش وآخر: أصول التربية الإسلامية العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٠، ص: ٢٢٧ (بتصرف).

انظر:

ـ عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، ص: ١٧١ (بتصرف).

ـ سعد مرسي أحمد: تطور الفكر التربوي، مصدر سابق، ص: ٢٦٠ ـ ٢٧١ (بتصرف).

الأطفال وتنوعها واشتمالها على العديد من المقررات، وكذلك دعوته لعدم الاختلاط إضافة إلى تقرير مبدأ العقاب بغرض التأديب وتحديد ظروفه وعوامله، ثم يأتي عاملٌ هامٌ يتمثل في المعلم وضرورة الاهتمام بشخصيته لما لها من دور حاسم في تحقيق نجاح العمل التربوي.

*** ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ) = (٩٨٠ ـ ١٠٣٧م):**

نبذة عن حياته:

هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن. ولد في قرية أفشنة وانتقل إلى بخارى وعمل في خدمة الدولة الساسانية في عهد الأمير نوح بن منصور.

وقد درس الفلسفة والطب والرياضيات وبرع فيها، كما درس علوم الدين وحفظ القرآن في سن العاشرة، ألف العديد من الكتب والرسائل في الطب والفلسفة والتحليل النفسي والتربية.

نماذج من تطبيقاته التربوية:

١ ـ الاهتمام بتوجيه الطفل إلى المهنة التي تتناسب وقدراته واستعداداته وليس مع ما يرغبه فقط. وقد يكون ذلك من قبل المربي الذي يستطيع أن يكشف قدرات تلاميذه واستعداداتهم عن طريق بعض الاختبارات لكنه أشار إلي أن: على المربي أن يزن طبع الصبي ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه ويتعرف قدر ميله إلى الصناعة التي اختارها ورغب فيها. ونرى في الوقت الحاضر اهتماماً بالغاً بعملية القدرات والاستعدادات خاصة في المجال المهني، فظهر ما يسمى بالتوجيه المهني[١].

٢ ـ تقسيمه فترة الطفولة إلى مرحلتين: الأولى يعتنى فيها بالطفل كله جسماً وعقلاً وخلقاً. والثانية تختص بالدرس والتلقين حيث يعمل فيها على غرس

---

١ ـ صالح سالم باقارش وآخر: أصول التربية الإسلامية العامة، مصدر سابق، ص: ٢٣١ (بتصرف).

العادات الفاضلة بالترغيب والترهيب بالمدح والذم، وبعد أن يشتد عود الصبي يتعلم القرآن الكريم وتصور له حروف الهجاء وتختار له الأشياء السهلة ليسهل عليه حفظها، وينبغي أن تكون ذات مدلول خلقي كأن تكون مدحاً للعلم وذماً للغباوة والجهل[1].

٣ ـ معرفته بالتحليل النفسي وبعض العمليات في علم النفس قبل ظهور نظريات التحليل النفسي.

٤ ـ الاهتمام بالتربية الخلقية وأثر القدوة والتقليد في اكتساب العادات الحسنة. والذي يظهر وتزداد أهميته في الوقت الحاضر حيث إن التربية الحديثة توجب على المدرس أن يذكر دائماً أننا لسنا بحاجة إلى العلم فحسب ولكننا بحاجة إلى كثير من الأخلاق الفاضلة.

٥ ـ فكرته عن العقاب تتمشى مع وضع التربية اليوم، وما تحتاجه لتأديب أبنائنا، فلا تعسف ولا استرخاء بل لابدّ من الخلط بين الترغيب والترهيب وبين الثواب والعقاب.

٦ ـ اهتمام الأسرة بالطفل منذ ولادته اهتماماً كبيراً، وبمختلف الجوانب، فهناك الاهتمام بغذائه، باسمه وبأقرانه، وبعلومه وبتوجيهه وإرشاده.

ويتضح مما سبق أن ابن سينا قد سبق عصره بكثير من المراحل حيث صبغ التطبيقات التربوية بأسس علم النفس التربوي والمهني وكذلك علم النفس العام ليقدم في النهاية بوتقة صالحة للعمل في المجال التربوي تؤكد على أهمية دور الأسرة والمعلم والقدوة، إضافة لنظرته للثواب والعقاب، وأيضاً للتوجيه المهني وفقاً للميول والرغبات والقدرات، ولاشك أن هذا النموذج يعكس لنا ثقافة المعلم وإطلاعه ورغبته الحقة في العمل والتطوير وتفهم أسس عمله ومتطلباته وميله إلى البحث والتنقيب الذي ساعد في النهاية على اتساع الأفق وتقديم مثل تلك التطبيقات التي تعمل جميع دول العالم

---

١ ـ المصدر السابق، ص: ٢٣٢.

على تطبيقها من أجل تحقيق التقدم المنشود والمحافظة عليه.

* الغزالي (٤٥٠ ـــ ٥٠٥هـ) = (١٠٥٨ ـــ ١١١١م):

نبذة عن حياته:

هو حجة الإسلام محمد بن أحمد الغزالي المعروف بأبي حامد، ولد بمدينة طوس قرب خراسان، ثم رحل إلى نيسابور ليعقد حلقات الدراسة في الفقه والأصول والجدل والمنطق والكلام والفلسفة، ثم رحل إلى العسكر وقام بالتدريس في المدرسة النظامية بالعراق منذ عام ٤٨٤هـ، واستمر أربع سنوات، ثم توفي عام ٥٠٥هـ[١]، بعد أن أسس مدرسة للفقه والتصوف في طوس.

نماذج من تطبيقاته التربوية:

١ ـ له بعض المبادئ التربوية في طريقة تعليم الأطفال مثل اهتمامه بمزاج المتعلم وانفعالاته، وضرورة تحقيق التوازن النفسي والجسمي لتأثير كل منهما على الآخر ومثل اهتمامه بالترويح عن النفس باللعب لأن الإرهاق في العمل المدرسي يميت القلب ويبعث الملل. وقد نجد صورة حية لتلك الفكرة وهي عملية فصل الدروس والحصص بفترة راحة حتى يتمكن المتعلم من تجديد نشاطه.

٢ ـ اهتمامه بالمتعلم والشفقة عليه ومعاملته مثل الابن وهو أمر جيد وجميل، اليوم يدعو كثير من المربين إلى أن يهتم المعلم بالمتعلمين كاهتمامه بأبنائه من حيث العطف عليهم ومحبتهم والتفكير في مستقبلهم ومحاولة إفادتهم.

٣ ـ مناداته بمبدأ تربوي سبق به كثيراً من علماء التربية الحديثة، ويتلخص في مراعاة مستوى الأطفال ومقدرتهم وميولهم وأمزجتهم، أي مراعاة الفروق

---

١ ـ صالح سالم باقارش وآخر: أصول التربية الإسلامية العامة، مصدر سابق، ص: ٢٣٧.
انظر:
ـ سعد مرسي أحمد: تطور الفكر التربوي، مصدر سابق، ص: ١٩٧ ـ ٢١٠ (بتصرف).

الفردية بينهم مع وجوب ملاحظتها وبناء طرق التدريس بموجبها.

٤ ـ إيمانه بمبدأ القدوة الحسنة في اكتساب الفضائل وترك الرذائل والاهتمام بمبدأ العادة في تكوين الأخلاق الحسنة عن طريق التربية، وذلك لأن التربية في رأيه هي لإخراج الأخلاق السيئة وغرس الأخلاق الحسنة، ولا يتأتى ذلك إذا لم يكن المعلم «المربي» هو القدوة في التحلي بالأخلاق الفاضلة.

وهكذا نرى أن هذا النموذج قد أضاف بعض الأفكار التربوية الهامة التي من أهمها الاهتمام بالحالة المزاجية والانفعالية للمتعلم، باعتباره بشراً يؤثر ويتأثر ويخضع للمتغيرات والمؤثرات التي قد تؤدي إلى تعويق الفهم والاستيعاب، وكذلك إضافته أهمية الترويح التي نجدها بين الحصص في مختلف المدارس، باعتبارها فترة راحة تربوية تحمل كثيراً من المعاني والدلالات الخاصة بالاستعداد والتهيئة، والفصل بين المواد لإراحة العقل منعاً للخلط، ثم نجده أيضاً يضيف مفهوم العادة والتعود في غرس الأخلاق الحسنة، وهكذا نجد أن الإمام الغزالي قد أضاف كثيراً من الأفكار التي طبقها سواء في عمله في المدرسة النظامية أو في المدرسة التي أسسها في طوس قبل وفاته.

*** ابن تيمية (٦٦١ ــ ٧٢٨هـ) = (١٢٦٣ ــ ١٣٢٨م):**

نبذة عن حياته:

ولد تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية في مدينة حران شمال سوريا، واكتُني بأبي العباس، واشتهر بابن تيمية.

حفظ القرآن والحديث وأحاط بدقائق الفقه الحنبلي، دخل السجن عدة مرات، واشتغل بتدريس المسجونين، عمل بالتدريس والإفتاء والوعظ بالمدرسة الحنبلية وأحيانا في مدرسته الخاصة.. ألف عديداً من الكتب في الفتاوى والحسبة والإيمان وغيرها.

نماذج من تطبيقاته التربوية:

١ ـ عالج ابن تيمية موضوع بناء الأمة على أساس إقامة علاقات اجتماعية بين أفرادها واحدة في أهدافها وثقافتها وعقيدتها وتفكيرها، وهذا الموضوع نجده من الموضوعات الحديثة التي اهتمت بها التربية الحديثة وحاولت إقامته إذ يقابل عمليات الثقافة والتثقيف والتطبيع الاجتماعي.

٢ ـ دعا إلى استخدام أساليب ووسائل تندرج تحت الطريقة العلمية التي نادى بها، وهذه الأساليب استخدمها الإسلام في الدعوة إلى عبادة الله واستخدمتها التربية الإسلامية أيضا، فهي أساليب نافعة ومؤدية إلى أغراض جيدة وتربوية، كما أن الأساليب التي دعا إليها تتمشى مع مستوى المتعلم ودرجة تعلمه، فكأنه ينادي بمراعاة استعدادات المتعلم طبقاً لتنوع تلك الأساليب بدءاً من الحكمة فالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

٣ ـ اهتم بإيجاد التكامل بين طريقتي العلمية والإرادة، وهذا التكامل يعدّ مطلباً تربوياً عالمياً خاصة في أمريكا وأوروبا، وذلك بعد شعور بعض الدول بأن أنظمتهم التربوية قد فشلت في تحقيق الذات لدى المدرسين.

٤ ـ نادى بإلزامية التعليم ونشره وتعدّ التربية الإسلامية هي السباقة في ذلك فالإسلام دين علم، واهتم بالتعليم والعلم والعلماء، وعدّ تعلم العلم فرضاً على كل مسلم رجلاً كان أو امرأة.

٥ ـ عمل جاداً على الجمع بين العلم والعمل، بين النظرية والتطبيق[1]، وعدّ ذلك شرطاً من شروط الطريقة العلمية.

وهكذا نحن أمام نموذج آخر من تلك النماذج المشرفة التي عملت في أثناء قيامها بمهام التدريس على تطبيق العديد من الأفكار التربوية التي اشتركت مع من سبقها في

---

١ ـ صالح سالم باقارش وآخر: أصول التربية الإسلامية العامة، مصدر سابق، ص: ٢٤٥ (بتصرف).

بعض النقاط، إلا أنها قد تفردت بالعديد، من بينها طرح فكرة التربية والتوحيد وتربية الفرد المسلم والمنهاج الذي يؤدي إلى تحقيق التربية، وكذلك الربط بين العلم والعمل إدراكاً لأهمية ذلك، إضافة إلى سبقه لعالم النفس «وتورانك» في تأكيد أهمية الإرادة لتحريك سلوك الإنسان نحو قصد معين، وكيفية تربية الإرادة.

ومما لا شك فيه أن ذلك يدلّ على الحضارة الإسلامية الراقية، واعتبارها المنهل الذي ينهل منه العلماء المعاصرون، ليقدموا نظرياتهم ومناهجهم دون الإشارة لذلك المنهل.

*** ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ) = (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م):**

نبذة عن حياته:

ولد العلامة عبدالرحمن بن خلدون الحضرمي التونسي في أسرة من أهل العلم والفضل والمكانة من عرب اليمن (حضرموت)، ونزحت إلى الأندلس في القرن الثالث الهجري، ثم إلى اشبيلية، وبعد ذلك إلى تونس في أوائل القرن السابع للهجرة.

وتلقى علومه على يد والده ثم كبار علماء تونس، نبغ في اللغة والآداب وذاعت شهرته في الفقه المالكي، وقد شغل وظائف متميزة في البلاط التونسي، وفي مراكش وغرناطة ومصر، ومارس التدريس في الأزهر ثم في المدرستين الظاهرية والسلطانية بالقاهرة[1].

نماذج من تطبيقاته التربوية:

١ ـ مراعاة القدرات والاستعدادات.

٢ ـ اعتبار الملخصات مخلة بالتعليم، وهذا أمر سليم دعت إليه التربية الحديثة

---

١ ـ صالح سالم باقارش وآخر: أصول التربية الإسلامية العامة، مصدر سابق، ص: ٢٥٤.
انظر:

سعد مرسي أحمد: تطور الفكر التربوي، مصدر سابق، ص: ٣١٢ ـ ٣٣٢ (بتصرف)
عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، مصدر سابق، ص: ٢٤٢ ـ ٢٤٨.

المعتدلة، حيث إن الاهتمام بالاختصارات ينصب على توضيح العموميات دون التعمق في الخصوصيات، مما يؤدي إلى عدم قدرة الفرد على معرفة جوانب متعددة في موضوع الدراسة.

٣ ـ اهتمامه بموضوع الرحلة في طلب العلم يعدُّ من الموضوعات التربوية الجيدة إضافة إلى دعوته لاستخدام الأمثلة الحسية، وهذان الموضوعان يشغلان بال التربية والمربين في العصر الحاضر، إذ إن من المعروف أن الطفل يحتاج إلى التعليم المحسوس في بداية حياته وإلى التجربة المباشرة، وقد طالب كثير من العلماء أمثال «جان جاك روسو» و«جون ديوي» و«جان بياجيه» وغيرهم بالاهتمام بالتجريب المحسوس.

٤ ـ استخدام العقوبة في نظره أمر يؤدي إلى تعلم الطفل الكذب، ويعوده المذلة والمهانة والضعة، وهذه أمور واقعية حقيقية، لأن الطفل قد يكذب ويراوغ حتى يبتعد عن العقاب.

٥ ـ اشتهر بدعوته إلى استخدام مبادئ التدرج في التعليم مثل:

ـ التدرج من السهل إلى الصعب.

ـ التدرج من البسيط إلى المعقد.

ـ التدرج من المعلوم إلى المجهول.

ـ التدرج من الأمثلة الحسية إلى القوانين العامة «الاستقراء».

٦ ـ مطالبته للمعلم بتنويع أساليب التعليم وطرقه والإلمام بفنه، فقد يستخدم المحاكاة والتقليد والتجربة.

وهكذا فنحن أمام نموذج أرسى العديد من القواعد التربوية الهامة، التي نجدها مطلباً ملحاً في الأنظمة التعليمية والتربوية كافة، وكذلك نجدها في مناهج التربية

عند العديد من العلماء المحدثين أمثال جون ديوي، ولعل أبرزها نبذه لفكرة الملخصات التي انتشرت في الوقت الحاضر، وأثرت سلباً على كفاءة المتعلمين ومحصلة معلوماتهم، وكذلك ربطه المنهج بالمناشط اللاصفية من أجل تثبيت المعلومة في أذهان المتعلمين، ثم نجد منهجه التدرجي الهام في التعليم، وكذلك مطالبته بتنويع أساليب التدريس من أجل زيادة الفهم وتوفير التشويق والجذب عند المتعلم.

* الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ) = (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م)[1]:

نبذة عن حياته:

ولد بحصة شبشير من إقليم الغربية، ونشأ بمحلة نصر من قرى «شبراخيت» بإقليم البحيرة بدولة مصر، تعلم في الكتاب، ثم في الجامع الأحمدي بطنطا، وأخيراً في الجامع الأزهر، تتلمذ على يد جمال الدين الأفغاني، كما شاركه في إصدار مجلة تسمى «العروة الوثقى» اتسمت بدفاعها عن الإسلام والمسلمين.

تخرج في الأزهر عام ١٨٧٧م وحصل على شهادة العالمية فيه، وعين مدرساً في دار العلوم، وقد اشتغل بالتدريس في المدرسة «السلطانية» ببيروت عام ١٨٨٦م، بعد نفيه إليها في عام ١٨٨٣م، وقد ألف العديد من المؤلفات والمقالات التي نشرت في جريدة الوقائع.

نماذج من تطبيقاته التربوية:

١ ـ يعدّ من مناصري الدعوة السلفية الإصلاحية التي نادى بها قبله الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي عاش في فترة اختلط فيها الفكر الثقافي الإسلامي بشوائب وأفكار خطأ أدت إلى طمسه، فكان داعية للتجديد والإصلاح، ولذلك نجد أن مجموعة أفكاره التي نادى بها قد طبق بعضها في

---

١ ـ صالح سالم باقارش وآخر: أصول التربية الإسلامية العامة، مصدر سابق، ص: ٢٦٠ ـ ٢٦٣ (بتصرف).

عهده، وبعضها الآخر بعد وفاته، وما وصل إليه الأزهر عام ١٩٧٠م من وجود كليات مختلفة مثل الطب والهندسة والتربية وكليات البنات، توضح تلك البذور التي أثمرت فيما بعد.

٢ ـ إصلاح نظام الامتحانات وإعطاء الشهادات لخريجي الأزهر .. يرجع الفضل فيه إلى الشيخ محمد عبده، وقد حقق ذلك الأمر لخريجي الأزهر مورداً لدخلهم وحفظ كرامتهم.

٣ ـ إدخال بعض المناهج الحديثة وإصلاح الكتب من الأمور التي يعود الفضل فيها إلى مشاركاته.

٤ ـ دعوته إلى تعميم التعليم ونشره مجانياً، أمر اهتمت به الدول في وقتنا الحاضر بشكل واضح وذلك لأهميته في تطور المجتمع ونهضته ومحو أميته[1].

ولعل أبرز ما جاء به الشيخ محمد عبده في تلك الآونة تنظيمه للدراسة في الأزهر الشريف من خلال تحديد مدة الدراسة ونظام الامتحانات وتجديد الكتب والمراجع وتقسيم العلوم وإدخال مواد جديدة لم يسبق تدريسها بالأزهر، بالإضافة إلى مناداته بتكوين جمعية نسائية تقيم مدارس لتعليم البنات، انطلاقاً من إيمانه بأهمية تعليم المرأة.

وهكذا بعد عرضنا لهذه النماذج، فإننا نأمل أن نكون قد أعطينا صورة صادقة عن عمل المدرس، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه النماذج ما هي إلا أمثلة بسيطة لصعوبة الحصر في مثل تلك المواقف، حيث إن التاريخ الإسلامي مليء بالعديد من أمثال تلك النماذج.

---

١ ـ المصدر السابق، ص: ٢٦٤.

* **ولابد أن ندرك أن:**

- ما قدمه هؤلاء من أفكار وتطبيقات إنما تصلح أن تكون منهجاً تربوياً شاملاً، يستطيع من خلاله أي مجتمع أن يحقق التقدم المنشود في شتى مجالاته انطلاقاً من أهمية المزاوجة بين العلم والعمل.
- إن عنصر الاستمرارية والتكامل يميز تلك الأفكار والتطبيقات، حيث إن ما قدمه كلّ من هؤلاء، وإن كان يتسم بالتفريد إلا أنه في الوقت نفسه يكمل مسيرة من سبقوه في ذلك المجال.
- إن ما جاء به العلماء الأوروبيون من نظريات ومناهج مختلفة إنما هو مستمد بشكل أو بآخر من تلك الأفكار والتطبيقات، وبذلك نستطيع أن نقول بل نؤكد إن الحضارة الإسلامية وعناصرها هي المنبع والمنهل الأساسي لـ «جان جاك روسو» و«جان ديوي» و«أتور انك» وغيرهم.



التغيرات التي حدثت في موقف المسلمين من العمل في العصر الوسيط

تمهيد

أولاً: التغير في مفهوم العمل

ثانياً: التغير في الاتجاهات والقيم

ثالثاً: التغيرات التي حدثت في مجال العمل

الفصل الثالث

التغيرات التي حدثت في موقف المسلمين من العمل في العصر الوسيط

تمهيد:

لقد كان للمسلمين في العصور الوسطى حضارة عظيمة، ومن المعروف أن التاريخ الحضاري لأي شعب من الشعوب عبارة عن سجل لتطوير النشاط الفعلي عند الناس ومدى فاعليته في مختلف نواحي الحياة من فكرية وفنية واجتماعية واقتصادية وعلمية ودينية وسياسية.

فبينما كان الجهل والفوضى والاضطرابات تسود أوروبا في العصور الوسطى منذ القرن الخامس الميلادي بعد سقوط روما كانت الأمة الإسلامية تتمتع بحضارة زاهرة.

وعلى الرغم من أن كثيراً من الأوروبيين عدّوا الحضارة الإسلامية امتداداً لمدنيّة اليونان والرومان، فإن هذا الرأي يعدُّ مخالفاً للواقع، حيث إن أساس هذه المدنيات كان مقتصراً على الأساطير والماديات، إلى جانب قضايا فلسفية، بينما كانت الحضارة الإسلامية ذات شخصية متميزة في خصائصها ومقوماتها، حيث إنها حضارة ترتكز على قواعد وأسس[1].

---

١ ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، مصدر سابق، ص: ٣٣٩.



ويؤكد التاريخ أن التغيرات التى حدثت فى موقف المسلمين من العمل في القرون الوسطى كان لها اليد الطولى في الروائع التي تركها مسلمو هذا القرن في شتى المجالات والمهن[1]، ولمزيد من التفاصيل سوف نحاول من خلال هذا الفصل إلقاء الضوء على تلك التغيرات من خلال تناول:

أولاً ـــ التغير في مفهوم العمل.

ثانياً ـــ التغير في الاتجاهات والقيم.

ثالثاً ـــ التغيرات التي حدثت في مجال العمل.

---

١ ـ المصدر السابق، ص: ٣٣٩.

أولاً ـ التغير في مفهوم العمل

إن للعمل في الإسلام مفهوماً أشمل لا يقتصر على العمل اليدوي أو العمل الصناعي بأنواعه ومستوياته وأشكاله المختلفة، إذ يتسع ويمتد ليشمل العمل الأخلاقي والسلوكي الإنساني كله والعمل العلمي والأدبي والفكري، والعمل بهذا الشمول هو ميدان العمل التربوي كله، كما أنه السلوك المبني على الأخلاق النظرية والعلم النظري. وفي المعنى هذا يقول الله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾[١].. وفي آية أخرى: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[٢].

وفي ضوء ما سبق فقد اتسع المفهوم ليشمل:

١ ـ العمل الصالح:

يؤكد القرآن الكريم ويُعنَى عناية خاصة بالعمل عامة، والعمل الصالح خاصة، حيث نجد أنه يحوي ما يزيد على ثلاثمائة آية تذكر العمل والعاملين، وما يزيد على الأربعين منها تخص العمل الصالح[٣].

والعمل الصالح في القرآن الكريم يلي الإيمان في الذكر في العديد من الآيات.

نماذج من آيات تحض على العمل:

قال الله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ٤٤.

٢ ـ سورة الصف، الآية ٢.

٣ ـ محمد فاضل الجمالي: نحو تجديد البناء التربوي في العالم الإسلامي، الدار التونسية للنشر، الجامعة التونسية، ١٩٨٤، ص ٢٠٣.

٤ ـ سورة التوبة، الآية ١٠٥.

٥ ـ سورة الصافات، الآية ٦١.



سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾[4].

والعمل الصالح هو مجموعة الأفعال التي يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى، وهو يشمل كل عمل يدفع الإنسان كفرد أو كمجموعة وإزالة كل ما يضر الإنسان كفرد أو كعضو في جماعة، كما أنه يعني ممارسة الإنسان مزاياه الإنسانية وارتفاعه فوق الأنانية والبهيمية وهذا ما جاء الإسلام لتحقيقه باعتباره دين العمل الصالح[5].

*** أشكال العمل الصالح:**

ليس من السهل حصر أشكال العمل الصالح الذي يحتاج المسلم إلى ممارسته في حياته الخاصة والعامة، وذلك لتعدد الظروف وتطور الأحوال، ولكن هناك أمورا أساسية مشتركة بين جميع المسلمين نذكر منها:

ـ العمل الصالح إزاء نفسه:

فالمفروض في الإنسان أن يعمل العمل الصالح إزاء نفسه قبل كل شيء فيعمل على تغذيتها بالإيمان بالله ويشبعها بتقوى الله فيبعدها عن الشرور ويعودها على عمل الخير.

ـ العمل الصالح نحو عائلته:

وهذا يتطلب من الإنسان توفير المودة والرحمة تجاه زوجه وتكريم الوالدين وتربية

---

١ ـ سورة النجم، الآيات ٣٩ ـ ٤١.

٢ ـ سورة الزلزلة، الآيات ٦ ـ ٨.

٣ ـ سورة يونس، الآية ١٤.

٤ ـ سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

٥ ـ محمد فاضل الجمالي: نحو تجديد البناء التربوي في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٢٣.

الأطفال تربية صحيحة تتسم بالعناية بصحتهم وآدابهم وتعويدهم على الأعمال النافعة والأخلاق الكريمة، فالوالدان مسؤولان عن تربية أبنائهما قبل أي جهة أخرى.

فالمسلم الذي يمارس العمل الصالح يجعل من بيته مركز سعادة وإشعاع في المجتمع الإسلامي[1]، فالبيت السعيد يتطلب أن يكون نظيفاً والجو العائلي مملوءاً بالرحمة والسرور والثقة المتبادلة بين أفراد الأسرة.

ـ العمل الصالح نحو الوطن:

وهذا يتطلب من المسلم أن يؤسس علاقات أخوة وصداقة مع أهل وطنه، وهذه العلاقات تؤسس على التعاون في تحقيق المصلحة المشتركة، بحيث يصبح الوطن نظيفاً ومزدهراً مادياً ومعنوياً بعيداً عن الفساد والإجرام والفقر والحرمان، حيث إن العمل الصالح يجعل الوطن مكاناً يطيب العيش فيه.

ـ العمل الصالح نحو المهنة:

وهذا يتطلب من المسلم أن يدرك أن الكاسب حبيب الله، وأن كل عمل يقوم به الإنسان لخدمة أخيه ويدر عليه رزقه هو عمل شريف، ولما كانت قابليات الأفراد متنوعة وحاجاتهم عديدة فالأعمال التي يحتاج إليها المجتمع وتكسب العامل رزقه بدورها تتنوع[2]، فمنها العمل اليدوي، ومنها العمل القضائي والتعليمي والديني والصحي والطبي والهندسي، ومنها العمل الفكري والاعلامي إلى غير ذلك.

فالأعمال في كل هذه المهن وغيرها التي تتوقف عليها حياة المجتمع هي أعمال شريفة ومحترمة. فالمسلم يحب العمل الصالح في كل هذه الحقول، وهو يتصف بالأمانة والصدق والإنصاف والتعاون في كلّ معاملاته، ثم إنه يتقن عمله ويعمل على تحسين إنتاجه باستمرار[3].

---

١ ـ محمد فاضل الجمالي: نحو تجديد البناء التربوي في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٢٣.
٢ ـ محمد فاضل الجمالي: نحو تجديد البناء التربوي في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٢٣.
٣ ـ المصدر السابق، ص: ٢٠٤.

ويبقى سؤال مهمّ يفرض نفسه في هذا الصدد، وهو كيف استطاع مسلمو العصور الوسطى غرس هذا المفهوم في أطفالهم؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إن المسلم يحتاج منذ طفولته إلى أن ينشأ على معرفة العمل الصالح، وعلى حبّ ذلك العمل وممارسته، وهناك بعض الأساليب التي تم استعمالها في تربية الأبناء لأداء العمل الصالح في القرون الوسطى وهي:

- التوعية والتبصير اللذان سيحملان المسلم على التمييز بين العمل الصالح والعمل الضار.

- القدوة والمشاركة التي تدفع المسلم نحو العمل الصالح وحب المشاركة فيه.

- العبادة وتلاوة القرآن وهما يحببان العمل الصالح ويحذران من ارتكاب المعاصي.

- درس السيرة النبوية وسير عظماء السلف الذين يمثلون التضحية، وفي ذلك غرس للمثل العليا في نفوس المسلمين.

- ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشجيع الرجال العاملين، ليندفعوا أكثر فأكثر في سبيل العمل الصالح.

- تهيئة الفرص التعاونية وإقرار المشاريع النافعة، ليشارك بها المسلم في المدرسة والمجتمع في أداء العمل الصالح[1].

وخلاصة القول:

إن الدراسة الفاحصة للقرآن الكريم تضعنا أمام حديث واسع عن العمل وبيان حقيقته والأمر به على الوجه الصحيح، بحيث يشغل ذلك موضوعاً مهماً من موضوعاته الأساسية.

---

١ - قارن: محمد فاضل الجمالي: نحو تجديد البناء التربوي في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٢٠٤.

وقد نبه القرآن الكريم إلى الغرض الأساسي من خلق الإنسان وهو الابتلاء من أجل حسن العمل، فلقد قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾[١] .. ولذلك فإن الاستخلاف لن يتحقق إلا بالحركة والعمل ومصداقه في ذلك قوله تعالى: ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾[٢] .. والعاملون في هذه الدنيا هم الذين يورثهم الله الجنة بما عملوا حيث قال تعالى: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾[٣].

والعمل الصالح هو المحك الوحيد للجزاء في الآخرة، فلقد نبهنا الله سبحانه وتعالى إلى ذلك القانون العادل الذي يطبقه يوم القيامة: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[٤].

٢ ـ العمل عبادة، والعبادة عمل:

لقد اتسع المفهوم التقليدي للعمل في العصور الوسطى بعد أن أصبح يتخذ مكاناً بارزاً واساسياً في حياة هذا المجتمع المسلم وعقيدته، ومكانة العمل هذه ليست شيئاً تابعاً أو طارئاً، بل هو من صلب هذه العقيدة ومن أساسياتها، لا يستقيم أمرٌ دونه، ولا يكتمل منهج إلا إذا كان العمل ترجمةً وتجسيداً له، فهو كما يقول الرسول ﷺ في حديثه الشريف عن الإيمان وعلاقته بالعمل: «الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل».

والعمل كما ورد في نتاج الحضارة العربية الإسلامية وفي مصادرها الأساسية المقدمة من القرآن الكريم والسنة النبوية ليس أي عمل كان، بل هو عمل مشروط بأسس وقيم ومبادئ معينة[٥]. لذلك فإن الإسلام يباركه ويعدّه أعظم ركن في الحياة،

---

١ ـ سورة الملك، الآية ٢.

٢ ـ سورة يونس، الآية ١٤.

٣ ـ سورة الأعراف، الآية ٦.

٤ ـ سورة الزلزلة، الآيتان ٧ ـ ٨.

٥ ـ حكمت عبدالله البزاز: التربية والعمل، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٥، ص: ٩٩.

ولم يجعل العبادات عائقاً عن طلبه، فقد قال تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾[1].

كما أجاز مباشرة الأعمال التجارية في مواطن الحج بقوله: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾[2].

وقد ذهب المفسرون جميعاً إلى أن الآية تحث على الأخذ بأسباب الرزق، ومزاولة أعمال التجارة في مواطن الحج، ومن جوانب هذا التنظيم أن الإسلام عد الأعمال التي يقوم بها الإنسان في الحياة عبادة إذا كان يقصد بها الصالح العام، ويأتمر في ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى، وبذلك فإنه لا يصلح بعمله في الدنيا فحسب، بل يجزيه على ذلك أعظم الجزاء[3]، حيث قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[4].

خلاصة القول:

فإن العمل قد أصبح في ظلّ المفهوم الحديث مصدراً طبيعياً لحصول الإنسان على ما يصلح أن يكون شيئاً يتعامل به ويجري في الحياة مجرى النفع والتبادل حيث لم يكتف الإسلام بالدوافع الطبيعية التي تدفع الإنسان إلى العمل والضرب[5] في وجوه الأرض ليحصّل حاجاته ويحقّق مطامحه وآماله، ولم يكتف الإسلام بهذه الدوافع الطبيعية، فتمسك بها عن السعي والجد، وأقامها في ظلّ الدعة والسكون، فدعا إلى العمل، وأهاب بأتباعه أن يعملوا، ثم لم يكتف بهذا، بل رفع مكانة العمل والعاملين إلى مقام العبادة والعابدين[6].

---

١ ـ سورة الجمعة، الآية ١٠.

٢ ـ سورة البقرة، الآية ١٩٨.

٣ ـ محمد فاضل الجمالي: نحو تجديد البناء التربوي في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٢٠٦.

٤ ـ سورة النحل، الآية ٩٧.

٥ ـ فالضرب معناه: السعي، والسعي بقوة حتى يزلزل الأرض ويستيقظ نيامها.. يمكن الرجوع إلى سورة المزمل، الآية ٢٠.

٦ ـ محمد فاضل الجمالي: نحو تجديد البناء التربوي في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٢٠٧.

فالمسلم في جهاد مادام في سعي وعمل، وقد أقام له العمل عذراً كعذر المجاهدين في سبيل الله، بل قدّم عذر العامل على عذر المجاهد[1]، وبهذا لا يجد المسلم فرصة يتحلل فيها من هذا الأمر الملزم.

وهكذا.. فالعمل في الشريعة الإسلامية ضرب من العبادة يتقرب به إلى الله، وتكفَّر به السيئات، وتغفر الذنوب[2].

---

١ ـ المصدر السابق، ص: ٢١٧.

٢ ـ المصدر السابق، ص: ٢٠٧.

ثانياً ـ التغير في الاتجاهات والقيم

ارتباطاً بالتغيرات التي حدثت في مفهوم العمل واتساعه ليشمل مفهومي العمل الصالح والعمل العبادة، فقد حدثت بعض التغيرات في الاتجاهات والقيم المرتبطة بذات الموضوع لدى المسلمين في العصور الوسطى، ساعدت بدورها على إحداث العديد من التغيرات في موقفهم تجاه العمل، وقد انعكس ذلك إيجابياً على علو مكانتهم وتقدمهم في كلّ المجالات المتعلقة به.. ولعل من بين هذه التغيرات.

١ ـ إعلاء قيمة العمل اليدوي:

تحفل حياة الأنبياء والرسل بالعديد من الصور التطبيقية والأدلة الواضحة على قيمة العمل في ميزان الدين، حيث كانت حياتهم كلها عملاً وجهاداً ليس في ميدان الفكر والدعوة فحسب، وإنما في مجال العمل اليدوي وغيره من الأعمال أيضاً، فقد عمل داود عليه السلام «خواصاً»، وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: (كان داود يخطب الناس على المنبر، وإنه ليعمل الخوص بيده، فيعمل منه القفّة أو الشرع، ثم يبعث به مع من يبيعه ويأكل من ثمنه. وكان إدريس عليه السلام يعمل «خياطاً» يتصدق من كسبه بما فضل من قوته، وكان زكريا عليه السلام «نجاراً»، كما كان موسى عليه السلام «أجيراً».. كما نجد أن القرآن الكريم زاخر بالقصص المتعلقة بذلك الأمر، ومنها حكاية عن إحدى بنات شعيب: ﴿يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين﴾. وقد عمل النبي ﷺ في «الرعي» وفي «التجارة» مع عمه أبي طالب، ولخديجة بنت خويلد قبل أن يتزوجها[١].. وفي ذلك يقول: «إن الله يحب المؤمن المحترف»، «والحرفة أمان من الفقر»[٢].

وهكذا فإن العمل في الإسلام يعدّ من مقومات الحياة الأساسية، يقول تعالى:

---

١ ـ حكمت عبدالله البزاز: التربية والعمل، مصدر سابق، ص: ١٠٣.

٢ ـ محمود السيد سلطان: مفاهيم تربوية في الإسلام، دار المعارف، مصر، ١٩٨١، ص: ٧٨.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون... ﴾[١].

ولذلك فإن الإسلام يقدس العمل بجميع مستوياته ابتداء بالعمل اليدوي واستمراراً بجميع أنواع الأعمال وأشكالها، حيث لم يرد في التراث الإسلامي أي فصل بين العمل الفكري والعمل اليدوي، بل عدّ العمل الصالح مطلقاً لا تقيده إلا شروط الخضوع للشريعة والمصلحة العامة، وكذلك فإن العمل اليدوي ينال احترام الناس وتقديرهم كالعمل الفكري تماماً خلافاً لما درجت عليه بعض الفلسفات الأخرى[٢].

إن العمل بشقيه اليدوي والفكري يعدّ جزءاً أساسياً وطبيعياً من عقيدة الأمة وفلسفتها، ولهذا فهو يرتبط بأسمى ما في العقيدة من مبادئ، وإن شرعية العمل مقرونة بمدى ما يدره من مردود في إطار الحلال والحرام، وعدم الإخلال بالقيم الاجتماعية والدينية، فالعمل شريف مادام القصد وأسلوب التعامل والنتاج شريفاً[٣].

٢ ـ المزاوجة بين العلم والعمل:

اهتم الإسلام بالعمل بما يهدي إليه العلم اهتماماً بالغاً باعتباره من وسائل بناء الحضارة الإسلامية سواء من خلال الاستفادة المباشرة عن طريق الاختراع والابتكار والتحسين أم عن طريق الاستفادة المباشرة من المعارف والعلوم من خلال كل ما يمارسه الإنسان في حياته من عمل، وبكل ما يجتنيه من أمر، مستهدياً بحقائق المعرفة التي توصل إليها بالقواعد والقوانين والسنن والتجارب الكونية التي عرفها بالطرق المختلفة والمرتبطة باكتساب المعارف والعلوم الحسية أو الاستدلالية العقلية أو الخبرية[٤].

ومما لاشك فيه أن تطبيق العلم في أنواع الاستفادات المباشرة وغير المباشرة من شأنه أن يجعل للتقدم الحضاري والمدني أثراً ظاهراً في العمران والزراعة والصناعة والصحة

---

١ ـ سورة التوبة، الآية ١٠٥.

٢ ـ حكمت عبدالله البزاز: التربية والعمل، مصدر سابق، ص: ١٠٣.

٣ـ المصدر السابق، ص: ١٠٥.

٤ ـ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، مصدر سابق، ص: ٣٣٩.

والطب ووسائل الرفاهية والقوة إلى غير ذلك مما تحتويه المدنيات الراقية من كل ما فيه خير الإنسانية أفراداً وجماعات. كما أنه تنفيذ وتجربة واختيار مع جهد حثيث لارتقاء كل مرتقىً حضاري كريم. وهذا ما يدعو إليه الإسلام ويحث عليه بإلحاح شديد[1]، حيث نجد أن هناك العديد من النصوص القرآنية التي تبين موقف الإسلام من تطبيق العلم بالعمل منها: قول الله تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾[5].

كما نجد أن السنة النبوية زاخرة أيضاً بالعديد من الأحاديث المرتبطة بهذا المجال، فنجد أن المصطفى ﷺ يقول: «لا يكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً». وأيضا: «من ازداد علماً ولم يزدد هدىً لم يزدد من الله إلا بعداً». وقال ﷺ أيضاً: «مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاهم بمقاريض من نار! فقلت: من أنتم؟ فقالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه، وننهى عن الشر ونأتيه»[6].

ومن هذه الآيات والأحاديث، نرى أن الإسلام يقرن العلم بالعمل والأخلاق النظرية بالأخلاق العملية، كما يعكس العديد من المضامين التربوية منها:

أ ـ القدوة:

تعدّ إحدى القيم الأساسية للعمل، على اعتبار أن من يدعو إلى حسن العمل الأخلاقي أو إلى إجادة العمل اليدوي أو إلى أسس نظرية للعمل، فإنه مطالب بأن

---

١ ـ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، مصدر سابق، ص: ٣٣٩.
٢ ـ سورة النحل، الآية ٩٧.
٣ ـ سورة غافر، الآية ٤٠.
٤ ـ سورة فصلت، الآية ٣٣.
٥ ـ سورة الأنعام، الآية ١٣٢.
٦ ـ محمود السيد سلطان: مفاهيم تربوية في الإسلام، مصدر سابق، ص: ٨٢.

يتقن هذا العمل ويجيده تطبيقياً. وهذا يفرض على الداعية إلى الإسلام والأب والمعلم والحاكم في إطار الإسلام أن يكون مجداً في عمله وقدوة في أخلاقه وسلوكه بجميع أشكاله، وقادراً على تطبيق ما يقوله وما يفعله.. ومن هذا المنطلق يمكن أن تنعكس أعمال الأجيال القائدة والرائدة على الأجيال الناشئة بحسن إتقان العمل وإجادته ومعرفة مهاراته[1].

وعلى جانب آخر إذا كان الإسلام يعنى بتجويد العمل وإتقانه فذلك لأن العمل الجيد موضع استحسان وترقب وراحة للنفس العاملة، والأجر حق للعامل لابد من الوفاء به، كما أنه شرع العقوبة لمن يجور على أجر العامل[2]، وفي هذا يذكر الحديث القدسي: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»[3].

ب ـــ اقتران الأسس النظرية للعمل بالتطبيقية:

ويعكس ذلك بناء الشخصية الإسلامية على أساس من الفهم لأسس العمل بكل أشكاله ودوافعه، ثم تكامل الجانب السلوكي أو التطبيقي مع الجانب النظري، لهذا مغزىً تربويٌ يفرض علينا ـ نحن المربين ـ أن نزاوج بين الجانب النظري والجانب التطبيقي في الخبرات التربوية التي نمر بها على الناشئة والشباب حتى تعمق الخبرات التربوية[4].

٣ ـ التأكيد على أهمية الاختراع والابتكار:

ذكر الله تعالى طائفة من المسخرات للناس في الطبيعة، وذلك في قوله: ﴿سخر لكم ما في الأرض﴾، وقوله: ﴿سخر لكم البحر﴾، وقوله: ﴿سخر لكم ما في

---

١ ـ محمود السيد سلطان: مفاهيم تربوية في الإسلام، مصدر سابق، ص: ٨٢.

٢ ـ المصدر السابق، ص ٨٢.

٣ ـ رواه البخاري في كتاب البيوع.

٤ ـ محمود السيد سلطان: مفاهيم تربوية في الإسلام، مصدر سابق، ص ٨٣.

السموات وما في الأرض جميعاً﴾، كما ذكر المولى عز وجل طائفة من المسخرات التي دخلت فيها يد الصناعة الإنسانية في قوله: ﴿والفلك تجري في البحر بأمره﴾، وذلك لأن هذه المصنوعات ما كانت تستطيع تأدية وظائفها لولا القوانين والسنن الدائمة التي طبع الله الأشياء عليها وجعلها مسخرة لينتفع بها الإنسان.

وفي هذه النصوص ونظائرها يلمح مبلغ الدفع الإسلامي الشديد إلى العمل والاختراع والابتكار باعتبارهما الركن التطبيقي الذي لا يتم التقدم المادي الحضاري إلا به[1].

ولما كانت خطة الإسلام التي رسمها المولى عز وجل محتوية على فسح مجالات التقدم المادي والحضاري، الذي لا إثم فيه ولا ضرر منه ولا شر يخالطه، كان من شأن النصوص الإسلامية أن تحمل دلالات قوية وصريحة، تكشف هذه الخطة وتوضحها للناس، فإعلان تسخير ما في السماوات وما في الأرض جميعاً للإنسان يتضمن بشكل قوي الدفع البالغ لتدخل يد العمل بالجني أو بالاستنتاج أو بالتعمير أو بالتصنيع أو بالتحليل والتركيب والجمع والتفريق والاختيار والتجربة والتخيل والاستنباط والاختراع والابتكار ونحو ذلك.

وهناك من الآيات القرآنية ما هو أكثر صراحة مما سبق، حيث نجد قوله تعالى لنوح عليه السلام فيما قصه علينا: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾[2]، أمر من الله لرسول من رسله بصناعة مخترع جديد لم يكن الناس على علم به، وقد أحاطت هذا المخترع الجديد عناية الله ورافقه وحي منه يدل على هذا قوله تعالى: ﴿بأعيننا ووحينا﴾، فأية دعوة للاختراع والابتكار والعمل أقوى من هذه[3].

وللتأكيد على تلك الدعوة نجد قوله تعالى في معرض الحديث عن داود عليه

---

١ ـ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، مصدر سابق، ص ٣٤١.
٢ ـ سورة هود، الآية ٣٧.
٣ ـ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، مصدر سابق، ص ٣٤١.

السلام: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾[1]، بياناً واضحاً من الله أن اختراع أدوات الحرب وصناعتها، قد كان بتعليم من الله لداود عليه السلام وبتحريض له على أن يصنعها بيديه وهو نبي من أنبيائه لتكون حصناً للمؤمنين من بأس الكافرين.

ولم يكتف الله تبارك وتعالى بذلك، ولكنه أمر داود عليه السلام أن يتقن صناعته ويحكمها، فقال له كما قص علينا: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير﴾[2]، فمن أحكامه وإتقان صناعته الدروع أن تكون سابغات، وأن تكون حلقاتها ذات مقادير متناظرة[3].

كما نجده سبحانه وتعالى يقول: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾[4]، ليؤكد على الاستفادة من الحديد في مجالات القوة لإعلان كلمة الله وإقامة العدل باستخدامه في مجالات المنافع المدنية الكثيرة.

(وأما الدعوة إلى استعمار الأرض ـ أي السعي في عمرانها ـ فنجدها في قوله تعالى: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه﴾[5]، وقد منّ الله على الناس بما وهبهم من قدرة على تعمير البيوت وصناعة الأثاث والألبسة المختلفة، فقال تعالى: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم﴾[6].

---

١ ـ سورة الأنبياء، الآية ٨٠.

٢ ـ سورة سبأ، الآيتان ١٠ و١١.

٣ ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، مصدر سابق، ص ٣٤١.

٤ ـ سورة الحديد، الآية ٢٥.

٥ ـ سورة هود، الآية ٦١.

٦ ـ سورة النحل، الآية ٨١.

وفي ضوء ما سبق نجد أن النصوص القرآنية قد وجهت القدرات الإنسانية على أن تستفيد من كل ما في الكون لمنفعة الإنسان، وحينما يحرم الإسلام على الناس بعض الأشياء، فإنما يحرم عليهم أن يستعملوها فيما يضرهم أو فيما للإسلام فيه هدف ديني من التحريم، أما إذا استعملوها في أمور نافعة غير ضارة، فلا تحريم ولا منع، ومن أمثلة ذلك الكحول، فقد حرم الإسلام شربه ولم يحرم استعماله في قتل الجراثيم وتطهير الجروح منها.. قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[2].

٤ ـ جعل العمل نظاماً في حد ذاته:

لم يكتف الإسلام بدعوة الناس للعمل وحثهم عليه، بل جعل لذلك نظاماً استنبط منه الفقهاء قواعد وأصولاً كثيرة، وبنوا عليها اجتهاداتهم في إطار الضوابط الأصولية المقيدة، وكل من يتمعن في النظام الذي وضعه الإسلام لبيان علاقات العمل في الإسلام يجد قابليته للتطور والاهتمام فيه بالنزعة الجماعية ورفع الحرج عن الناس، وتحقيق العدالة الشاملة في المجتمع، حيث أوجب على الدولة المسلمة إيجاد العمل للقادرين عليه جميعاً. وإعطاءهم الفرص المتكافئة للحصول عليه، بحيث يستفيد من طاقات أبنائه جميعاً.

وإذا لم يتكامل المجتمع كله في توفير العمل هذا فإنه قد تتفشى فيه البطالة[3]، التي يرفضها الإسلام رفضاً قاطعاً فيقول الرسول ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[4].

---

١ ـ سورة الحج، الآية ٦٥.

٢ ـ سورة الجاثية، الآية ١٣.

٣ ـ محسن عبدالحميد: منهج التغير الاجتماعي في الإسلام، مصدر سابق، ص: ١١٥.

٤ ـ رواه البخاري ومسلم.

وحين نستعرض موقف الإسلام من أعمال الناس في شؤون الحياة، نراه لا يتدخل فيها إلا بقدرٍ وفي أضيق الحدود، فيضع مبادئ عامة يسير الناس على هديها ويبصرون بها معالم الطريق ثم هم بعد هذا وشأنهم، يذهبون كل مذهب يرون فيه مصلحتهم[1].

حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا﴾[4].

ويرى الإسلام أن كل مغنم أو مالٍ لا يكون ناتجاً عن جهد بشري فكري أو عضلي فهو مرفوض عدا المسائل التي حددتها الشريعة الإسلامية (كالميراث وغيره والهبة)، حيث إن الإنسان المستخلف يثبت بعمله حقيقة وجوده وإنسانيته، ولذلك فإنه حرم عليه التمتع بميزات أعمال غيره، لأن ذلك يؤدي إلى استغلال وتعطل الطاقات ونقص العمل وإلحاق أضرار جسيمة بحركة التقدم الحضاري، ونتيجة لذلك فقد حرم الإسلام تأجير الموارد الإنسانية والطبيعية، وقد ثبت ذلك في حديث رسول الله ﷺ بقوله: «إياكم والقسامة» قيل: وما القسامة يا رسول الله؟ قال: «الرجل يكون على الغنائم بين الناس فيأخذ من حظ هذا وحظ هذا»[5].

فاهتمام الإسلام العظيم بخلق المجتمع العامل ينبع أساساً من قانون اقتصادي ثابت هو أن الإنتاج لا يتوقف على الرأسمال الممثل في الملكية الفردية فحسب، بل يتوقف

---

١ ـ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، مصدر سابق، ص ٣٤٢.

٢ ـ سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

٣ ـ سورة البقرة، الآية ١٨٨.

٤ ـ سورة النساء، الآية ١٠.

٥ ـ يوسف النبهاني: الفتح الكبير في الزيادة على الجامع الصغير للسيوطي.

كذلك على العمل الإنساني[1].

كما جعل الإسلام العمل إحدى وسائل التملك، ولهذا حكمة تتجلى في أن الجهد الذي يبذله الإنسان هو من مقومات الحياة، وبه تتحقق عمارة الأرض التي استخلفنا الله سبحانه وتعالى فيها، كما يتحقق إثبات الذات وطهارة النفس، وتقويم الضمير الإنساني ورضاؤه وهو تغذية لبدن الإنسان وحفز لنشاطه وإطلاق لمواهبه وقدراته وإمكاناته.

وتقرير حق الملكية بالعمل يدفع الإنسان إلى بذل الجهد لإشباع ذلك الميل الفطري، وهذا ليس بضارٍ للناس بل يدفعهم إلى التنافس الشريف في بذل الجهد والامتلاك بهذه الوسيلة المشروعة فتتقدم الحياة الدنيا وتعمر بما يعود على البشر بالخير والرفاهية التي شرع الإسلام الاستمتاع بها[2].

وإذا كان الإسلام ينادي بالدقة والإتقان في العمل، فإن كثرة المهن التي نراها في العصور الوسطى في البلاد الإسلامية، إنما تدّل على زيادة التخصص والدقة، إذ يعمل العامل الواحد في جزء صغير من العمل فيتفوق فيه، على خلاف ما نجد في بعض المجتمعات، حين يعمل الفرد في أكثر من مهنة لعدم وجود المتخصصين، وبالتالي فإنه لا يكون ماهراً في أي منها[3].. ومما لاشك فيه أن الإيمان بهذا الاتجاه قد ساعد على إحراز التقدم والتطور في تلك العصور.

وهكذا فإن للعمل وممارسته مبادئ وأهدافاً وضوابط ترتبط بحاضر الإنسان ومستقبله، بحياته الحاضرة وحياته الأخرى، وجميع هذه المبادئ والضوابط تتجه إلى ما يحقق الخير للفرد والمجتمع، وتتركز النظرة في هذا المجال لا على نوع العمل الذي يقوم به الإنسان، وإنما على الكيفية التي يؤدي بها عمله، وعلى سلوكه في العمل، وعلى ارتباط ذلك كُلّه بقيم وأهداف المجتمع[4].

---

١ ـ محسن عبدالحميد: منهج التغير الاجتماعي في الإسلام، مصدر سابق، ص: ١١٥.

٢ ـ محمود السيد سلطان: مفاهيم تربوية في الإسلام، مصدر سابق، ص: ٨٣.

٣ ـ محسن عبدالحميد: منهج التغير الاجتماعي في الإسلام، مصدر سابق، ص: ١١٧.

٤ ـ حكمت عبدالله البزاز: التربية والعمل، مصدر سابق، ص: ١٠٥.

٥ ـ النظرة إلى العمل باعتباره قيمة اجتماعية ودينية:

إن العمل في الإسلام ليس للكسب الدنيوي فقط، وإن كان الكسب والمعيشة اليومية مشروطة بالعمل، بل إن العمل يكون للدنيا مطلباً دينياً وحياتياً وللآخرة مطلباً دينياً وإنسانياً، حيث ينظر إلى الحياة الدنيا ككل باعتبارها مجالاً للعمل الذي يحصد نتاجه في الآخرة «الدنيا مزرعة الآخرة» أي أن الهدف من العمل لا يتحقق بتحقق هدف جزئي من العمل «كالكسب»، وإنما ينظر إلى الكسب والمهنة كهدف طبيعي ومرحلي يؤدي «إذا أحسن العمل فيهما» إلى نتاج أكبر ومردود أعظم في الآخرة[١].

ومن هنا يمكن تحديد هدفين للعمل هما:

ـ هدف قريب مطلوب وهو التكسب والعيش بكرامة ضمن إطار الحلال.

ـ هدف بعيد مطلوب أيضاً يستند إلى طبيعة الهدف الأول، فبالقدر الذي يكون الهدف القريب متحققاً في إطار الشريعة والدين، يكون الهدف البعيد أكثر ضماناً والعكس صحيح.

وقد نال العمل بصورة عامة مكانة متميزة في تفكير الفلاسفة والمفكرين العرب والمسلمين، مما أثر على اتجاهاتهم بالنسبة للعمل، فهذا ابن خلدون يخصص باباً كاملاً في مقدمته: «في المعاش ووجوبه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كلّه من الأصول».

فهو يعدّ العمل ضرورة حياتية وقيمة بشرية لابد منها إذ يقول: إني أعلم أن الكسب إنما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد في التحصيل، فلابد في الرزق من سعي وعمل، ويعدّ أيضا أن العمل الصناعي لابد من أن يقوم على علم وأن رسوخ الصناع في الأمصار إنما هو رسوخ في الحضارة وأن انهيار الحضارة هو نتيجة نقص في الصنائع[٢].

---

١ ـ محمود السيد سلطان: مفاهيم تربوية في الإسلام، مصدر سابق، ص: ٨٣.

٢ ـ محسن عبدالحميد: منهج التغير الاجتماعي في الإسلام، مصدر سابق، ص: ١١٥.



ثالثاً ـ التغيرات التي حدثت في مجالات العمل

١ ـ الصناعة:

في ضوء ما تم تناوله سابقاً فيما يتعلق بالتطور الذي لحق بالصناعة[١]، إبان العهود الإسلامية المختلفة وانتشار العديد من الصناعات المختلفة في معظم البلدان الإسلامية والعربية، إن لم يكن جميعها، وذلك بفضل اهتمام الخلفاء وكبار رجال الدولة[٢]، فقد حدث العديد من التغيرات إبان العصور الوسطى في ذلك المجال. ولابد من رصدها باعتبارها تمثل علامات مضيئة وركائز هامة لما أصبحت عليه الصناعة في الوقت الحالي، ويمكن تناول ذلك من خلال النقاط الآتية:

ـ ظهور نظام الصبية:

لم تعرف العصور الوسطى العامل بمفهومه الحديث الذي نعرفه نحن الآن، حيث لم تكن هناك المصانع الكبيرة التي يعمل فيها أعدادٌ ضخمة من العمال كأجراء عند صاحب العمل، إنما كان العامل في تلك العصور هو صاحب العمل نفسه، فيعمل في بيته أو في دكان صغير يساعده صبية صغار السن، وكانوا بمنزلة تلاميذ يتعلمون منه الصنعة ويخدمونه في الوقت نفسه، ثم يستقل كل منهم بعد ذلك بنفسه، ولم يكن انتقال العامل من صبي إلى معلم يكلف كثيراً، لأن أدوات العمل كانت تتميز باليسر، إضافة إلى رخص ثمنها، وفي أكثر الأحيان كان هؤلاء الصبية هم أبناء المعلم نفسه، يرثون منه صنعته ودكانه وعملاءه أيضاً[٣].

وعلى ذلك فقد ارتبط هذا النظام بتوارث المهن وعدم اندثارها في العصور الوسطى، إضافة إلى اعتبارها نواة لمراكز تدريب المهن والحرف التي أنشئت فيما بعد،

---

١ ـ انظر الفصل الثاني: ص: ٣٨.

٢ ـ عصام الدين عبدالرؤوف الفقي: معالم التاريخ الإسلامي، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ت)، ص: ٣٦٦.

٣ ـ إبراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٨٨.

مع الأخذ في الاعتبار أن نظام الصبية قد أثبت جدواه وفعاليته على مر العصور، ومازالت هناك بعض الدول العربية والإسلامية تأخذ به للآن، وإن كانت النسبة في ذلك تبدو قليلة.

ـ ارتباط الأجر بالمهارة:

لم يكن هناك أجرٌ محددٌ يرتبط بصنعة أو حرفة بعينها، بل كان الصانع أو صاحب الحرفة يقدر أتعابه بنفسه طبقاً لمهاراته وقدراته[1]، حيث إن البشر يتفاوتون فطرياً في مواهبهم وقدراتهم وكفاياتهم، ولوجود هذا التفاوت الذي يقرّه الإسلام فإن العمال يتفاوتون في جهودهم المبذولة كماً ونوعاً[2]، وعلى سبيل المثال فقد كان بعض النساجين يتقاضون أجوراً تصل إلى مئات الدنانير في الثوب الواحد، بينما نجد أن ذلك لا يتحقق لعدد كبير منهم، لأن صاحب الحرفة الماهر هو الذي يحدّد أجره بنفسه، أما الذي يتحكم فيه الناس أو أصحاب الأعمال فهو العامل غير المتقن والذي يفتقد المهارة[3].

ومن هذا المنطلق فقد ارتبطت الصناعة بالفن في العصور الوسطى، حين أصبح في تلك الآونة من الضروري أن يكون العامل مفناً في صنعته، ولا نقصد هنا الفن بالمعنى الجمالي، ولكن المقصود هو الفن بالمعنى المهاري.

ـ نشأة النقابات العمالية:

لعل من أهم التغيرات التي طرأت على المجال الصناعي في العصور الوسطى نشأة النقابات العمالية التي كانت تختص بالمحافظة على مصالح العاملين في الحرفة نفسها، وتحديد مستوى العمل فيها، وإلزام الراغبين في الالتحاق بها بمنهج معين في الدراسة والتدريب والصنعة، ولابد من أن يقضي الغلام عدداً من السنين «صبياً» دون أجر، بل كان يظل عدداً من هذه السنين خادماً للمعلم في مكان العمل «الدكان عادة»

---

١ ـ إبراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٨٩.

٢ ـ لمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى: محمد مبارك: نظام الإسلام ـ الاقتصاد، مصدر سابق، ص: ٥٣.

٣ ـ إبراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٨٨.

وذلك قبل أن يبدأ في تعلم شيء، ثم يصبح «شغالاً» بأجر زهيد، ولا يصبح معلماً ولا يسمح له بفتح دكان إلا بعد أن ينقضي عليه في تعلم الحرفة وممارستها ما بين اثنتي عشرة وخمس عشرة سنة[1].

وكانت تربط أعضاء النقابات بعضهم ببعض تقاليد وقواعد وسلوك يلتزمون بالسير عليها، فللمعلم على الشغالين والصبيان عدة حقوق لا يمكن تجاهلها مثل احترامه وخدمته والأمانة في معاملته، كما أن لهم عليه حقوقاً تتصل بالأجور وساعات العمل، وكان النقيب مكلفاً بالحديث إلى السلطان باسم النقابة التي يرأسها.

كما كانت تلك النقابات مسؤولة عن مستوى المهنة، بحيث يستطيع العميل أن يتقدم بالشكوى إلى النقيب في حالة محاولة العامل خداعه[2].

وقد عرفت هذه النقابات كيف تحافظ على مستوى الصناعات في البلاد من التدهور، وكذلك في المحافظة على تقاليدها، حيث مازلنا نرى نماذج طيبة لها خاصة فيما يسمى بالصناعات التقليدية كالنجارة الدقيقة وصناعة النحاس والحديد المشغول والقماش المطرز وأشكال الصوف وما إلى ذلك. وكان المعلمون أو «الصناع» أو «الأسطوات» أو «الأساتذة»، كما كانوا يسمّون هم الذين يحددون مستوى الصنعة وأجورها المناسبة، كما كانت العلاقات النقابية لها جانبها الاجتماعي، حيث يقوم المعلم مقام الوالد بالنسبة لصبيانه في زواجهم وحل مشكلاتهم، كما كان زواج أبناء المهنة الواحدة فيما بينهم سائداً في تلك العصور[3].

خلاصة القول:

لولا هذه النقابات والعمال الذين أنشؤوها لما توافرت الصناعات الجميلة التي أضفت على مجتمعنا طابع الفن الذي لا غنى عنه لمجتمع متحضر، ولولا هذه النقابات

---

١ ـ إبراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٩١.

٢ ـ قارن: ـ المصدر السابق، ص: ١٩٢.

ـ حسين مؤنس: عالم الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، بيروت، ١٩٨٩، ص: ٢١٥.

٣ ـ حسين مؤنس: عالم الإسلام، مصدر سابق، ص: ٢١٥.

لضاعت تقاليد هذه الصناعات خلال العصور الوسطى المتأخرة. ومن يتأمل البلاد الإسلامية الآن وما خلفته لنا فيها العصور الوسطى من الآثار يجد أن معظمه من عمل أولئك الصناع[1].

ولاشك أن المتأمل للتاريخ الإسلامي يدرك فضل أولئك الصناع للحضارة، فها نحن أولاء الآن نرى ونسمع عن النقابات العمالية في شتى أنحاء العالم وما تمثله بالنسبة لحكوماتها من ضغوط لأجل حصول عمالها على حقوقهم المادية والمعنوية، وكذلك في المحافظة على أسس المهن ومبادئها التي تنتمي إليها.. ومما يذكر أن بعض هذه النقابات قد تحولت في بعض البلدان الأوروبية إلى جماعات ضغط تمارس دوراً اجتماعياً وسياسياً في تلك البلاد.

ـ ظهور المؤلفات العلمية:

وقد امتزجت الصناعة بالعلم في العصور الوسطى، حيث حرص أهل الحرف المسلمون على تأليف الكتب والمؤلفات العلمية التي تتناول الحرفة أو الصنعة من خلال تبيان أصولها وأصنافها والمواد الخام الخاصة بها ومستويات الجودة فيها.

ولم تقتصر هذه المؤلفات على الصناعات الكبيرة فقط كالبناء والحدادة والنجارة، بل تعدتها إلى الصناعات الأخرى كالجلود وأدوات الموسيقا وأدوات الكتابة والورق والزجاج والصياغة وسك النقود[2]، إضافة إلى كتب المباني والعمارة. وإن دلّ ذلك على شيء؛ فإنما يدل على أن العامل المسلم في العصور الوسطى كان متعلماً يمارس صنعته على أصول مقررة مسطرة في كتب ومؤلفات علمية، فلو لم يكن هناك عمال يقرؤون هذه الكتب المؤلفة في فنونهم ومهنهم لما ألفها أحد، حيث إن أسلوب معظمها يدل على أن مؤلفيها كانوا من رجال المهنة الممارسين لها يكتبون لأهل مهنتهم، فهم يستخدمون المصطلحات المتفق عليها بينهم والعبارات التي لا يفهمها سوى أبناء المهنة

١ ـ المصدر السابق، ص: ٢١٦.

٢ ـ حسين مؤنس: عالم الإسلام، مصدر سابق، ص: ٢١٧.

الواحدة فقط[1].

ـ ارتباط نوعية الصناعات بحاجات المجتمع:

انطلاقاً من إدراك المسلمين في العصور الوسطى لأهمية إحداث التكامل في المنتجات الصناعية والاعتماد على الذات في إشباع الاحتياجات المجتمعية، فقد انطلقوا في الاتجاهات كافة وطرقوا الأبواب كلها لإتقان الصناعات التي تحتاجها مجتمعاتهم سواء أكانت أدوات حرف أم أدوات بناء المنازل أم أسلحة الحرب أم مصنوعات الترفيه كأدوات الزينة والعطور وأواني الذهب والفضة.

كما أتقنوا صناعة الورق بأنواعه والصابون والزجاج المبسوط والمفرغ والبلّور والخزف والقيشاني والأثاث الخشبي[2].

ولاشك أن إتقانهم تلك الأنواع المختلفة من الصناعات؛ قد انعكس على قوة اقتصادهم وانتعاش تجارتهم وعلو مكانتهم بين الأمم.

٢ ـ الزراعة:

على الرغم من حاجة مهنة الزراعة إلى الصبر والجهد والاحتمال، فالزارع دائماً في خدمة الأرض وما يزرعه فيها.

وعلى الرغم من المتاعب التي كان يلقاها الزراع على أيدي الحكومات في البلاد الإسلامية في تلك الآونة[3]، إلا أنهم استطاعوا تقديم الكثير لشعوبهم وللعالم بأسره، كما سبق أن أوضحنا في الفصل السابق[4].. وقد اعترى هذا المجال العديد من

---

١ ـ المصدر السابق، ص: ٢١٨.

ولمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى: إبراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٩٢ ـ ١٩٣.

٢ ـ حسين مؤنس: عالم الإسلام، مصدر سابق، ص: ٢١٩.

٣ ـ المصدر السابق، ص: ٢٢٢.

٤ ـ الفصل الثاني، ص: ٤٦.

التغيرات الهامة التي من بينها:

- تحقيق مبدأ الاكتفاء الذاتي:

استطاع الزراع في البلاد الإسلامية في العصور الوسطى أن يقدموا لمجتمعاتهم كل حاجتها من الأغذية والزراعات، ولم يقتصروا على زراعة وإنتاج المحاصيل الاقتصادية، وإنما تعدت ذلك لتشمل الشجريات بأصنافها والفواكه والزهور والأعشاب والنباتات الطبية[1]. وقد رأينا كيف انعكس ذلك على تطور الصناعات المرتبطة بتلك الشجريات والنباتات ولاسيما في مجال العقاقير والصيدلة، ومازال للدول الإسلامية دورٌ أساسي في تلك الصناعة الهامة.

- إضفاء الجانب العلمي على الزراعة:

مارس المسلمون في العصور الوسطى زراعة هذه الأصناف عن علم دقيق، واعتمدوا على قواعد ثابتة في عملهم الزراعي، ولم يخل أي بلد إسلامي من تقويمات زراعية يسجل فيها أوقات زراعة كل محصول[2]، وكذلك ظهرت المؤلفات العلمية لابن وحشية «أبي العباس بن الرومية»، وأبي زكريا يحيى بن محمد بن العوام الاشبيلي، الذي عاش في الأندلس في أواخر القرن الثاني عشر.

وقد كانت هذه المؤلفات العلمية تتناول الآفات الزراعية وما ينبغي أن يقوم به الزارع لحماية محاصيله، حتى أصبحت الزراعة التي أخذها المسلمون في العصور الوسطى عن بابل والشام ومصر علماً حقيقياً للعرب اعتمدوا على نظرياتها من الكتب والمؤلفات العلمية ثم عمدوا إلى التوسع فيها بتوقيتاتهم وتجاربهم واستخدام المهارة في تطبيقها[3].

- اكتشاف أساليب جديدة في الري:

حرص الخلفاء والولاة في الدولة الإسلامية على تنمية موارد الثروة الزراعية، وذلك

---

١ ـ حسين مؤنس: عالم الإسلام، مصدر سابق، ص: ٢٢٣.

٢ـ حسين مؤنس: عالم الإسلام، مصدر سابق، ص: ٢٢٣.

٣ ـ المصدر السابق، ص: ٢٢٣.

لإنعاش أحوال البلاد الاقتصادية، فعنوا عناية كبيرة بتحسين وسائل الري واكتشاف أفضل اساليبها، وذلك بحفر الترع والقنوات وإقامة السدود والقناطر، كما استغل الخلفاء الأمويون العيون المائية في دمشق لإخراج قنوات منها تيسر للزراع ري أراضيهم، كما أشرف الخلفاء العباسيون على الأراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات، وعملوا على تحسين زراعتها وتنمية مواردها، وامتدت في هذه الأراضي شبكة من الترع والمصارف حتى ازدادت خصوبتها وكثر إنتاجها الزراعي[١].

ولعل خير دليل على ما تم في ذلك الصدد في العصور الوسطى ما قدمه «شارل سنيريوس» في كتابه «تاريخ الحضارة»، حيث قال: (جرى أمراء العرب على قاعدة إرواء الأرض بفتح الترع، ففتحوا الآبار وأجزوا بالمال كثيراً من عثروا على ينابيع جديدة، ووضعوا المصطلحات لتوزيع المياه والسواقي التي توزعها، وإن سهل «بلنسية» الذي جاء كأنه حديقة واحدة هو من بقايا عمل العرب ـ أي المسلمين ـ وعنايتهم بالسقيا، ونظم العرب ديوان المياه الذي كان يرجع إليه في مسائل الري)[٢].

وكذلك ما قاله «ويليام ويلكوكي»[٣] في: (أن عمل الخلفاء المسلمين في ري العراق في الأيام الماضية يشبه أعمال الري في مصر والولايات المتحدة واستراليا في هذا العصر)[٤].

ـ الاستفادة من التضاريس والظروف الطبيعية في توطين الزراعة:

استخدم العرب المسلمون في العصور الوسطى جميع أنواع الزراعة التي وجدوها في بلادهم وحملوا كثيرا من النباتات إلى بعض دول العالم كصقلية وإسبانيا، حيث قاموا بزراعتها وأحسنوا رعايتها لتنمو في تلك البلاد وكأنها موطنها الأصلي. ومن أمثلة

---

١ ـ إبراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٣٥.

٢ ـ إبراهيم سلمان الكردي وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٣٥.

٣ ـ كان ويليام ويلكوكي يعمل كبير مهندسي الري في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين.

٤ ـ عبدالرحمن حسن حبنكة: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، مصدر سابق، ص: ١٦٧.

تلك النباتات الأرز والزعفران والقنب والمشمش والبرتقال والنخل والورد والياسمين والقطن[1].

كما جعل المسلمون من جبال الأندلس مدرجات صالحة للزراعة، ومما يذكر أن صقر قريش «عبدالرحمن الداخل» قد أدخل أول نخل إلى أوروبا، كما أدخل المسلمون إلى أوروبا أيضاً القطن وقصب السكر والفستق الحلبي[2].

ـ تشجيع الملكية مقابل تحصيل الضرائب:

انطلاقاً من الإيمان بأن صاحب الأرض هو دائما أحرص الناس على رعايتها ومتابعتها، ومن أجل تدعيم الزراعة وازدهارها باعتبارها تمثل عنصراً أساسياً في اقتصاد أي مجتمع من المجتمعات، فقد أبقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأراضي الزراعية في البلاد التي فتحها المسلمون في أيدي أهلها يزرعونها ويؤدون ضرائبها، وقد نهى عمر بن الخطاب عمال الخراج عن إثقال كاهل الزراع بالضرائب، وسار على سياسته الخلفاء من بعده، وقد أدى ذلك إلى تشجيع الزراع على بذل الجهود لزيادة الإنتاج الزراعي[3].

٣ ـ التجارة:

لم يكن اهتمام الخلفاء مقصوراً على الزراعة والصناعة، بل عنوا بتيسير سبل التجارة[4] مهتدين بأوامر الله عز وجل بالاستثمار عن طريق التجارة وتداول البضائع والسلع، واعتبار أن التجارة هي العنصر المكمل للعمل الزراعي والصناعي[5]، ولاشك

---

١ ـ المصدر السابق، ص: ١٦٧.

٢ ـ شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٨٠.

٣ ـ عصام الدين عبدالرؤوف الفقي: معالم التاريخ الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٣٦٧.

٤ ـ المصدر السابق، ص: ٣٧٠.

٥ ـ لمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى:

ـ راشد البراوي: التفسير القرآني للتاريخ، دار النهضة العربية، (ط١)، القاهرة، (د.ت)، ص: ٩٨.

ـ شوقي الساهي: المال وطرق استثماره في الإسلام، مكتبة السلام (ط٣)، القاهرة، (د.ت)، ص: ١٩٨ ـ ١٩٩.

أن ذلك المجال مثله مثل المجالات الأخرى قد اعتراها بعض التغيرات في العصور الوسطى نذكر منها ما يلي:

ـ تيسير سبل التجارة:

اهتمّ الخلفاء بالعوامل التي تيسر سبل التجارة، فعملوا على نشر الأمن والطمأنينة في أنحاء دولتهم، وأقاموا المسطحات والآبار في طريق القوافل، وكان لعملهم هذا أثر كبير في إنعاش حركة التجارة التي أصبحت في العصور الوسطى من أكبر موارد الكسب في الدولة الإسلامية(١).

ـ إنشاء المراكز التجارية:

من أجل مزيد من الازدهار اهتمت الدولة بإنشاء مراكز للتجارة مثل دمشق التي كانت محطاً للقوافل الآتية من الفرات إلى جزيرة العرب ومصر، كما كانت بغداد أيضاً من مراكز التجارة الهامة، وذلك بسبب موقعها المتميز على شاطئ دجلة، كما ازدهرت التجارة في الفسطاط التي كانت من أهم مراكز التجارة في مصر(٢).

ـ تنشيط الملاحة البحرية:

وإذا كانت طرق التجارة تشق البلاد الإسلامية في كل اتجاه في العصور الوسطى، فقد كان للملاحة البحرية طرقها المعروفة في بحار العالم، وكانت موانئهم تقع على البحرين المتوسط والأحمر، كما كانت تعدّ من أكثر مراكز التجار نشاطاً(٣).

٤ ـ الفن:

في ضوء التطور الذي لحق بالفن الإسلامي(٤) إبان العهود الإسلامية المختلفة

١ـ عصام الدين عبدالرؤوف الفقي: معالم التاريخ الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٣٧٠.

٢ـ عصام الدين عبدالرؤوف الفقي: معالم التاريخ الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٣٧١.

٣ ـ المصدر السابق، ص: ٣٧١.

لمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى: حسين مؤنس: عالم الإسلام، مصدر سابق، ص: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

٤ ـ الفصل الثاني، ص: ٤٩.

وانتشار أنواع عديدة منه سواء في العمارة أم الزخرفة أم الرسم والتصوير والتذهيب والمعدنيات، فقد حدث العديد من التغيرات التي نوجزها فيما يلي:

ـ سيطرة نوع من الوحدة والتماثل:

تميزت تلك الفترة بسيطرة نوع من الوحدة والتماثل والتكامل في الفن الإسلامي، على الرغم من تعدد أوطانه وعواصمه ومراكزه واتساع أقطاره.

ـ سيطرة الروح الإسلامية:

سيطرت من البداية تلك الروح على الفن فاتجهت نواحيه العديدة لخدمات الموضوعات الدينية في الدرجة الأولى مثل بناء المساجد والمدارس والزخرفة بالآيات القرآنية.

ـ كثرة الزخرفة وتعدد الأشكال:

لم يكن الفن الإسلامي فناً بدائياً، بل كان فناً راقياً، ظهر على الجدران والمنابر والسقوف والمنسوجات وجلود الكتب كثير من الزخارف وأكثرها كان زخارف هندسية أو نباتية أو خطية[1].

ـ ظهور التخصص الدقيق:

ظهر التخصص الدقيق بين أصحاب المهن الفنية الواحدة وكذلك التشكيلات المهنية، فكان لكل صنعة أو حرفة طائفة ترعى مصالحها برئاسة شيخ الصنعة، كما كانت الدولة تشرف على تلك الصنعة من خلال المحتسب[2].

---

١ ـ حسين مؤنس: عالم الإسلام، مصدر سابق، ص: ١٩٩.

٢ ـ المصدر السابق، ص: ١٩٩.

عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، مصدر سابق، ص: ١٧٠.



الفصل الرابع

أساسيات التربية الإسلامية ومناهجها الدراسية

تمهيـــــد

أولاً: أساسيات التربية الإسلامية

ثانيــــاً: المدرسة إحدى الوسائط العامة للتربية الإسلامية

الفصل الرابع

أساسيات التربية الإسلامية ومناهجها الدراسية

تمهيد:

تعدُّ التربية الإسلامية عنصراً أساسياً في حياة الأفراد والجماعات، فهي تزوّد الإنسان بعقيدة تساعد على فهم الكون الذي يعيش فيه وتزوّده بقيم ومثل عليا تهديه في سلوكه وفي حياته من خلال دعوتها إلى عموم الفضائل الخلقية وتبيان أثرها في حياة الإنسان والجماعة راسمة الطريق إلى تحقيقها عن طريق ما تقرره من عقائد وعبادات وأحكام وقصص وتهذيب، تمتد إلى مجالات حياته كافة، التي من بينها نظرته للعمل والتحلي بقيم الإسلام في أدائه.

كما أنها تعمل على تنظيم العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإنسان وأقرانه، وذلك من خلال العبادات التي يؤديها ابتغاء مرضاة الخالق، ومن خلال الأحكام والتهذيب التي تحدد له ما ينبغي أن يعمله كفرد وكعضو في أسرة أو جماعة كبيرة.

ولاشك أن اهتمام مدارسنا بتدريس التربية الإسلامية ينبع من العديد من العوامل لعل أهمها ما ورد سابقاً، إضافة إلى طغيان الناحية المادية على الحياة وسيطرتها في العديد من الأحيان على الناحية الروحية، وحاجتنا إلى إيجاد شيء من التوازن بين كل من الماديات والروحانيات حتى يجد الإنسان ما يساعده على حل المشكلات النفسية

والاجتماعية التي خلّفها هذا التغير المادي.

أما الأمر الثاني الذي يدعونا إلى ضرورة الاهتمام بتعليم التربية الإسلامية في مدارسنا فهو أن بعض المؤسسات الاجتماعية التي كانت تقوم بهذه الوظيفة قد أخذت تتراخى في القيام بها في ضوء المتغيرات الحادثة والمستمرة، حتى أصبحت المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية الوحيدة التي يقع عليها العبء الأكبر في تعليم التربية الإسلامية، باعتبارها المؤسسة التي تضم جميع أبناء المجتمع أطول مدة ممكنة، سواء من أعمارهم أو من أوقاتهم، كما أنها البوتقة التي يعهد إليها المجتمع بمهمة تعليم النشء.

وفي إطار ما سبق سوف نتناول من خلال هذا الفصل موضوعين أساسيين:

أولاً: أساسيات في التربية الإسلامية.

ثانياً: المدرسة إحدى الوسائط الهامة للتربية الإسلامية.

أولاً ـ أساسيات في التربية الإسلامية

مفهوم التربية الإسلامية:

إذا كان هناك اتفاقٌ وإجماعٌ على أن التربية الإسلامية ضرورة حتمية لتحقيق الإسلام كما أراده الله أن يتحقق، فإن المفاهيم التي وردت لتعبر عن المقصود بها قد جاءت جميعاً تتفق في جوهرها وبنائها، حيث يرى بعضهم أنها: «تنمية فكر الإنسان وتنظيم سلوكه، وعواطفه على أساس الدين الإسلامي، بقصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة، أي في كل مجالات الحياة»[1]، كما يؤكد بعضهم أنها: «التنظيم النفسي والاجتماعي الذي يؤدي إلى اعتناق الإسلام وتطبيقه كلياً في حياة الفرد».

وإذا كان المفهومان السابقان يؤكدان شمول التربية الإسلامية واتساعها وتطرقها لكل ما يتناوله الإنسان ويرتاده من مجالات الحياة، فقد حاول بعضهم أن يكون أكثر دقة وتحديداً وبساطة في تناولهم لذلك المفهوم، حيث يرون أن التربية الإسلامية ـ في عبارة يسيرة ـ: «عملية يأخذ فيها الناشئون من أبناء الإسلام بألوان من الأنشطة الموجهة في ظل الفكر والقيم والمثاليات والمبادئ الإسلامية، لتعديل سلوكهم وبناء شخصياتهم على النحو الذي يجعل منهم أفراداً صالحين نافعين لوطنهم وأمتهم الإسلامية والبشرية كلها»[2].

وقد أكد بعضهم أن جوهر هذا المفهوم يمثل ما عرفت به التربية الإسلامية في بدايتها، وحين كانت مادة المحتوى فيها غير مصنفة والأنشطة غير محددة بأوقات ونظم معينة، وكان روادها متفاوتين في قدراتهم ومستوياتهم، ومع ذلك ظهر أثرها في تقويم السلوك وبناء الشخصيات كأقوى وأنصع ما صنعت تربية على وجه الأرض،

---

١ ـ محمد أحمد عبدالهادي: المربي والتربية الإسلامية، دار البيان العربي للطباعة والتوزيع، جدة، ١٩٨٤، ص:٩.

٢ ـ يوسف الحمادي: أساليب تدريس التربية الإسلامية، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٧، ص:٢١.



حيث كانت تنزل الآية والآيات في تشريع ما، فلا تلبث أن تكتب بأيدي كتاب الوحي، ثم لا تلبث أفكارها أن تشق طريقها على يده ﷺ وأيدي الصحابة إلى الناس، فإذا العقول قد وعتها، وإذا القلوب قد انفعلت بها، وإذا هي تمضي إلى التنفيذ السريع الصحيح.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد من الطاعة والمبادرة، بل سرعان ما يصبح المتعلم معلماً ينقل المعرفة إلى غيره؛ فيبادر من انتقلت إليه بتبليغها.. وهكذا حتى تحتل مكانها في حياة الأمة.

وبهذه الحركة البناءة النشيطة التي اقترن فيها العلم بالعمل، والنظرية بالتطبيق، نجحت التربية الإسلامية في أول عهدها نجاحاً فذاً في تكوين الفرد، وتعديل سلوكه، وبناء شخصيته بناءً محكماً مكتملاً، وقد استرعت هذه الظاهرة أنظار المربين والمفكرين، حتى قيل: «إن الدنيا لم تشهد ـ ولن تشهد بعد ـ حركة علمية خيرة مُصلحة، غزيرة سريعة الفاعلية في الحياة البشرية كتلك التي شهدتها إبان تحقيق التربية الإسلامية أول مرة في نفوس الجماعة المسلمة التي رباها الرسول ﷺ على المنهاج الرباني الذي سجله القرآن الكريم، وفصلته السنة وعرضته السيرة النبوية»[1].

وهكذا كانت التربية الإسلامية منذ أن اضطلعت برسالتها، وهكذا فهمها التربويون الإسلاميون المعاصرون.

مصادر التربية الإسلامية:

إن التربية الإسلامية هي تهيئة النفس الإنسانية لتحمل أمانة الإسلام بما يشمله من عقائد وعبادات ومعاملات، وهذا يعني بالضرورة أن تكون مصادرها هي مصادر الإسلام ذاته التي تتمثل في مصدرين أساسيين هما:

---

١ ـ يوسف الحمادي: أساليب تدريس التربية الإسلامية، مصدر سابق ص: ٢١ ـ ٢٢.

وينفرد القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية الأخرى، وأيضاً عن السنة النبوية بخصائص نجملها في الآتي:

١ ـ إنه نزل باللغة العربية، وقد عبر الحق سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله: ﴿وإنه لتنزيل ربّ العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ [١].

٢ ـ يمثل مجموع اللفظ العربي نزل به الوحي على الرسول ﷺ والمعنى المستفاد منه [٢].

٣ ـ إنه نقل إلى المسلمين بطريق التواتر الذي يفيد القطع واليقين بصحة نقله وثبوته، فقد حفظ في الصدور والقلوب، ودوّن في المصاحف والسطور، وانتقل إلى المسلمين في جميع البلاد جيلاً بعد جيل، من غير خلاف ولاشك بينها، ودون تحريف ولا تبديل لقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [٣]. ويقول: ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته﴾ [٤]

* **أما عن محتوياته:**

فنلمس في القرآن الكريم ـ باعتباره دستور حياة المجتمع الإسلامي ثراءً واسعاً، بحيث يشمل جوانب متعددة من هذه الحياة، ومن هنا يمكن أن نشير إلى التصنيف الآتي لمجمل آياته والمحاور التي نختارها هنا لهذا التصنيف هي:

١ ـ عقائد يجب الإيمان بها كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [٥].

---

١ ـ سورة الشعراء، الآيات ١٩٢ ـ ١٩٥.

٢ ـ محمد أحمد عبدالهادي: المربي والتربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٢.

٣ ـ سورة الحجر، الآية ٩.

٤ ـ سورة الأنعام، الآية ١١٥.

٥ ـ سورة البقرة، الآية ٢٨٥.

٢ ـ الأخلاق الفاضلة التي تهذب النفس، وتصلح من شأن الفرد والجماعة، وتحذر من الأخلاق الفاسدة التي تؤذي المعاني الإنسانية الفاضلة، وتسبب الشقاء في الحياة من ذلك دعوته إلى[1]:

ـ طهارة النفس: ﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾[2].

ـ الاحتشام وغض البصر: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾[3].

ـ الصدق: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾[4].

٣ ـ الإرشاد إلى النظر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء، لنعرف أسرار الله في كونه، وإبداعه في خلقه، فتمتلئ القلوب إيماناً بعظمته عن نظر وإستدلال لا عن تقليد ومجاراة.

٤ ـ قصص الأولين أفراداً وأمماً ليرشد إلى سنن الله في معاملة خلقه الصالحين منهم والمفسدين.

٥ ـ أحكام عملية تتصل بما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل أو أي تصرف من التصرفات، وهذا النوع من الأحكام المتعلقة بالصلاة والصوم والزكاة والحج ونحو ذلك مثل[5]:

---

١ ـ محمد أحمد عبدالهادي: المربي والتربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٣.

٢ـ سورة الشمس، الآيات ٧ ـ ١٠.

٣ ـ سورة المؤمنون، الآيات ١ ـ ٧.

٤ ـ سورة الأحزاب، الآية ٧٠.

٥ ـ محمد أحمد عبدالهادي: المربي والتربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٣.

ـ في الصلاة: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾[1].

ـ الحج: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾[2].

٭ وهناك أحكام تتعلق بالمعاملات التي تنظم علاقة الإنسان بمثله وعلاقته بالمجتمع وعلاقة المجتمعات بالأخرى مثال ذلك:

ـ معاشرة الزوجات بالمعروف: ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[3].

ـ قتل الإنسان: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾[4].

ـ مراعاة العدل: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً﴾[5].

ولاشك أن القرآن الكريم مصدرٌ أولٌ للتربية الإسلامية بما له من خصائص متفردة ومحتويات متكاملة منظمة مؤثرة، قد ترك أثراً بالغاً في نفس الرسول ﷺ وصحابته، ليكونوا قدوة في هذا الشأن، وقد شهدت بذلك السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقالت في وصف الرسول ﷺ: «كان خلقه القرآن».

بل إن شهادة الحق جلّ جلاله قد سبقت كلّ شهادة، قال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لو نزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾[6].

ولاشك أن تلك الآية الكريمة تحمل إشارتين تربويتين الأولى: هي تثبيت الفؤاد وترسيخ الإيمان، والثانية: هي تعليم الترتيل في قراءة القرآن الكريم، وفيها نزلت توصيات تربوية صريحة من الحق جل جلاله إلى رسوله صلوات الله وسلامه عليه،

---

١ ـ سورة النساء، الآية ١٠٣.

٢ ـ سورة آل عمران، الآية ٩٧.

٣ ـ سورة النساء، الآية ١٩.

٤ ـ سورة الإسراء، الآية ٣٣.

٥ ـ سورة النساء، الآية ٥٨.

٦ ـ سورة الفرقان، الآية ٣٢.

وذلك في قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾[1].

وحياة الرسول ﷺ في سلمه وحربه، وفي حله وترحاله، وفي داره وبين رجاله؛ كلها تشهد بما شهدت به السيدة عائشة والمسلمون جميعاً، أما أصحابه رضوان الله عليهم فقد أخذوا بتطبيق القرآن مع تعلمه، وكان للقرآن وقع عظيم وأثر تربوي بالغ في نفوس المسلمين حتى شغلهم عن الشعر وغيره، وأصبحوا مسلمين حقاً، قولاً وعملاً.

المصدر الثاني ــ السُنَّة المطهرة:

تعدّ السُنَّة المطهرة المصدر الثاني الذي تستقي منه التربية الإسلامية منهجها التربوي، والمعنى اللغوي لكلمة «السُنَّة» هو: «الطريقة والأسلوب والنهج».. أما المعنى العلمي لها فهو: «مجموعة ما نقل بالسند الصحيح من أقوال الرسول ﷺ وأعماله ووصفه وإقراره ونهيه وما أحب وما كره وغزواته وأحواله وحياته»[2].. وقد جاءت السنة لتحقيق هدفين هما:

١ ـ إيضاح ما جاء في القرآن الكريم: وقد أشار المولى عز وجل في محكم آياته إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك القرآن لتبين للناس ما نزل إليهم﴾[3].

٢ ـ بيان تشريعات وآداب أخرى كما ورد في قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾[4]، أي السُنَّة كما فسرها الإمام الشافعي والطريقة العملية التي بها تتعمق وتتحقق تعاليم القرآن الكريم، كما ورد في قول الرسول ﷺ: «ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه».

ومما لاشك فيه أن الرسول ﷺ من خلال حياته العملية، ومن خلال أحاديثه العديدة، أورد من اللمحات والنظرات والمواقف ما يشكل في جملته معيناً رائعاً،

---

١ ـ سورة القيامة، الآيات ١٧ ـ ١٩.

٢ ـ عبدالرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، د.ت، الرياض، ١٩٧٩.

٣ ـ سورة النحل، الآية ٤٤.

٤ ـ سورة الجمعة، الآية ٢.

نستطيع أن نغترف منه كثيراً في عالم التربية والتعليم مثل:

١ ـ الحث على طلب العلم: وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين». وكذلك قوله: «الناس معادن، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

٢ ـ الحض على ممارسة «التعليم»: حيث أمر الرسول الكريم بنشر العلم، وفي رواية ابن مسعود ما يؤكد ذلك، حيث يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضّر الله امرأ سمع عنا حديثاً، فحفظه حتى يبلغ، فربّ مبلغ أحفظ من سامع»[١].. كما لم يترك الرسول ﷺ طريقة من طرق التبليغ والإعلام في ذلك العصر إلا استعملها في سبيل تبليغ الإسلام ومنع كتمان العلم، فقال: «من سئل عن علم فكتمه، ألجم بلجام من نار يوم القيامة»[٢].

٣ ـ مكانة العلماء في الإسلام: وقد ورد أن النبي ﷺ فضل العالم على سائر الناس فقال: «خيار أمتي علماؤها». بل ورد أيضاً ما يدل على أنه وضع العالم فوق العابد فقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلاً»[٣].

وهكذا يتضح ما حوته السُنَّة المطهرة لتحتل مكانة ثابتة كمصدرٍ ثانٍ من مصادر التربية الإسلامية لتترسخ من خلالها قيم وتعاليمُ النبي ﷺ وصحابته.

خصائص التربية الإسلامية:

في ضوء ما تقدم من أطرٍ فكرية وقيميّة تتضمن المثاليات والمبادئ في الإسلام والاتجاهات التربوية الشمولية يمكن تحديد وصفٍ لأهم الخصائص على النحو الآتي:

١ ـ إن طبيعة مادتها طبيعة خاصة، لأن مصدرها السماء، ولها بهذا مكانة لا تسمو إليها أية مادة تعليمية أخرى، كما أن لها مثل هذه الدرجة بما تؤتي من

١ ـ رواه الترمذي ـ رياض الصالحين، ص: ٤٤٧.

٢ ـ رواه أبو داوود والترمذي، مصدر سابق، ص: ٤٤٧.

٣ـ محمد أحمد عبدالهادي: المربي والتربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٢٥ ـ ٢٨.

أثر في إشباع فطرة الإنسان من التدين، وفي تكوين العقيدة الحقة التي طالما تطلعت البشرية إليها، وقضت العصور الطوال في البحث عنها، وعلى أساس هذه العقيدة وبمعاونة التعاليم والأنشطة المتصلة بها يتسنى تكوين الشخصية الإسلامية المتفردة المتميزة والحفاظ عليها ونقلها من جيل إلى جيل.

٢ ـ إنّها ـ مع ما ترتكز عليه من حقائق إلهية ـ ليست جامدة ولا متحجرة وإنما هي نامية متجددة متطورة، وأساس النمو المتجدد فيها أنّ المحتوى الإسلامي قد صيغ في مبادئ عامة وقواعد شاملة، بحيث تستوعب مراحل التطور الإنساني في كل العصور، وترك الاجتهادات البشرية أن تبذل قصارى جهدها في ظل هذا الإطار الشامل العام، وإن كان قد فصل في أمور لا تتغير وتوجد في كل عصر.

٣ ـ إن النمو والتجدد والتطور يأتي من محتوى التربية الإسلامية ودستورها ذاته، فيقع العقل منه اليوم على ما لم يتح له إدراكه بالأمس، وهذا هو القرآن الكريم، تناولته التفاسير على مر العصور واختلفت فيه الآراء، ولم يدَّعِ واحد منها أنه آتٍ في تفسيره بالكلمة الأخيرة التي لا كلمة بعدها.

٤ ـ إن الفكر الإسلامي بطبيعته يتناول كل ما يمت بصلة إلى الحق والخير من منطلق أنهما قوامه، ومن منطلق استعداده للانفتاح على كل معرفة أو علم أو ثقافة تمنح أبناءه قوة أو تزيدهم منها، مادامت مؤتمنة له ومسايرة لمثله ومبادئه.

٥ ـ إنها من منطلق الشمول الذي سبق الحديث عنه، ينبغي أن توجه الإعداد للحياة بأرحب وأدق ما يكون الإعداد لها، فتتناول من المحتوى الإسلامي فكراً ووجداناً، روحاً ونفعاً، فردية واجتماعية، للدنيا كانت أم للآخرة. وتتناول من الفرد جميع قدراته وكل أطوار نموه [1].

٦ ـ إنها ـ مع شمولها ـ تربية متكاملة، لا ينفصل بعضها عن بعض، ولا يكتفى

---

١ ـ يوسف الحمادي: أساليب تدريس التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٧١، ٧٣.

بشيء منها عن سائرها، والتكامل فيها يأتيها من ناحيتين: إن الفرد كل متكامل لا ينفصل جسمه عن عقله ولا عقله عن وجدانه، ولا تنقطع حياته الفردية عن حياته الاجتماعية.. فالإسلام كلٌّ متكامل، وهذا الكل المتكامل يتكامل أولاً بتناسقه وارتباطه المنطقي والفكري وإعطائه الأهمية المتوازنة لكل من العبادات والتشريعات الاجتماعية والاقتصادية، ويتكامل ثانياً بربط الإنسان بالمجتمع الذي وجد هذا الدين من أجلهما، ويتكامل ثالثاً بإيجاد تلك الصلات القوية بين العبادة والسلوك، وبين العقيدة والعمل، وبين الدنيا والآخرة.

٧ ـ إنها ـ مع تكاملها ـ تربية متوازنة، يأتي فيها الاهتمام الموجه إلى جوانبها المختلفة بأوزان ومعايير تربوية محكمة، فلا تطغى فيها النواحي الفردية على الاجتماعية أو العكس، ولا تعلو كفة الغايات الذاتية على الإنسانية، أو الإنسانية على الذاتية، والخاصة على العامة، أو الدنيوية على الأخروية أو العكس.

٨ ـ إنها تربية أدركت منذ القدم ما تنادي به التربية الحديثة في الابتعاد عن فرض المعارف على المتعلم، أو التقليد عن مجاراة أو جهل، وقد نهى الإسلام عن الجمود والتقليد الأعمى بقوله تعالى: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمّة وإنا على آثارهم مهتدون﴾[1].

وتمتد هذه النظرة التربوية إلى ما يحدث من تلقين وحشو للأذهان، وحفظ من غير فهم.

٩ ـ إن الدافعية السلوكية في هذه التربية ليست كالدافعية السلوكية في غيرها من ألوان التربية المدنية، فعلى حين يعتمد السلوك في التربية المدنية على ضمير صاحبه وحده أو مجرد خوفه من القانون، يعتمد السلوك في التربية الإسلامية على الضمير الديني بما وراءه من قيم ومبادئ ومثاليات، ثُمّ على حب المسلم

١ ـ سورة الزخرف، الآية ٢٢.

لله تعالى ورغبته في رضوانه وتقديره لجلاله وذلك كله في إطار من يقينه بأن الله تعالى معه في كل عمل وكل زمان ومكان وحال، قال سبحانه وتعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[1].

١٠ ـ إنها تربية تحفل بالحقائق النفسية وترتكز عليها، وهي في هذا تنطلق من دعوة الإسلام إلى معرفة النفس ودراستها والإفادة من هذه المعرفة، كما تنطلق من اتجاهه إلى مسايرة الطاقات والقدرات، ورعاية مدى احتمالها وذلك برسم الطريق لمدرس هذه التربية، ويعلمه أن يبني تربيته على أسس من حقائق علم النفس الصحيح بحافز من وعيه لآفاق دينه واتجاهاته، وشيء آخر هو أن يربط هذه التربية دائماً بواقع المتعلم.

١١ ـ إنها تربية نظرية عملية، فليست الحقيقة فيها لذاتها، وكذلك الأمر بالنسبة للنظرية، وإنما هي للفهم والوعي ثم التطبيق والعمل، وكذلك شأن العقيدة والعبادة والمبادئ الخلقية في الإسلام والأفكار الضابطة للنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

١٢ ـ إنها تربية إيجابية، فليس الفرد فيها سلبياً ولا انعزالياً ولا ذاتياً، يعيش لنفسه وحدها، وإنما هو عضو في المجتمع الإسلامي، له فيها عطاؤه لدينه وأسرته ومجتمعه وأمته، وذلك بقدر ما يواتيه من جهده ووقته وعمله وفكره وعلمه وماله ونفسه.

١٣ ـ إنها تربية إنسانية، جمهورها هو البشرية كلها، فلا اعتداد فيها بجنس أو لون أو لغة أو حسب أو نسب أو مستوى اجتماعي أو وضع اقتصادي. وإنما الناس فيها كأسنان المشط لا فضل لأحدهم على غيره إلا بامتياز روحه الإسلامية وتقواه.

وهذه النزعة التربوية تواجه معلم التربية الإسلامية في تنشئته لتلاميذه تنشئة إنسانية صحيحة على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ومستوياتهم.

---

١ ـ سورة الحديد، الآية ٤.

١٤ ـ وأخيراً فمن خصائص التربية الإسلامية أنها لا تعالج كغيرها من المواد الدراسية، وإنما تعالج على أنها نشاط تعليمي متصل سواء في المدرسة أو المسجد أو المنزل أو وسائل الإعلام[1].

وهكذا يتضح أن خصائص التربية الإسلامية تتسم بالشمول والتكامل، حيث إنها قد أحيطت بسياج قوي متين، تستمد معطياته من مصادر يقينية غير قابلة للتشكيك، وتستظل بمظلة إلهية قوامها الدين الإسلامي، لتمثل منهلاً يغترف منه التربويون، ليعملوا على تشكيل مجتمعهم وأبنائه لحمايتهم من العواصف الثقافية والمدنية الزائفة والإعصارات المعادية لينهلوا منه.

---

١ ـ انظر: يوسف الحمادي: أساليب تدريس التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٧٤، ٧٧.

أهداف التربية الإسلامية

إن أهداف التربية الإسلامية قد تختلف باختلاف مراحل نمو الإنسان، ولكنها مهما اختلفت فإنها تلتقي في أساسيات عامة من أهمها:

١ ـ تنشئة الأفراد على عقيدة التوحيد تنشئة صحيحة لا ظل معها لجهل ومحاكاة عمياء أو فرض للحقائق دون تأمل أو تدبر، وإنما تنشئة تقوم على أساس من اليقين الذاتي المبني على التفكير والإقناع، وإذا صح للناشئ إيمانه بها على هذا النمط نَأَتْ به عن كل صور العبودية لغير الله، ودفعته إلى الاعتزاز بنفسه، والاحساس بكرامته، وارتفعت به فوق كل ألوان المذلة والخداع، وكانت بسموها مصدر سمو له.

والتوحيد فيها بشموله يوسع آفاق الناشئ لتمتد إلى الإيمان بالله ووحدة العقيدة ووحدة الأديان السماوية ووحدة الغايات والوسائل الموجهة بين الأمة الإسلامية أينما كانت مواقعها على سطح الأرض، كما أن التوحيد بما يقوم عليه من اليقين الذاتي يجعل حب الله قبل الخوف من عقابه مصدر الالتزام بالنظام الإسلامي عقيدته وعبادته وقيمه ومثله ومبادئه، بحيث تكون حباً لله وفي الله منزهاً عن الغرض أياً كان لونه، وبحيث يكون مصدراً للصفاء والعمل الصادق.

٢ ـ تزويد الأفراد بالفكر الديني السليم الذي يتدرج سعة وعمقاً تبعاً لمراحل النمو، بحيث يتسنى للناشئ في مرحلة الطفولة بالمدرسة الابتدائية أن يميز الخير من الشر والطيب من الخبيث، سواء في مدرسته أم في بيته أم في الشارع أم في البيئة التي تتسع لها حياته، ولاسيما في ألوان التصرف التي تتصل بهذه الحلقة من حلقات النمو وبمستواها العقلي، وبحيث يستطيع أن يعرف لماذا يؤمن بالله ولماذا يعبده؟ ولماذا يسلك مسلكاً جميلاً؟ ولماذا يعتز بسيرة نبوية عطرة درسها، أو موقف ديني أثار إعجابه ويستطيع بها:

ـ أن يلم بالقيم والمثل والمبادئ التي يقوم عليها النظام الإسلامي في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والشخصية والدولية، وأن يدرك أنه لا انفصال في أية قيمة منها بين الدنيا والدين، فكلها لبناء الحياة الدنيوية، وكلها في الوقت نفسه من صميم الدين، وعلى الإحسان فيها يكون الثواب، وعلى تحريفها أو تشويهها أو التقصير فيها يكون العقاب.

ـ أن يتعرف ما وراءها من دوافع، وأن يستشف من خلالها روح الإسلام في إنسانيته وعدالته وموازنته بين الماديات والنواحي الروحية واعتزازه بالشخصية الفردية من خلال تقديره لخير المجتمع وسعادته وعزته ورحابة آفاقه.

ـ أن يوازن بين مبادئه في كل المجالات وغيرها مما يدور في مجالها من نتاج العقل البشري، وأن تكون له القدرة على كشف نواحي القوة في الأولى والضعف في الثانية.

على أن يكون هذا الفكر واعياً لا ينخدع، قادراً على أن يستقل بالملاحظة والتحليل والربط والاستنباط متفتحاً يتقبل المناقشة والنقد مثقفاً بثقافة دينية تعينه على القول السديد فيما يعرض له أو التريث الحكيم فيما لا تحيط به معرفته، دقيقاً في التيسير بين الأساسي من الأمر والهامشي، وفي الفصل بين ما هو من الدين، وما هو من البدع والتقاليد، ولا يسمح أن تجد طريقها إلى رحابه.

٣ ـ أن تنمي في الأفراد الروح الإسلامية الإنسانية التي تعيش به لنفسه ولغيره وتصل به في مستقبل حياته إلى أن يكسر فاصل الاثنين بينه وبين أخيه، حتى ليحسا أنهما فرد واحد ولاشك أن هذه الروح من أقوى الروابط بين أبناء الوطن المحلي وبين أبناء الوطن الإسلامي وبين أرسخ دعائم السلام ومن أقوى عوامل الاستقرار النفسي والأمن الاجتماعي.

٤ ـ ترسيخ الضمير الديني لدى الأفراد، الذي ينشأ ويقوى من التقاءات تأثير مختلف القيم الإسلامية، وهذا الضمير الديني أسمى ما تنشده التربية الدينية

وأجدر ما ينبغي أن تعنى بتكوينه لأنه يقف رقيباً على أعمال الإنسان يوجهها ويرضى عنها إذا استقامت على الطريق، ويحدث العكس إذا نزعت إلى مواقع الريب ومواطن الضلال، وهذا الضمير فوق الأهواء والنزوات، وفوق المبررات النفسية الخادعة، وفوق المجاملة والمحاباة، كما أنه فوق القانون البشري لأن هذا القانون قد يكون قاصراً، وقد تكون به ثغرات تفتح المنافذ إلى الخطأ أو الاثم.

٥ ـ تغذية الأفراد بسيرة الرسول ﷺ ومواقف العظمة والمثالية فيها وبسير قادة الإسلام وأبطاله الخالدين، وأن تستثير في نفوسهم عن طريقها الاعتزاز بتاريخ الإسلام وأمجاده وتذكي فيها الحماسة لحماية مقدساته، ولتلقي الأضواء على النواحي التي يمكن أن يتخذوا منها مثلهم العليا، فيصنعوا حياتهم، ويفيدوا مجتمعهم بها.

٦ ـ أن تصلهم بالقرآن الكريم، أساس الدستور الإسلامي، والمصدر الأول للتشريع، لاستلهام معانيها العميقة واستيعابها، كي تكون هادية لسلوكهم مرشدة لاتجاهاتهم.

وهكذا فإننا من خلال تناول أهداف التربية الإسلامية نعي إذا روعيت من خلال مناهجها المختلفة ووسائطها المعنية، فإن نتاجها سوف يكون المسلم الحق، الذي يرعى ضميره في عمله، ويحرص دائماً على أن ينمو بذاته، ويقوم بدوره في المجتمع، وسوف يتضح ذلك جلياً عند التعرض لوظيفتها على النحو الآتي:

وظيفة التربية الإسلامية:

من أشد ما تدعو إليه الحاجة في مجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة شأنه شأن المجتمعات الإسلامية الأخرى، تربية إسلامية تنهض برسالته على الوجه الصحيح، لأن هذا المجتمع يقع ضمن المجتمعات الإسلامية التي أصبحت هدفاً للغزو الثقافي من خلال السهام التي تسدد إلى تعاليمه الدينية ومثاليته وقيمه والأمل معقود بهذه

التربية في درئه من خلال القيام بالوظائف الآتية:

١ ـ تحديد هدفها الذي تقصد إليه وتعمل على تحقيقه: والهدف المحوري لها يتركز في كلمات هي (إعداد المؤمن الخَيِّر)، حيث إن أساس الدين الإسلامي هو الإيمان الصحيح، فبه تبدأ المسيرة الإسلامية ومنه تنطلق، فحين يؤمن الإنسان بربه إيماناً واعياً وحقيقياً، يبدأ بهذا الإيمان حياة جديدة، قد انتزع فيها نفسه من كل آثار لفكر وثني أو إلحادي أو منحرف، وأقبل بها على ربه جندياً مخلصاً عاملاً لإعزاز دينه وإعلاء كلمته، ومتى صح الإيمان دفع صاحبه إلى الخير وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[1].

وقد حدد القرآن الكريم هذا الهدف حين تحدث عن الأمة الإسلامية، فقال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[2].. ففي الآية ما يجسد الشخصية العامة للأمة، وما يدل على أن الشخصية الفردية تنبثق منها وتتسم بطابعها، لأن الخير في الأمة إنما يقاس بمعيار الخير في أفرادها فرادى ومجتمعين، ولا يتسنى لها أن تكون خير أمة إلا إذا كان الفرد فيها خير فرد.

٢ ـ العمل في إطار هذا الهدف على تكوين شخصية الفرد، وسبيلها إلى ذلك أن تتخذ من الفكر والمثاليات والمبادئ والقيم في الإسلام ما يساعد على تكوين شخصيته، ثم تصطنع لها من الوسائل التربوية ما يعين على انصهارها في (بوتقة) نفسية، حتى تصبح جزءاً من تكوينه، وحتى يضفي ذلك عليها طابعها الإسلامي الخاص، الذي تتميز به فيما يصدر عنها من قول وعمل وتصرف، وحتى تكون بحق «الشخصية المؤمنة الخيّرة»، ومن اليسير أن ترتكز التربية في إعدادها لهذه الشخصية على نواح ثلاث هي:

---

١ ـ سورة المؤمنون، الآيتان ٦٠ ـ ٦١.

٢ ـ سورة آل عمران، الآية ١١٠.

ـ تزويد صاحبها بعقيدة صادقة متفتحة فيها الحق والخير، وليس فيها الجمود أو التحجر أو التحلل أو الانسياب.

ـ ترسيخ هذه العقيدة في أعماقه بعد تصفيتها، بما يجعلها من الناحية النفسية قادرة على أن تعمر قلب صاحبها بيقين ينفي عنه ما يساور النفوس غير المستقرة من القلق والاضطراب، وبما يجعلها من الناحية العقلية قادرة على دحض ما يثار من أباطيل بالحجج المقنعة والبراهين الكافية، ولعل ذلك من أعظم ما يسدي إلى ثبات المجتمع المسلم الذي يقع من ناحية مرحلة النمو التي يمرون بها، فريسة للحيرة والقلق والشك ومن ناحية الثقافات الوافدة هدفاً للتيارات المسمومة.

ـ إمداده بزاد إيماني له من القوة والدافعية ما يستثير نشاطه ويفجر طاقته للعمل المثمر في سبيل ربه ونفسه ومجتمعه.

٣ ـ بذل الجهد في تكوين الشخصية العامة للأمة الإسلامية، وهذه الشخصية في قسماتها وملامحها ومميزاتها متسقة مع الشخصية الفردية، فإذا نجحت في تنشئة الفرد تنشئة صحيحة، تسنى لها بما ترتكز عليه من عناصر ثقافية وروحية، وبما لها من وسائل شتى أن تصهر من الشخصيات الفردية شخصية عامة متميزة هي شخصية الأمة المؤمنة الخيّرة أو خير أمة أخرجت للناس.

٤ ـ العمل على تكوين صرح المجتمع الإسلامي، وسبيلها إلى ذلك تربية الناشئين تربية اجتماعية إسلامية صحيحة، يعرفون بها الحقوق التي أقرها الإسلام ويتمثلون السلوكيات التي تدعم هذا النظام من تراحم وتواد وتعاطف وتعاون وتكافل وما إليها ويقتنعون بخيرها لهم ولمجتمعهم، فيقبلون ويتمسكون بها عن اندفاعة ذاتية قوية وتلقائية[١].

٥ ـ النهوض بوقاية النظام الاجتماعي الإسلامي، الذي صاغته ونسجت خيوطه،

---

١ ـ يوسف الحمادي، أساليب التربية الإسلامية، مرجع سابق ص: ٧٨، ٨٠.

والحفاظ عليه من كل ما يهز أركانه ويزعزع وجوده، وهي بتكوينها للمؤمن الخير تصنع خطوات ناجحة راسخة في هذا السبيل. ولكن تبعتها لا تقف عند هذا الحد من الإعداد على ضخامته وفداحة أعبائه، بل تمتد إلى تبصير هذا الناشئ بما أقام الإسلام من حواجز تصد العواصف والأعاصير الهدامة عن الكيان الاجتماعي، وإلى حمايته بما تقاوم من جريمة، وبما تحارب من الأخلاقيات المسفة كالغدر والفتنة وبما تبرر من شرعية العقوبات الرادعة الحاسمة، ثم بما تمتد إليه من التوعية اليقظة القوية بالتيارات المسمومة والمذاهب الخطرة الوافدة، توعية يقف أبناء الإسلام على ألوانها ومصادرها وما يدحضها من أدلة وبراهين.

٦ ـ أن تقيم بين أبناء الأمة الإسلامية وحدة قوية وهي في هذا أرجى مما سواها لأن أقوى أساس لهذه الوحدة فكر مشترك وشعور مشترك، وليس أقدر من فكر الإسلام وقيمه وروحانيته على صنع هذه الوحدة، وذلك أن وحدة الفكر الإسلامي وتماسك إطاره وتحديد المعايير القيمية والخلقية فيه وتنظيمه للحياة الاجتماعية في نطاق هذا الإطار وفي توجيه هذه المعايير، وإنما تحقق كثيراً من الوضوح والدعم والدافعية للسلوك البشري وفقاً لقرارات واضحة حاسمة.

٧ ـ إن هذه التربية مسؤولة بما تقوم عليه من إعداد المؤمن الخير عن أن ترفع الناشئ في تفكيره ووجدانه إلى مستوى دينه الإسلامي برسالته العامة إلى البشرية كلها على اختلاف أجناسها وألوانها ولغاتها وأوضاعها وباتجاهه الإنساني.

٨ ـ وأخيراً وبعد ذلك كله، إعداد أبنائها إعداداً لا يقفون به عند مجرد التمسك بالإسلام والقيام بأوامره واجتناب نواهيه ـ بل تجعل منهم ـ ما استطاعت، وبقدر ما تهيئ لهم طاقاتهم وقدراتهم دعاة لدينهم ومناضلين عنه وجنوداً عاملين في سبيل إعزازه وإعلاء شأنه[1].

---

١ ـ يوسف الحمادي: أساليب التربية الإسلامية، مرجع سابق ص: ٨٠ ـ ٨٢.

وفي ضوء ما سبق لابد من طرح النقاط التالية:

١ ـ إن المتمعن في أهداف التربية الإسلامية ووظائفها ، قد يجد أن هناك تداخلاً وتشابكاً بين كل منها ولكن الفيصل بينها قد يكون في النظر إلى الأولى باعتبارها غايات تسعى التربية الإسلامية إلى الوصول إليها. أما الثانية فتمثل الوسائط أو الأساليب التي يمكن من خلالها الوصول إلى هذه الغايات.

٢ ـ إن المعني بالتربية الإسلامية هو الإنسان المسلم في هذا المجتمع أو في أي مجتمع آخر يدين أفراده بالإسلام، ومعنى ذلك أن المدرس ينطبق عليه ما جاء سابقاً، باعتباره أحد أفراد هذا المجتمع.

٣ ـ يفترض أن تكون التربية الإسلامية بما لها من أهداف ووظائف ووسائط، وبما تشمله من إطار قيمي، قد أثرت على هذا المدرس، باعتباره لب الدراسة التي نحن بصددها ، وقد ساعدت في حرصه على أداء دوره بأمانة وإخلاص في هذا المجتمع، أو بمعنى آخر شاركت في ترقية كفايته المهنية.

٤ ـ إن الدور المنوط بالمدرس لا يقف عند حد تشربه لتلك التربية الإسلامية بما تشمله من اتجاهات وسلوكات، بل يتعدى هذا الدور إلى قيامه بدور الناقل والوسيط لها لنشء مدرسته، باعتبار أن المدرسة من أهم وسائط التربية الإسلامية.

ثانياً: المدرسة إحدى الوسائط الهامة للتربية الإسلامية

لقد حدّد العلماء والمهتمون العديد من الوسائط لتحقيق التربية الإسلامية في المجتمع، وقد احتلت المدرسة مكانة هامة بينها بحكم وظيفتها الحديثة التي فرضتها التغيرات الاجتماعية المتعددة، وجعلت منها أداة أساسية للتربية والتعليم، يتوقف نجاحها في أداء هذا الدور على مدى التعاون والتكامل والتساند بينها وبين الوسائط الاجتماعية الأخرى كافة كالأسرة والمسجد والإعلام[1].

وتعدّ مادة التربية الإسلامية أهم المواد الدراسية التي تعتمد عليها المدرسة في مختلف المراحل التعليمية في تحقيق المنهج التربوي بمفهومه المعاصر، وذلك على اعتبار أن هذه المادة تختص وحدها تقريباً بالجانب الروحي، وتشترك مع المواد الأخرى في تنمية الجوانب العقلية والانفعالية والاجتماعية والجسدية.. وسوف نحاول في السطور القادمة إلقاء مزيد من الضوء على ذلك المنهج الدراسي من خلال العديد من المحاور على النحو الآتي:

منهج التربية الإسلامية ومنطلقاته:

جاءت لفظة المنهج في اللغة من «نهج» الطريق أي سلكه أو أوضحه، ودلت بهذا على الطريق الواضح ثم شقت سبيلها إلى حقل التعليم.

وقد ظلت دلالة اللفظ تتغير وتتسع بمرور الوقت، حتى انتهت إلى ما تعرف التربية الآن منها فصارت تتضمن كل الخبرات التي تنظمها المدرسة للتلاميذ وتشرف عليها، سواء اتخذت تلك الخبرات مكانها داخل جدران المدرسة أم خارجها، وبذلك أصبح المنهج هو المدرسة في صورتها التخطيطية وأصبحت المدرسة هي المنهج في صورته التنفيذية.

---

١ ـ انظر: محمد أحمد عبدالهادي: المربي والتربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٣٥ ـ ٦٤.



ولعل منهج التربية الإسلامية هو أول الألوان التعليمية التي استفادت من تطور مفهوم المنهج، لأنه ليس مجرد مادة كغيرها من المواد ـ ولكنه مع الحقائق والمعارف ـ أنشطة وخبرات تمارس داخل الفصل وخارجه، ويمكن استثمار ما يتسنى منها في المدرسة والمنزل والمسجد والمؤسسات المتصلة بالتعليم الديني على اختلاف ألوانها[1].

وينبثق منهج التربية الإسلامية في هذا المجتمع من المنطلقات الآتية:

أ ـ مبادئ الدين الإسلامي وقيمه:

حيث يتميز الدين الإسلامي بمبادئ وقيم فريدة في تربية الأفراد وتنظيم المجتمعات وتكون بمجموعها نظاماً عاماً يتضمن أنظمة فرعيةً متكاملة، ومن أهم هذه المبادئ والقيم:

ـ أن عقيدة التوحيد هي الركيزة الأساسية لتنظيم جميع جوانب الحياة والانطلاق إلى الفضائل والقيم التي تسعد الإنسان والمجتمع والأمة والعالم.

ـ أن الإسلام كرم الإنسان وجعله خليفة في الأرض، بما وهبه الله تعالى من عقل، وبما قدمه له من قيم وتشريعات تهديه إلى سواء السبيل.

ـ أن العبادة لله تعالى بمعناها العام تشمل كل عمل صالح يبتغي به صاحبه وجه الله تعالى وأنها بمعناها الخاص الذي يشمل الصلاة والزكاة والصوم والحج لها انعكاسات عملية في الحياة وثمرات أخلاقية اجتماعية من التقوى والتزكية والبعد عن الفحشاء والمنكر.

ـ أن كل الناس أمام الخالق متساوون، فلا فرق بين إنسان وإنسان إلا بما يقدمه من عمل صالح بلا تفريق بين لون ولون أو أصل وأصل أو ذكر وأنثى.

ـ أن التكامل في الدين الإسلامي وثيق بين العقيدة والعبادة والتشريع والأخلاق، وذلك لوحدة المصدر وهو الله تعالى.

ـ أن الإسلام يحقق التوازن في الإنسان بين مطالب الروح والعقل والجسد.

---

١ ـ يوسف الحمادي: أساليب تدريس التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٠١، ١٠٢.

- أن الإسلام يقدر العلم ويحث عليه بكل أنواعه.

- أن الإسلام يقدر العمل النافع ويحث عليه للمشاركة في بناء الحضارة، وقد جعله الإسلام حقاً للإنسان وعده نوعاً من العبادة والجهاد.

- أن الإسلام صالح للتطبيق في كل زمان ومكان[1].

وهكذا فإن مبادئ الدين الإسلامي وقيمه ترسم منهاجاً عاماً للفرد والمجتمع، ولذا فإنه لا غرابة أن نجدها تتطابق إلى حدٍ كبير وخصائص التربية الإسلامية التي قد تم تناولها سابقاً لتؤكد أن الدين الإسلامي بما له من مبادئ وقيم يمثل الوعاء الأساسي للتربية الإسلامية الشاملة.

ب ـ طبيعة المجتمع المسلم:

ويمكن تحديد تلك الطبيعة من خلال ما يلي:

- مجتمع عربي مسلم يطمح أن يربي أبناءه على مبادئ العقيدة الإسلامية، السمحة، وأن يصونهم من الانحراف والفساد.

- يسعى إلى تعميق الوحدة لانصهار جميع أفراده في مجتمع واحد متماسك قوي.

- يسعى إلى تقوية أواصر التعاون والتكامل والألفة مع الشعوب الإسلامية وشعوب العالم كله لمواجهة التحديات الحضارية والمشاركة في حل المشكلات التي تواجه هذه الشعوب.

- يسعى إلى الحفاظ على ثرواته وتحسين استثمارها، كما يسعى أيضاً إلى التقدم العلمي والزراعي والصناعي والتجاري وسائر المجالات الأخرى.

- يعتز بتراثه الإسلامي، ويفخر بأنه سليل أولئك الأبطال الذين انطلقوا في صدر الرسالة الإسلامية إلى بقاع الأرض، وأشادوا حضارة إسلامية لايزال العالم يقطف من ثمارها حتى اليوم.

---

١ ـ لمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى: عبدالرشيد عبدالعزيز سالم: طرق تدريس التربية الإسلامية، نماذج لإعداد دروسها، وكالة المطبوعات، (ط ٣)، الكويت، ١٩٨٢، ص: ٥٠، ٨٤.

ج ـ طبيعة المتعلم:

وتشمل حاجاته وخصائص نموه وميوله والفروق الفردية ويمكن طرحها كالآتي:

ـــ حاجات المتعلم وتتضمن:

* **الحاجات الروحية:** مثل حاجته الفطرية لمعرفة خالقه وخالق الكون، وهي حاجة تولد بولادته وتنمو معه، وتتسع حسب قدراته وتلازمه مدى الحياة.. وحاجته إلى تفسير ما يحيط به من ظواهر الكون والحياة والموت، والحاجات الروحية هي التي يشبعها الدين الإسلامي بشكل كامل متوازن، ولذا فإن منهج التربية الإسلامية يركز عليها بشكل أساسي.

* **الحاجات الجسمية:** والمنهج يرشد المتعلم إلى الطرق الصحيحة لإشباع هذه العادات لتتكون لديه عادات حسنة إيجابية في تناول الطعام والشراب والنظافة.

* **الحاجات النفسية الفردية والاجتماعية:** كالحاجة إلى الطمأنينة والمحبة والأمن والانتماء والتقدير الاجتماعي ويساعد المنهج المتعلم على إشباع هذه الحاجات بمروره بخبرات في ضبط النفس والشعور بالمحبة والاحترام وتكوين اتجاهات إسلامية نحو البيئة والمجتمع.

* **الحاجات العقلية:** حيث يساعد المنهج المتعلم على التوصل إلى إجابات عن أسئلته وإلى حلول للمشكلات الفكرية التي تواجهه وبذلك يحدث التعلم بدافعية داخلية تحت ضغط الحاجات العقلية فتنمو لدى المتعلم قدراته المختلفة في الفهم والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم والتخطيط والتعبير والعمل الجماعي والتعاوني.

ـــ **خصائص نمو المتعلم وتبرز في:**

* **شمول جوانب النمو وتوازنها لدى المتعلم:** فالطفل في مجال النمو له جوانب متعددة روحية وعقلية ونفسية (فردية واجتماعية) وجسمية، فالتربية عملية نمو شاملة ومستمرة في هذه الجوانب جميعها، ولكي تكون شخصية المتعلم سوية فإن المنهج يركز على الاهتمام بهذه الجوانب بشكل متوازن ومتكامل.

* **نمو الإدراك لدى المتعلم:** حيث ينتقل الطفل في إدراكه من المحسوس إلى المجرد، ويبدأ بالنظر إلى الأشياء من الكل إلى الأجزاء، وكلما تعدّدت الحواس التي تشترك في عملية التعلم كان التعلم أكثر ثباتاً وعمقاً.

* **الاستعداد للتعلم:** فلا يستطيع المتعلم تعلم موضوع ما إلا بعد أن يصل إلى درجة من النضج العقلي أو النفسي أو الاجتماعي أو الجسمي الذي يمكنه من هذا التعلم والموضوعات، إذ تختلف في مستوى درجة النضج المطلوبة في المتعلم، فلابد أن تتدرج من السهل إلى الصعب.

ـــ ميول المتعلم:

تتميز ميول المتعلم بالآتي:

* يميل المتعلم في مراحله الأولى إلى اللعب والحركة، بل إن اللعب من حاجاته الأساسية للنمو الجسمي ولابد أن يوجه المنهج هذا الميل إلى أنشطة حركية لتحقيق غايات إسلامية.

* كما يميل إلى الممارسة والتطبيق العملي أكثر من الاستماع إلى الشرح والتلقين، والمنهج لابدّ أن يتيح له الفرصة ليتوضأ بنفسه وليصلي وليمارس ما يمكن ممارسته من أنشطة المنهج.

* ويميل إلى تقليد الآخرين الذين يحبهم، ومن هنا يبرز الأثر الفعال للقدوة في التربية ويعد ذلك من أهم مهام المعلم.

* وكذلك يميل إلى القصص والحكايات لإرواء خياله الواسع وتطلعاته إلى عالم آخر يختلف عن عالمه، والمنهج لابد أن يختار قصصاً هادفة لتصحيح العقيدة وتقويم الأخلاق وتصويب الممارسات الخطأ التي قد يراها في البيت أو المجتمع.

* كما يميل إلى كثرة الأسئلة عن كلّ ما يدور حوله من ظواهر في بيئته، ولابد أن يقدم المنهج له تفسيراً مقنعاً لهذه الظواهر بما يتيحه من فرص لتوجيه هذه الأسئلة وإجابته عنها.

* ويميل كذلك إلى كل جديد لإشباع حاجة حب الاطلاع لديه، والمنهج لابد أن يتيح له الفرصة لذلك، مثل الزيارات والرحلات والمقابلات[1].

- الفروق الفردية:

من معجزات الله تعالى في الخلق أنه خلق كلّ إنسان يختلف عن غيره في شكله وقدراته وميوله واستعداداته ومشكلاته، حيث توجد فروق فردية بين المتعلمين في المجالات الآتية:

* في الصفات الجسمية: كالطول والوزن والسمع والبصر والشم.

* في الصفات النفسية: كالجرأة والخجل والاطمئنان والخوف وضبط النفس.

* في القدرات العقلية: مثل الذكاء والقدرة على الفهم والتعبير والتحليل.

بل إن هناك اختلافاً بين القدرات في الفرد الواحد وكذلك الأمر في السمات الشخصية. ولذا فإن المنهج لابد أن يراعي هذه الفروق الفردية ليتيح لكل متعلم الفرصة لتحقيق أكبر قدر من النمو في جميع الجوانب بطريقة فعالة ليشمل الكتب المدرسية والكتيبات المصاحبة وطرائق التدريس والمناشط والتقويم.

د - التقدم العلمي والتقني:

للتقدم العلمي والتقني مجالات واسعة ومتنوعة أهمها:

- الإصدارات الحديثة في العلوم الإسلامية من كتب ودراسات ومجلات ورسائل جامعية.

- نتائج البحوث والدراسات التربوية.

- التقدم التقني في الوسائل التعلمية التعليمية.

هـ - طبيعة مادة التربية الإسلامية:

وذلك من خلال الاهتمام بما يلي:

---

١ - يوسف الحمادي: أساليب تدريس التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٣ - ١٥.

ـ تكامل فروع المادة التي تشمل:

* القرآن الكريم تلاوة وتفسيراً وحفظاً.

* الحديث الشريف قراءة وشرحاً وحفظاً.

* العقيدة الإسلامية التي تشمل الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى.

* الفقه ويشمل:

العبادات المخصوصة من صلاة وزكاة وصوم وحج.

المعاملات من بيع وإجارة ووكالة.

أحكام الأسرة من زواج وطلاق وميراث.

* السيرة النبوية الشريفة للرسول ﷺ وما يؤخذ منها من عبر ودلائل.

* تراجم الصحابة رضي الله عنهم والشخصيات الإسلامية وما يؤخذ منها من دلائل.

* مكارم الأخلاق الإسلامية (التهذيب).

* البحوث الإسلامية هي التي تجمع بين الفروع السابقة كلها أو بعضها.

ـــ صلة مادة التربية الإسلامية بالمواد الأخرى:

تشارك تلك المادة في تحقيق المنهج التربوي بمفهومه المعاصر مشاركة فعّالة، فهي تختص وحدها تقريباً بالجانب الروحي، وتشترك مع المواد الأخرى في تنمية الجوانب العقلية والانفعالية والاجتماعية والجسدية، وبذلك فإن التربية الإسلامية تتناول الطالب كُلاً بجميع جوانب نموه، وهذا ما يميزها عن غيرها ويجعلها نوعاً فريداً، لاسيما أن الجانب الروحي هو الذي يهيمن على الجوانب الأخرى ويوجهها، وهذا بالطبع يستلزم أن تكون المواد الدراسية جميعها منسجمة في أهدافها وأسسها وأفكارها، لتتوافر للمتعلم تربية متوازنة متكاملة لا تناقض فيها.

فليست مادة التربية الإسلامية مجرد حقائق ومعلومات تحفظ أو انفعالات أو مهارات تكتسب داخل الفصل أو المدرسة فحسب، إنما هي إعداد للطالب وتنمية شاملة لجوانب نموه ليطبقها في حياته الخاصة وفي الأسرة والمجتمع والإنسانية على وفق منهج الله تعالى لأداء دوره المأمول في بناء الحضارة الإنسانية[1].

ولاشك أن تلك المنطلقات تعد بمنزلة مرشدات وهدايات لواضعي المناهج حتى تأتي محققة لما هو مأمول منها.

مناهج التربية الإسلامية في مختلف المراحل الدراسية:

في ضوء المنطلقات السابقة ومن أجل إيجاد نوع من التلاؤم بالمراحل العمرية والدراسية عكف المهتمون على وضع أساسيات عامة لمناهج تدريس التربية الإسلامية بالمدارس تتدرج وفقاً لطبيعة المرحلة لتحقق أهدافاً عامة ينبغي من خلالها الوصول بالطالب إلى التربية الإسلامية المتكاملة.

وقد اتفق العديد من المراجع[2] على ذلك التقسيم وإن اختلف بعضها في وضع المرحلة الإعدادية، فبعضهم قد أدرجها مكملة للمرحلة الابتدائية، بينما جعلها بعضهم بداية للمرحلة الثانية. وقد اتفق الباحث مع التقسيم الأول من منطلق النظرة التربوية التي تضم مدة التعليم الأساسي المكونة من المرحلة الابتدائية والإعدادية.. وفي الدراسات القادمة فإننا سوف نحاول تقديم موجز مختصر لأهداف مستوحاة من طبيعة المنهج الذي يدرس ويضم القرآن الكريم والسيرة النبوية والعقائد والسلوكات وذلك

---

١ ـ يوسف الحمادي: أساليب تدريس التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ١٥ ـ ١٩.

٢ ـ من بين هذه المراجع:

ـ محمود رشدي خاطر وآخرون: طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة، (ط ٤)، د.ن، ١٩٨٩.

ـ يوسف الحمادي: أساليب تدريس التربية الإسلامية، مصدر سابق.

ـ عبدالرشيد عبدالعزيز سالم: طرق تدريس التربية الإسلامية، نماذج لإعداد دروسها، مصدر سابق.

على النحو الآتي:

١ ـ مرحلة التعليم الأساسي (الابتدائي والإعدادي):

وتهتم مناهج هذه المرحلة بتحقيق:

- تفسير سور وآيات مختارة من القرآن الكريم تفسيراً إجمالياً في مجالات العقيدة والعبادات والمعاملات بحدود جزأين وحفظ بعضها أيضاً بالحدود نفسها وتنمية الحرص على تلاوة القرآن بدافع ذاتي.

- شرح عدد من الأحاديث النبوية الشريفة في مجالات العقيدة والعبادات والمعاملات بحدود مائة حديث نبوي مع حفظ عدد منها.

- تعرف أحكام العقيدة الإسلامية وأدلتها الإجمالية على أساس من الفهم والاقتناع والتمسك بالأخلاق الإسلامية مع النفس والوالدين والأصحاب والأقارب والجيران وأفراد المجتمع، والحرص على العمل بالقيم الأخلاقية الإسلامية، مثل التعاون والتنافس الشريف وتقدير الرأي الآخر.

- توضيح أحكام العبادات التي أمر الله تعالى بها، وتعميق الإيمان بالله وسائر الأركان إيماناً ينعكس على أقوال الطالب وأفعاله والعمل على المحافظة على أداء الصلاة وباقي العبادات في أوقاتها على الوجه المطلوب شرعا.

- تحليل سيرة الرسول ﷺ من ولادته حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى والتأسي به، والإلمام بشكل إجمالي بجوانب من سيرة عدد من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وتعرف سيرة الخلفاء الراشدين، وعدد من الصحابة رضي الله عنهم، وعدد من الشخصيات الإسلامية التاريخية والحرص على الاقتداء بهم رضي الله عنهم.

- تحليل موقف الإسلام من العلم والعمل بشكل مجمل، والحرص على طلب العلم النافع وتقدير العمل اليدوي.

- توضيح مفهوم الجهاد في سبيل الله وتفضيل قيمة الانتماء إلى الإسلام والأمة العربية والإسلامية على غيرها من قيم الانتماء والاعتزاز بذلك.

- تعرف مفهوم العدل والشورى باعتبارهما من خصائص نظام الحكم وتعرف موقف الإسلام من التملك والإنفاق باعتبارهما من خصائص النظام الاقتصادي والمحافظة على المال العام كالمال الخاص.

- تعرف أحكام الإسلام في الطعام والشراب واللباس مع الحرص على تطبيق ما أحلّ الله تعالى.

- تحليل خصائص الشريعة الإسلامية من حيث ملاءمتها للفطرة الإنسانية وقيامها على اليسر والسماحة، وصلاحيتها لكل زمان ومكان وإنكار البدع والخرافات التي يعاني منها المجتمع وينكرها الإسلام.

- تعرف المشكلات التي تواجه الشباب، وتنمية قدرة المتعلم على مواجهتها وتعرّف أخطار المخدرات وتجنبها.

- تعرف طرق التعلم الذاتي المستمر والحرص على استخدام طرائق التفكير العلمي الموضوعي والحرص على الرجوع إلى مصادر التعلم بشكل مستمر واستثمار الوقت.

- الحرص على المحافظة على وحدة المجتمع الإسلامي ووحدة الأمة العربية والإسلامية، والعمل على اكتساب اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم.

وتعد تلك أهم الأهداف التي يسعى منهاج التربية الإسلامية في المرحلة الابتدائية والإعدادية إلى تحقيقها من خلال تدريس تلك المادة، ويلاحظ أنها تتعدى القول إلى العمل وتمزج المعرفة بالتطبيق الواقعي، ولا يختلف الأمر في المرحلة الثانية إن كان هناك نوعٌ من التعمق في ضوء طبيعة المرحلة العمرية إضافة إلى استخدام المنهج التحليلي في الطرح.

٢ ــــ مرحلة التعليم الثانوي:

وتضيف مناهجها إلى اهتماماتها تحقيق التالي:

- زيادة الحصيلة بالنسبة للسور والآيات والأحاديث وتوضيح أحكام العقيدة

الإسلامية وأدلتها التفصيلية على أساس من الفهم والاقتناع واكتساب القدرة على ردّ الشبهات عنها ومواجهة البدع والخرافات بالحجج الشرعية والعقلية.

- تحليل سيرة عدد من الصحابة رضي الله عنهم وعدد من الشخصيات الإسلامية التاريخية وتحديد مواطن القدوة لدى كلٍّ منهم.
- تعرف موقف الإسلام من العلم والعمل، ومعرفة نبذة عن الإنتاج العلمي للمسلمين، وتحليل خصائص النظام الاقتصادي والتكافل الاجتماعي.
- تعرّف خصائص نظام الحكم في الإسلام واكتساب القدرة على تطبيق العدل والشورى والمساواة في شؤون الحكم.
- معرفة أحكام الإسلام في العقوبات باعتبار ما لها من أثر في حفظ كيان الفرد والمجتمع ومعرفة الأحكام الشرعية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- معرفة مصادر التشريع الإسلامي ومقاصده وأدواره وخصائصه من حيث ملاءمتُهُ للفطرة وشموله وقيامه على اليسر والسماحة وصلاحيته لكل زمان ومكان.
- تعرف نظام الأسرة في الإسلام والحرص على تطبيق أحكام التشريع في مجالها.
- تحليل المشكلات الأخلاقية والسلوكية التي تواجه الشباب وتنمية قدرة المتعلم على حلّها والحرص على المشاركة في مواجهة المشكلات والأخطار التي تواجه الأمة العربية والإسلامية.
- تحليل مقومات الحضارة الإسلامية، وأثرها في الحضارات الأخرى، وموقف الإسلام من الحضارة المعاصرة.
- تحليل موقف الإسلام من وحدة المسلمين، ووحدة الأمة الإسلامية، وتحقيق الانتماء والاعتزاز به.
- تعرّف طرائق التفكير العلمي واكتساب القدرة على إعداد بحث علمي في ضوء أهداف المنهج.
- الحرص على التمسك بالأخلاق والقيم الإسلامية وتعرف أخطار المخدرات وتحليل



أسبابها وأضرارها وحكمها الشرعي.

ـ الحرص على التمسك بالصدق والعفة والشجاعة والكرم والمناصحة وتقدير الرأي الآخر.

ـ الاعتماد على النفس في شؤون الحياة الخاصة بعيداً عن التواكل والحرص على ممارسة الطرق المشروعة في الكسب والإنفاق وتقدير العمل اليدوي والحرص على ممارسته.

ولعل هذه النقاط في مجملها تمثل معنىً شاملاً للتربية الإسلامية، وتوضح الدور الكبير الذي تقوم به المدرسة كأحد وسائطه المهمة، وتوضح أيضاً شمول مناهج تدريس المادة المنوطة بها، وضرورة تنوع وسائل تدريسها، حتى يمكن أن نصل إلى الأهداف المنوطة بها، ولعلنا في هذا المقام لابد أن نعرض الوسائل التي تدعم نجاحها، حتى نستطيع توفير الحد الأدنى لها على الأقل، وحتى يمكن أن نجد نتاجاتها تعطي المجالات المجتمعية كافة وتنعكس على إيجاد الفرد المسلم الحق.

وسائل نجاح تدريس مناهج التربية الإسلامية:

لاشك أن هناك العديد من الوسائل التي تشارك في نجاح مناهج التربية الإسلامية، ويمكن تناول أهمها على النحو الآتي:

١ ـ إن مناهج التربية الإسلامية ينبغي أن ترتبط بمراحل النمو المختلفة ارتباطاً واعياً ووثيقاً، سواء في محتواها أو أنشطتها أو أساليبها، والعامل الواضح الذي يؤكد ضرورة هذا الارتباط هو العامل النفسي الذي قوامه التعليم الديني، ويؤثر إذا أحسّ المتعلم أنه يتصل بمطلب من مطالب نموه الجسمي أو العقلي أو الاجتماعي أو العاطفي، فإذا لم يتناول حاجة من حاجاته كأن يعالج ناحية غريزية تضطرب في أعماقه، أو يجيب عن سؤال حول فكرة تحيره، أو يتناول جانباً يهمه، أو يعالج مشكلة اجتماعية تؤرقه ـ لم يتلقه تلقي من يشعر أن له وظيفة أساسية وماسة في حياته.

ولابد أن نعرف أن من وسائل نجاح المناهج في أية مادة دراسية ولاسيما التربية الإسلامية، الإحساس العميق من المتعلم بوظيفتها وأثرها في حياته، ومما يساعد على هذا الإحساس ارتباطها بالنمو المرحلي لها.

٢ ـ إن كتاب التربية الإسلامية شأنه شأن الكتب الأخرى ينبغي أن تتوافر له الجاذبية والإقناع العقلي والقلبي، حتى يعيش فيه الطالب مستغرقاً مشدوداً إلى كلّ ما يعرضه، حتى يتأثر به التأثر الذي يرسخ في أعماقه ويوجه سلوكه ومصدر ذلك ما يقرره النفسيون من أن السلوك وليد العاطفة، والعاطفة وحدة عقلية كاملة، لذا فلابد أن يندمج الكتاب في إثارة العواطف الدينية التي تدفع إلى سلوك خيّر قوي ومثل هذه العواطف تأتي من تضافر المؤثرات من نص وقصة وموقف، ومن تعليل وموازنة وإقناع وجمال عرض، وإذا تمت مراعاة ذلك في كتاب التربية الإسلامية فإنه لابد أن يكتسب ثباتاً لا يحتاج معه إلى هزات التطوير المتلاحقة[1].

---

١ ـ محمود رشدي خاطر وآخرون: طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية، مصدر سابق، ص: ٣٣٣ ـ ٣٣٥.

٣ ـ إن التربية الإسلامية ليست مجرد فصل وخطة، ولا مجرد منهج وكتاب، وإنما هي نشاط ممتد يشمل الفصل وما يدرس فيه ثم يأتي الاطلاع في المكتبة والبحث والممارسة والمتابعة والتطبيق والندوات والمحاضرات وإحياء المناسبات الدينية وما إلى ذلك حتى يشعر المتعلم أن التربية الإسلامية في تيار مستمر لا ينحرف ولا ينقطع.

٤ ـ أن يخفف عن المتعلم ما تقع عليه عينه من ألوان الازدواج السلوكي في المدرسة والمنزل والشارع والبيئة المحيطة به والمجتمع الذي يعيش فيه، وإذا كانت الحكمة تقضي بأن يبدأ العلاج من المنطق الذي يؤمل النجاح فيه، ويمكن الاعتماد عليه فمن الطبيعي ألا يكون المنزل أو الشارع أو البيئة القريبة أو المجتمع برحابته وتناقضاته، بل يتعين أن يعتمد في تخفيف هذا الازدواج على المدرسة قبل غيرها، وأقلّ ما يتطلبه ذلك منها أو يسودها الجوّ الديني والمحافظة على المواعيد والحرص على العمل والأمانة فيه وفي حسن المعاملة والتقدير المتبادل بين من يعملون فيها وكذلك التعاون والإيثار والالتزام بالشعائر الدينية والحفاظ عليها.

٥ ـ أن يؤدي الفصل رسالته في التربية الإسلامية أداءً سليماً، ومقياس ذلك أن يخرج المتعلم من درسه فيها باقتناع عقلي قلبي وفي حماسة متوقدة تدفعه إلى تعديل سلوكه في الاتجاه الإسلامي المرغوب فيه والحفظ من قيمته فيها، كما أنها ليست مجالاً للضبابية الفكرية التي يوقع بعض المدرسين أبناءهم فيها، ولا مجالاً للتمويه والخداع والتظاهر بالمعرفة من غير تثبيت، ولا للاستغناء بالقشور عن الجوهر والحقيقة، ولا للتركيز على ظواهر الدوافع دون الغوص عما وراءها من سرائر وبواطن، وهنا تأتي قيمة الدقة العلمية في الكلمة وقيمة النصوص المساعدة ومدى اتصالها بموضوع الدرس ولا ينتهي الدرس بوقته ولكن يتابع المدرس آثاره في سلوك تلاميذه، ثم تأتي قيمة النشاط المدرسي الذي يتيح ممارسة النواحي العملية في الدروس، وترسيخ المبادئ الإسلامية لتصبح الاتجاهات عادات سلوكية راسخة، ويرتبط فعلاً بما أشار إليه جون ديوي في هذا الصدد.

٦ ـ أن تدرس موضوعات التربية الإسلامية في صور وحدات تترابط حقائقها، وتنظمها المناهج فموضوع التعاون أو التكافل الاقتصادي في الإسلام مثلاً، يمكن أن

يدرس دراسة تكاملية يتخذ الموضوع أساساً لها وتكملة دراسة نص قرآني يسانده، وحديث نبوي يدعمه، وترجمة لشخصية لها مواقف بارزة في مجاله.

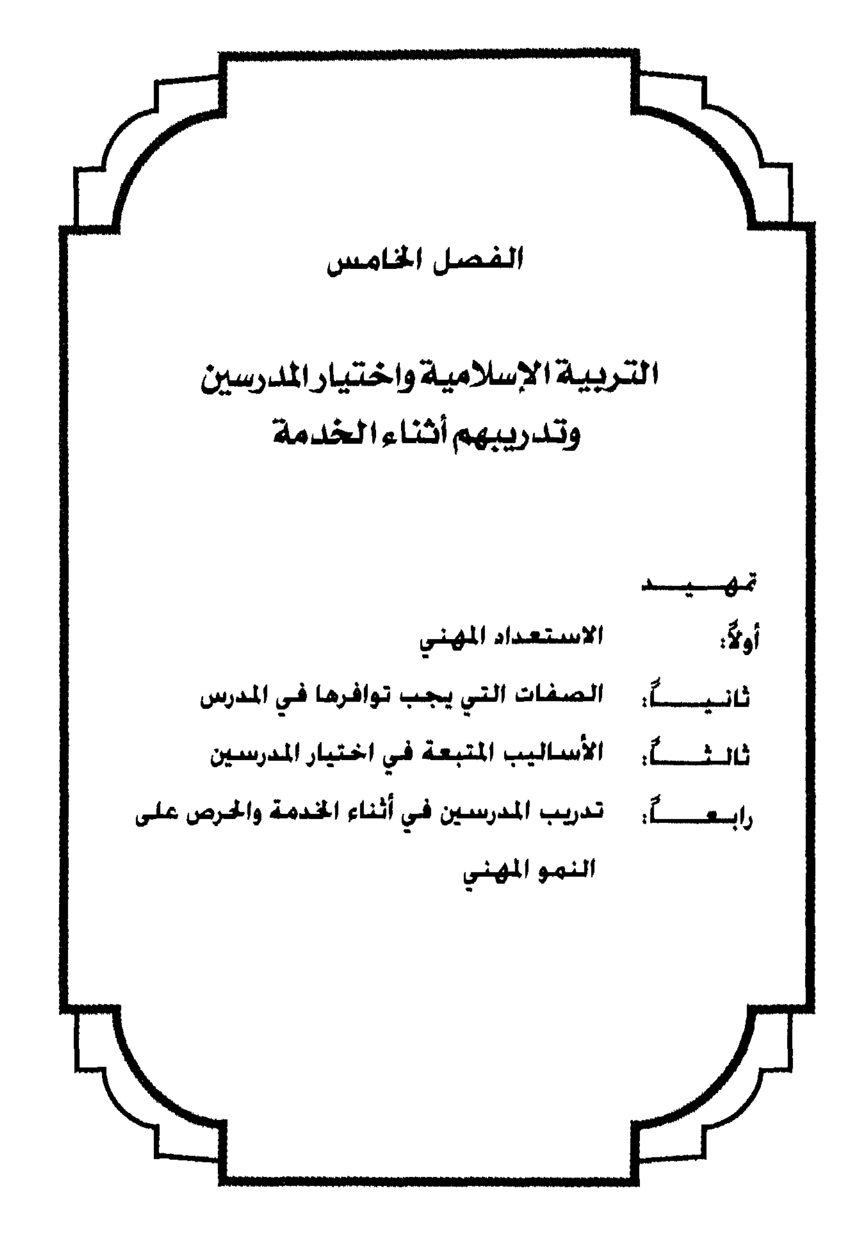
ومما يعين على نجاح الدراسة في صورة وحدات أن تحدد في المناهج والأنشطة المتصلة بها والوسائل التعليمية التي تقوم بمهمتي التوضيح والتشويق، مثل الصور والمصورات والمسجلات والأفلام الثابتة والمتحركة، وما يمكن الانتفاع مما يدرس في المواد الأخرى كالتاريخ الإسلامي وعلومه الطبيعية.

٧ ـ وأخيراً يأتي المدرس حجر الزاوية في هذا النجاح، فهو العامل البشري المنفذ للمنهج والكتاب والأنشطة، الذي يستطيع إذا صلح للتربية أن يحقق أهدافها ويعجز عنها إذا لم يكن على مستواها، وهو إنما يكون على هذا المستوى إذا كان متمكناً من مادته بتجدد الثقافة فيها وكانت له روحه الدينية التي تحفزه أن يتخذ هذه التربية رسالة لا وظيفة وتجعل منه خير أسوة لتلاميذه[١].

وهكذا يتضح أن هناك وسائل مهمة تشارك ـ في مراعاتها ـ لتحقيق الأهداف المختلفة في تدريس مادة التربية الإسلامية في المدارس في مختلف المراحل الدراسية، وتساعد في الوقت ذاته على قيام المدرسة بوظيفتها في هذا الجانب، باعتبارها وسيطاً مهماً من وسائط التربية، هذه الوسائل التي تساعد على نجاح منهاج تدريس التربية الإسلامية الذي اتضح من السرد السابق أن عبء العمل كله يقع على كاهله، ومن ثمَّ فإنه لابد من التدقيق والتمحيص في عمليات اختيار هؤلاء المدرسين، سواء بالنسبة لتدريس مادة التربية الإسلامية أو تدريس شتى المواد الدراسية انطلاقاً من الحقيقة التي تؤكد الصلة والتواصل والتكامل بين المواد الدراسية كافة، وكذلك الاعتراف بأن منهاج التربية الإسلامية ـ وإن كان يدرس في متنه محتوى مادتها ـ فإنما هو ممتد ليشمل المواد كافة ويضطلع بغرس أسسه وسلوكاته واتجاهاته كل المدرسين على حد السواء، سواء من خلال العملية التدريسية، أو من خلال التصرفات السلوكية العامة في أرجاء المجتمع المدرسي.

---

١ ـ محمود رشدي خاطر وآخرون: طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية، مصدر سابق، ص: ٣٣٥ ـ ٣٤٠.



الفصل الخامس

التربية الإسلامية واختيار المدرسين وتدريبهم أثناء الخدمة

تمهيد

أولاً: الاستعداد المهني

ثانياً: الصفات التي يجب توافرها في المدرس

ثالثاً: الأساليب المتبعة في اختيار المدرسين

رابعاً: تدريب المدرسين في أثناء الخدمة والحرص على النمو المهني

الفصل الخامس

التربية الإسلامية واختيار المدرسين وتدريبهم أثناء الخدمة

تمهيد:

استأثر المدرس باهتمامات الفلسفات التربوية القديمة والمعاصرة على السواء، فالمثالية تنظر إلى المدرس على أنه المثال الذي يحتذى به، وأنه أكثر أهمية من المنهج وطريقة التدريس، وترى الواقعية أن المدرس مترجم أمين، مهمته أن يضع أمام الطلاب المعرفة الواضحة والمميزة، وأن يعرض المنهج العلمي بطريقة موضوعية بعيدة عن كل ذاتية، وهكذا فإن المبادرة تظل في يده لتحديد المعرفة التي ينبغي أن يتعلمها الطالب.

وفي تراثنا الإسلامي تأكيدات واضحة على أن المدرس هو مصدر العلم والمعرفة والأدب «فابن جماعة» على سبيل المثال، كغيره من المربين المسلمين، أدرك أن المدرس عامل أساسي في نجاح عملية التعليم، حيث إن هذه العملية لا تتم بغير مدرس، تحققت شفقته وظهرت مروءته وعرفت عفته واشتهرت صيانته وكان أحسن تعليماً وأجود تفهماً، ومن هنا كان اهتمام «ابن جماعة» باختيار المدرس، باعتباره حجر الزاوية في العملية التربوية التعليمية الاصلاحية في أي مجتمع من المجتمعات[1].

---

١ ـ انظر:

ـ ماهر فاضل، مهدي حسين، كفاية أداء المعلمين حديثي الخبرة في مدينة عدن من وجهة نظر الموجهين الفنيين بحث منشور، المؤتمر التربوي العربي «تربية المعلم العربي في القرن الحادي والعشرين»، عمان، المملكة الأردنية، ١٩٩٥، ص: ١.
=



وفي إطار الهدف من هذا الفصل، فإن المؤلف سوف يتعرض للعديد من المحاور تتمثل في:

أولاً: الاستعداد المهني.

ثانياً: الصفات التي يجب توافرها في المدرس.

ثالثاً: الأساليب المتبعة في اختيار المدرسين.

رابعاً: تدريب المدرسين في أثناء الخدمة والحرص على النمو المهني.

=

- فائز بن علي الحاج، التوافق المهني للمعلم «الواقع والتطلعات» بحث منشور، المؤتمر التربوي العربي «تربية المعلم العربي في القرن الحادي والعشرين»، عمان، المملكة الأردنية، ١٩٩٥، ص: ١.

أولاً- الاستعداد المهني

أثبت العديد من الدراسات التربوية[1] صحة المقولة التي ترى أن الأداء المهني يبلغ ذروته ويحقق أهدافه بتوافر الاستعداد المهني انطلاقاً من اعترافها بأن تخطيط التعليم لا ينبغي أن يقوم على اعتبار أن الأفراد مجرد أرقام، أو آلات يمكن تحريكها في أي اتجاه بغض النظر عن استعدادهم الخاص والعام، ولا ينبغي أن يقوم على الإكراه العقلي، أو الإغراء الموقوت بأي حال من الأحوال إيماناً منها باختلاف شخصيات الافراد، وعلى اعتبار أن الشخصية ما هي إلا بناء مركب للنواتج الكلية للأفعال، وعمليات التفكير والإدراك وردود الأفعال العاطفية والاحتياجات الدافعية من جهة[2].

وتوضح دراسة الواقع الميداني أن الغالبية العظمى من مجتمع المديرين بنسبة ٩٦٪ بواقع ٤٨ مفردة، تؤكد ما جاء سابقاً بالنسبة لأهمية توافر الاستعداد المهني للعمل بمهنة التدريس، ويجمع الخبراء والمهتمون في عينة الدراسة على ذلك إيماناً منهم بخصوصية عمل المدرس وجسامة مسؤوليته ودوره في بناء المجتمع.

كما أنهم ساقوا العديد من المبررات، لتأكيد أهمية الاستعداد المهني للعمل بمهنة التدريس.. نذكر أهمها فيما يلي:

- تشارك بطريقة مباشرة في تربية أبناء المجتمع وبنائهم.
- تحتاج إلى صبر قلما يتوافر في كثير من الأفراد.

---

١ - انظر:

- نزار مهدي الطائي: التفضيل المهني والاختيار المهني وعلاقته ببعض السمات، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٧٦.
- نفيسة أحمد حسن: العلاقة بين الميل المهني والاختيار المهني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٧٥.

٢ - لويس عوض: الجامعة والمجتمع الجديد، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص: ٥١.



- تحتاج إلى مزيد من تحمل المسؤولية.

- تتسم بالحساسية ولا تحتمل الخطأ.

إضافة إلى كون الاستعداد مطلباً شرعياً وفطرياً، التزم به ديننا الإسلامي سواء في اختيار يوسف عليه السلام لتولي المسؤولية الاقتصادية، أو اختيار المصطفى ﷺ لهداية البشرية بعد أربعين عاماً من رعاية الله سبحانه وتعالى له.

١ ـــ أسباب الرغبة في العمل بمهنة التدريس:

أجمع مجتمع المدرسين على أن هناك العديد من الأسباب التي جعلتهم يرغبون في العمل بمهنة التدريس وهي:

- الاقتداء برسول الله ﷺ.

- كونها مهنة تشارك بطريقة مباشرة في تربية أبناء المجتمع.

- النظر إلى مهنة التدريس باعتبارها مهنة سامية.

- تقديس رسالة المدرس.

- محاولة الاقتداء ببعض المدرسين، والسير على خطاهم من خلال امتهان المهنة.

- اعتبار المهنة واجباً مقدساً مارسه المرسلون سلام الله عليهم.

- أهمية العمل التربوي والقيمة التي تعطيها المجتمعات المختلفة للتربية.

- الشعور بالرضا والسعادة، باعتبارها أقرب المهن إلى القلب والعقل والوجدان.

ولاشك أن هذه الأسباب على تفردها، فإنها تعظم من مهنة التدريس، وتضعها في قالبها الصحيح ومكانتها التي اهتزت قليلاً لسبب أو لآخر.

٢ ـــ الانتماء لمهنة التدريس:

بينت دراسة الواقع الميداني أن غالبية المدرسين يؤكدون انتماءهم للمهنة، وعدم تركها لسبب أو لآخر، وذلك للعديد من المبررات نذكر منها:

- اتفاق مبادئها وتربية ونشأة أبناء المجتمع المسلم.



- من خلالها يمكن إرضاء الضمير في العمل والإحساس بقيمة العطاء.

- الشعور بالتقدير الذاتي.

- تساعد على تحقيق الطموحات والآمال الذاتية.

وعلى الجانب الآخر فإن غالبية مجتمع مديري ومديرات المدارس يؤكدون عكس ذلك للعديد من الأسباب نذكر منها[1]:

- عدم وجود التقدير المجتمعي الموازي لأهميتها.

- أن مهنة التربية أو التدريس مهنة شاقة تحتاج إلى جهد كبير.

- أن عطاء المدرس وجهده الكبير لا يقدر من جانب البعض.

- قد لا ترضي طموحات المدرسين.

ولاشك أن هذه الأسباب تنعكس على معنويات المدرسين وعطائهم ومكانتهم داخل المجتمع في ظل تلك الظروف الشاقة والمسؤولية الكبيرة المتعلقة بتربية الأجيال، ويرتبط ذلك بالطبع بعدم تقدير العطاء والبذل والتحفيز والاثابة التي حث عليها ديننا الإسلامي الحنيف.

وتتفق هذه النتيجة وما توصلت إليه دراسة بعنوان «توطين التعليم وتمهينه في دولة الامارات العربية المتحدة»[2].

---

١ - لمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، توصية بشأن أوضاع المدرسين، سكرتارية منظمة الأمم المتحدة، باريس، ١٩٦٦.

٢ - عادل عبدالفتاح سلامة: توطين التعليم وتمهينه في دولة الامارات العربية المتحدة، دراسة ميدانية لقيود الواقع وطموحات المستقبل، بحث منشور، مجلة التربية، مارس، أبريل، مايو، ١٩٩٥.

ثانياً ـ الصفات التي يجب توافرها في المدرس

في ضوء ما أفرزته الدراسات النظرية والعملية وما أكدته تلك الدراسة التي نحن بصددها، واستناداً إلى إشارة القرآن الكريم إلى دور المدرسين من الأنبياء وأتباعهم وإلى أن وظيفتهم الأساسية دراسة العلم الإلهي وتعليمه[1] وذلك بقوله عز وجل: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾[2].

فقد اجتهد العديد من المتخصصين والمهتمين في وضع أطر تصورية، تضم العديد من الصفات والخصائص التي يجب توافرها في المدرس، وتتفق مع قدسية المهنة ومهامها المؤثرة، ويمكن طرح بعض النماذج ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ فقد أشار بعضهم إلى أن هذه الصفات والخصائص هي:

أ ـــ خصائص شخصية:

استعداد للتدريس ـ سعة الحيلة ـ الذكاء ـ الثبات الانفعالي ـ الاعتبار ـ الابتهاج ـ الموضوعية ـ الإقدام ـ السيطرة ـ الجاذبية ـ النقاوة ـ التعاونية ـ الثبات.

ب ـــ الكفايات:

كموجه للتعليم ـ كموجه وصديق للتلاميذ ـ كعضو في مهنة ـ كعضوٍ في مجتمع.

جـ ـــ ضوابط السلوك:

المعارف ـ المهارات المعممة ـ الاهتمامات ـ الاتجاهات والمثاليات ـ الحالة النفسية ـ الصحة.

د ـــ حقائق ثابتة:

العمر ـ الوزن ـ الخبرة ـ الطول ـ التدريب ـ التوصيات ـ الحالة الاجتماعية والاقتصادية[3].

---

١ ـ محمد أحمد عبدالهادي: المربي والتربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٧٨.

٢ ـ سورة آل عمران، الآية ٧٩.

٣ ـ محمد مصطفى زيدان: الكفاية الإنتاجية للمدرس، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨١، ص: ٦٥.

ولاشك أن تلك الصفات وإن كانت تمثل إفراطاً وإغراقاً في المثالية وتحتاج، إلى العديد من المقاييس المقننة لتحديدها على وجه الدقة، فإنها تبقى محاولة جيدة تعمق من المهنة وتؤدي إلى مزيد من الانتقاء والغربلة للمتقدمين لها.

كما أشار البعض الآخر إلى نموذج ثانٍ يميل إلى الخلق الإسلامي الحميد ويتضمن: الجانب العقائدي - الإخلاص - الصبر - الصدق - الجانب العملي - الجانب الفني في التدريس - سعة الأفق والثقافة العامة - الميل للعمل مع التلاميذ والرضى عن المهنة التربوية - العدل - المظهر العام اللائق - الجوانب التي تتعلق بالصحة الجسمية - الذكاء والصحة النفسية - الإيمان بالله فكراً وسلوكاً - الخلو من الصراعات النفسية المدمرة - القدرة على التوافق الاجتماعي السوي مع مجتمعه والآخرين - القدرة على العمل والعطاء والإنجاز والتوافق المهني السوي.

ومما يذكر أن هذا النموذج، وإن كان لا يقل طموحاً عن سابقه، إلا أنه أكثر تحديداً ووضوحاً واقتراباً من محصلة التربية الإسلامية ونتاجاتها، عندما تؤدى بالصورة المطلوبة من خلال وسائطها المختلفة.

وقد بين الواقع الميداني اتفاق المعلمين والمديرين والخبراء على مجموعة من الصفات ينبغي توافرها في المعلم وهي:

الأمانة - التعاون - النظام - الطموح - التمسك بالتعاليم الإسلامية - التواضع - الرحمة - الصدق - الموضوعية - قوة الشخصية - الصبر - تقدير الذات - الاستفادة من الوقت - الرغبة في الخدمة - سلامة النطق والمظهر.

ولذا فإن المؤلف يرى أهمية وضع مجمل هذه الصفات في الاعتبار عند إجراء الاختبارات الخاصة باختيار المدرسين للعمل بالدولة والسعي لتصميم الاختبارات المقننة التي تكشف عنها بدقة من أجل تحقيق الاختيار الملائم، والذي سيساعد على تحقيق الأهداف التربوية للمدرسة.

ثالثاً ـ الأساليب المتبعة في اختيار المدرسين

ويتم اختيار المدرسين في الدولة من خلال الآتي:

أ ــ المدرس غير المواطن:

ـ يتم ذلك بإعلان من وزارة التربية والتعليم عن حاجتها إلى المدرسين، ويتم فرز الطلبات المقدمة وتختار من بينها من تنطبق عليه شروط الإعلان.

ـ يعقد للمرشحين امتحان كتابي في المادة التخصصية، ثم تصحح أوراق الإجابة عن طريق التوجيه المختص لكل مادة، ثم ترتب الأسماء تنازلياً حسب درجات النجاح.

ـ يتقدم الناجحون في الامتحان الكتابي لمقابلة شخصية عن طريق لجان فنية متخصصة، وتتناول المقابلة الأمور الآتية:

ـ الكشف عن كفايات التعليم بأسئلة محكية.

ـ الكشف عن قدرات المدرسين.

ـ الكشف عن الثقافة التربوية والكفاية الابتكارية.

ـ الكشف عن الكفايات العلمية.

ـ بعد هذه المقابلة ترتب الأسماء تنازلياً طبقاً للدرجات التي حصل عليها المتقدم في المقابلة الشخصية، ويتم توزيع المدرسين الذين اجتازوا المقابلة الشخصية بنجاح على المناطق التعليمية حسب الحاجة.

ب ــ المدرس المواطن:

ويقصد به المواطن الذي تخرج في جامعة الإمارات العربية المتحدة أو الجامعات الأخرى، وتعقد له مقابلة شخصية عن طريق لجنة فنية كما هو مبين في مقابلة غير المواطن.



وفي ضوء ما ورد سابقاً، فإن دراسة الواقع الميداني قد أكدت على أن المقابلة الشخصية هي أكثر الأساليب استخداماً في ذلك الصدد. يليها الامتحان الشفهي، ثم يأتي الامتحان الكتابي في الترتيب الثالث، بينما يأتي التعيين مباشرة في الترتيب الرابع، وقد يكون ذلك من قدامى المعينين بالدولة وقبل تقنين عمليات الاختيار.

وقد أكدت مجموعة الخبراء على أن الأساليب الثلاثة الأولى هي المتبعة فقط حالياً في عمليات اختيار المدرسين.

أما إذا كانت هذه الأساليب كافية من وجهة نظر مجتمعي الدراسة، فقد كشف الواقع الميداني أن الإجابة بنعم قد حصلت على الترتيب الأول لمجتمع المدرسين، والترتيب الثاني لمجتمع المديرين، بينما نجد أن نسبة الإجابة تعكس ذلك، وترتفع في مجتمع المديرين لتحتل الترتيب الأول، مقابل الترتيب الثاني لمجتمع المدرسين.

وبرغم اتفاق الغالبية من مجموع الخبراء مع وجهة نظر المدرسين في كفاية هذه الأساليب، إلا أن النظرة الموضوعية للمؤلف تتفق مع وجهة نظر المديرين لحاجة هذه الأساليب لمزيد من التقنية، ولاسيما بالنسبة للمقابلة، حيث إنها تخضع في بعض الأحيان للأهواء الذاتية، وقد لا تكشف عن بعض الكفايات، وما يدل على ذلك إنهاء تعاقد بعضهم بعد فترة وجيزة من عملهم، على الرغم من اجتيازهم الأساليب كافة بما فيها المقابلة، كما أن كلّ هذه الأساليب قد لا تتطرق إلى الخلق الإسلامي أو قد تختلف من لجنة إلى أخرى وهكذا.

وتوضح دراسة الواقع الميداني أسباب الإجابة بكفاية هذه الأساليب وتنحصر في:

- اتاحتها الفرصة لاختيار العناصر ذات الكفاءة.
- تكشف المواصفات التي تتلاءم وطبيعة المهنة.
- تكشف عن الاستعداد والقدرة على العطاء.

ورغم ذلك فإن المؤلف من جانبه ومن واقع خبرته، فإنه يأمل في تطوير هذه الاختبارات، ولاسيما المقابلة، حتى لا يحدث تخط غير متعمد لبعض المتقدمين الأكفاء



خلقاً وعلماً.

وما يؤكد ذلك أن بعض المدرسين ومديري المدارس والخبراء يرون أن الوسائل التي تم طرحها سابقاً غير كافية وتحتاج إلى التدعيم والتعديل، وذلك للعديد من الأسباب نذكر أهمها فيما يلي:

- أن المقابلة لا تكشف عن الاتجاهات والقيم التي يجب توافرها في المدرس.

- أن الامتحان الكتابي (التحريري) يهتم فقط بإلمام المتقدم لمحتوى المادة.

- يركز الامتحان الشفهي فقط على الأساليب التعليمية.

- يؤدي الامتحان الكتابي بالمتقدم إلى الإحساس بالتوتر الذي يؤثر على إجاباته.

وقد أوضحت الغالبية أن هناك تخطيا في عمليات الاختيار لبعض الأكفاء وهو تخط غير متعمد، إضافة إلى أن عامل أو معيار الكفاءة لا يستطيع وحده أن يساعد على إجادة المعلم، بل إن هناك معايير أخرى ترتبط بالتكامل بين الاتجاهات والقيم الإسلامية والكفاية المهنية وسلامة الشخصية واتزانها، وكلها تمثل محاور أساسية يجب توافرها في المدرس حتى يستطيع القيام بواجباته ومهامه التربوية والتعليمية، وهذا يتفق في جوهره مع ما أورده أحد المهتمين المنظرين في وصفه لخصائص المدرس حيث يرى أن أهمها يتعلق بـ :

- التزكية والتطهير والسمو بالنفس إلى بارئها وإبعادها عن الشر والمحافظة على فطرتها.

- التعليم أي نقل المعلومات والعقائد إلى عقول المؤمنين وقلوبهم ليطبقوها في سلوكهم وحياتهم[1].

وعلى الرغم من بعض المآخذ على الأساليب المتبعة في اختيار المدرسين. فإن دراسة الواقع تفرز العديد من الأسباب التي تؤكد ضرورة إجرائها قبل العمل بالمهنة، وأن وجود بعض الملاحظات عليها لا يعني الاستغناء عنها، وإنما قد يدعو إلى ضرورة

---

١ - انظر: محمد أحمد عبدالهادي: المربي والتربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٨٠.

البحث عن كيفية تطويرها وعلاج بعض المآخذ الخاصة بها أما عن الأسباب فهي:

ـ أن مهنة التدريس أمانة ولا يستطيع تحملها العديد من الأشخاص.

ـ تأثير شاغليها بطريقة مباشرة على أبناء المجتمع ومن ثم ضرورة انتقائهم.

ـ طبيعة المسؤولية الملقاة على المدرس.

وعلى الجانب الآخر فهناك بعض من المدرسين والمديرين يرون عدم أهمية هذه الاختبارات للعديد من الأسباب تكشفها دراسة الواقع وتتمثل في:

ـ النظر إلى الإعداد المهني أثناء فترة الدراسة باعتباره كافياً للتأهيل وبوابة للدخول إلى العمل بالمهنة، ولم يأخذوا في اعتبارهم أن بعضهم من غير خريجي كليات التربية الذين يحتاجون إلى الصقل والتأكد من إلمامهم بالمفاهيم التربوية.

ـ القول بأن بعض الصفات يمكن اكتسابها في أثناء العمل، وهم بذلك يتناسون أن مادة العمل هي البشر غير قابلة للتجريب والاختبار والمحاولة والخطأ.

ـ الارتكاز على أن عدم إعطاء المهنة التقدير الملائم يمنع من وجود اختبارات قبل الالتحاق بها، ولاشك أن هذا السبب قد يكون في حد ذاته مدعاة لتأكيد أهمية هذه الاختبارات، إذ كنا نسعى للحصول على التقدير المفتقد، فلابد أن نعمل جاهدين على انتقاء العناصر القادرة بعطائها وعملها على تحقيق ذلك وانتزاع التقدير الملائم.



رابعاً: تدريب المدرسين في أثناء الخدمة والحرص على النمو المهني

لقد أصبح موضوع إعداد المدرسين بمنزلة استراتيجية يمكن عن طريقها الحد من المعوقات التي تواجه التعليم والارتقاء به، ولعل ما جاء به المؤتمر التربوي الدولي الذي نظمته اليونسكو في جنيف عام ١٩٧٥م ما يؤكد ذلك، حيث توصل إلى أن إعداد العاملين في الحقل التربوي يعدُّ أحد العوامل الأساسية في تنمية التربية، وشرطاً أساسياً لأي تجديد في هذا المجال، كما توصل أيضاً إلى أن الأدوار والوظائف المطلوبة من المدرس ليست ثابتة بل تتغير تبعاً للتغيرات الاجتماعية، ولتغير نظام التعليم نفسه، ولهذا بات من الضروري إعادة النظر في أعمال ووظائف المدرسين باستمرار، والعمل على جعلهم واعين بتطور أدوارهم، ومستعدين للقيام بالوظائف والأدوار الجديدة.

ولهذا لم يعد يكفي أن يتقن المدرس مادة تخصصية ليصبح ناجحاً، بل أصبح إعداده المستمر المهني والثقافي والأكاديمي أمراً ضرورياً، حيث إنه لا يمكن أن نتوقع تزويد المدرس بكل ما يحتاج إليه من معلومات ومهارات واتجاهات قبل العمل، مهما طالت فترة الإعداد، ومهما كان الإعداد كافياً، ولهذا لابد من متابعة تدريبه بشكل مستمر طيلة حياته المهنية وبشكل يتكامل والإعداد قبل العمل ويكون امتداداً طبيعياً له، بحيث يمكنه من متابعة المستجدات في الميدان التربوي ومن معالجة أوجه القصور في إعداده الأولي، ويؤدي بالتالي إلى رفع مستوى أدائه وكفايته ويشارك في تطوير العملية التربوية وتحسينها.

ولهذا نجد أن هناك اهتماماً خاصاً بإعداد المدرسين وتدريبهم والسعي لرفع مستوى أدائهم وزيادة فعاليتهم ومحاولة توفير فرص النمو المهني المستمر لهم[١].

---

١ ـ انظر: رفيقة سلم حمود: تكامل سياسات وبرامج تدريب المعلمين قبل وأثناء الخدمة، بحث منشور، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، تونس ١٩٨٧، ص: ١.

وفي ضوء ما سبق سوف نتناول بعض ما يتعلق بتلك القضية الهامة، وذلك في ضوء ما أفرزه الواقع العملي.

أهداف التدريب في أثناء الخدمة وأهميته:

يهدف التدريب إلى الوصول بالمدرس إلى أقصى درجات الكفاية في أداء عمله، والمقصود بكلمة كفاية هو: كفاية المدرس الفنية في أداء العمل الموكل إليه(١)، وقد نصت التوصية الدولية بشأن المدرسين على أهمية التدريب في أثناء الخدمة وذلك لتحقيق الأهداف التالية:

- رفع المستوى العلمي والثقافي والمؤهلات المهنية للمدرسين.

- تحسين مؤهلات المدرسين في ميدان تخصصهم، سواء من ناحية المضمون والأساليب، وذلك بالاطلاع على أحدث التطورات في هذه الميادين.

- تغيير مجال عملهم أو توسيعه والانتقال من نوع التعليم إلى آخر أو من مرحلة تعليمية إلى أخرى.

- اكتساب مؤهلات جديدة سعياً إلى الترقية في الوظيفة كالتعيين في وظائف ذات مسؤولية في ميدان التربية مثل وظائف التوجيه، والإرشاد وإدارات المدارس وغيرها.

- توفير دورات تجديدية للمدرسين العائدين إلى ممارسة مهنة التعليم بعد فترة انقطاع عنها.

وإذا كانت الكتابات النظرية تؤكد أهمية هذا التدريب ومساعدته على تحقيق الكفاية المهنية، فإن دراسة الواقع الميداني(٢) لم تختلف على ذلك حيث اتفقت الغالبية من المدرسين ومديري ومديرات المدارس على أهمية التدريب وضرورته لتطوير الأداء وذلك أثناء العمل.

---

١ ـ محمد مصطفى زيدان: الكفاية الإنتاجية للمدرس، مصدر سابق، ص: ٥٠.

٢ ـ مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، وثيقة العمل الرئيسية، ورشة العمل الإقليمية حول تمهين التعليم وإعداد المعلمين وتأهيلهم وتدريبهم، عمان، الأردن، ١٩٩٥، ص: ٥٠.

كما أكد مجموع الخبراء على أهمية ذلك التدريب مدعمين إجاباتهم بشرطين أساسيين لتحقيق النجاحات المطلوبة من هذا التدريب وهما:

- توافر الرغبة والدافع الذاتي لدى المدرس.
- معرفة الاحتياجات التدريبية الفعلية للمدرس.

وقد أشارت الدراسة الميدانية إلى الأسباب الخاصة بأهمية التدريب وهي:

- الاطلاع على الاتجاهات التربوية الحديثة في طرائق التدريس.
- الاطلاع على المستجدات والمستحدثات في مادة التخصص.
- تطوير وتنمية المهارات البحثية في المجال التربوي.
- تبادل الفكر والرأي من خلال الالتقاء بمدرس المادة الواحدة.
- انعاش الأفكار والمعلومات بصفة مستمرة.

وقناعة من وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات بأهمية ذلك، فقد أنشئت إدارة خاصة بالتدريب تحت مسمى «إدارة التدريب الفني والتأهيل التربوي» وتعمل على تحقيق أهدافها من خلال التعاون مع وحدة التنمية الإدارية والهيئة العامة للمعلومات وذلك لتقديم برامج بنائية تأسيسية وبرامج توجيهية وبرامج تطويرية وبرامج تنشيطية وأخرى علاجية.

وعلى جانب آخر فقد رأى البعض من المدرسين ومديري المدارس أن هذا التدريب قد لا يستطيع تحقيق أهدافه للعديد من الأسباب وهي:

- قد لا يتضمن في كثير من الأحيان أفكاراً حديثة لجذب المستهدفين.
- اقتصارها على الجوانب النظرية فقط دون الإجراءات العملية.
- قصر الوقت المخصص لإقامة الفعاليات الخاصة بالتدريب.
- عدم جدية بعض القائمين على تلك الفعاليات.

والمؤلف من جانبه يرى أن وجود هذه المآخذ على الفعاليات التدريبية لا يقلل من أهميتها، مع ضرورة مراعاة أساليب علاجها والتي تكمن في:

ـ الاهتمام بدعمها بالإجراءات العملية كالمشاغل وورش العمل والحلقات النقاشية.

ـ ضرورة تضمينها للأفكار والمستجدات من أجل ضمان عامل الجذب وبعدها عن التكرار الممل.

ـ انتقاء القائمين عليها في ضوء القدرة على الإلمام بالمادة والتوصيل الجيد للمستهدفين.

ـ تخصيص وقت ملائم لها، سواء من حيث مواعيدها أو من حيث زمنها المحدد من أجل تحقيق الاستفادة المرجوة.

وقد كشفت دراسة الواقع الميداني حرص الغالبية من المعلمين بنسبة ٨٨, ٨٥٪ على حضور هذه الفعاليات بينما انقسم مديرو ومديرات المدارس في استجابتهم، حيث يرى ٥٠٪ منهم فقط حرص المدرسين على حضور ذلك.

ومما لاشك فيه أن توفير عوامل نجاح مثل هذا التدريب وفعالياته المختلفة، كما سبق أن أوضحنا سلفاً، سوف تساعد على حرص كافة المدرسين على حضور هذه الفعاليات، وكذلك تحقيق الاستفادة المبتغاة من وراء تنظيمها.

الحرص على النمو الذاتي:

لقد أشارت البحوث التربوية إلى فكرة رئيسية تتعلق بأهمية الطريقة التي يتم بها تقدير الفرد لمدى كفايته في أداء مهمة معينة، والواقع أن الصورة التي يكونها الفرد عن نفسه، والتي تتولد أساساً من نقده لذاته، إنما تمتد بتأثيرها إلي الكيفية التي تحل بها مشكلات حياته ومستوى كفايته ما يصل إليه من حلول لهذه المشكلات، والمهم أن هذه التصورات التي يملكها الفرد عن نفسه بنتيجة تفاعله مع آخرين تسمى «صور

الذات»[1].

ولقد أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك قبل أن تتولد هذه البحوث بإلهامه الصادق أن النقد الذاتي إنما يمثل المنطلق الرئيسي للتغيير والتعديل والنمو[2]. ونحن في مهنة التدريس نهتم اهتماماً كبيراً بذلك، حيث إن الذات المهنية للمدرس لا تقف عند حد معين، وإنما لابد من الاهتمام بتطويرها والاعتماد على النفس بصفة أساسية في ذلك حتى لا يكون عرضة للنقد المستمر، وحتى يكون هناك رضاء نفسي واشباع لاحتياج هام من احتياجات الفرد.

وقد بينت دراسة نتائج الواقع الميداني أن الغالبية من مجتمعي الدراسة تؤكد حرص المدرس على تطوير أدائه من خلال الاعتماد على نفسه، ولاشك أن توافر هذه الخاصية في مجتمع المدرسين سوف يساعد على تحقيق النجاحات المطلوبة، باعتبارها دعامة أساسية من دعامات التطوير والارتقاء بالأداء، إضافة إلى أنها تمثل قيمة إسلامية هامة يحرص عليها أبناء تلك المهنة.

وقد أوضحت الدراسة أن تطوير الأداء يتم من خلال:

- الإطلاع على المراجع الحديثة في مادة التخصص.
- الالتقاء بالزملاء والتحاور معهم حول القضايا والموضوعات المتخصصة.
- القيام بالبحوث والدراسات العملية والاستفادة من نتائجها.
- اللجوء للموجه الفني واستشارته في بعض الصعوبات.

أساليب التدريب:

يقتضي وضع برامج التدريب في أثناء الخدمة، حصر الاحتياجات التدريبية

---

١ ـ دينيس تشايلد: علم النفس والمعلم، ترجمة عبدالحليم محمود وآخرين، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٨٣، ص: ٨٥.

٢ ـ انظر: محمد أحمد عبدالهادي، المربي والتربية الإسلامية، مصدر سابق، ص: ٣٢.

وتحديدها بشكل واضح، مع الأخذ في الاعتبار الكفايات المطلوبة من المدرس كمحك أوليّ والتجديدات التي تستحدث داخل النظام التربوي كمحك ثانٍ، وبحكم اعتبار التعليم مهنة عريقة ينبغي مشاركة المدرس في تحديد احتياجاته التدريبية والابتعاد عن المواقف الفوقية في تحديد الاحتياجات التدريبية، واعتماد الشراكة بين المعنيين كافة بهذا الصدد. ولذا يجب عدم الاقتصار على صحائف التقويم الذاتي لتحديد هذه الاحتياجات، بل يجب أن تتعداها إلى حلقات النقاش بين المعنيين واستطلاع آرائهم في ذلك.

ويتم التدريب إما داخل المدرسة أو خارجها على النحو التالي:

ـــ التدريب داخل المدرسة:

حيث يمكن القول: إن الجهة التي يجب أن تكون مسؤولة عن التدريب المستمر بشكل أساسي هي المدرسة نفسها، حيث يمارس المدرس نشاطه بفعل أنه عضو من أعضاء فريق متكامل.

ـــ التدريب خارج المدرسة:

فقد تحتاج أنشطة التدريب في أحيان كثيرة لتخطيط وتنفيذ أكثر مركزية، فتقوم به المناطق التعليمية أو الإدارة المركزية، حيث إن بعض أنشطة التدريب قد تتطلب توافر إمكانات بشرية ومادية كافية يصعب تأمينها بمدرسة واحدة، كما أن بعضها الآخر يجمع عدداً من المدرسين في مكان واحد أو في برنامج واحد لتحقيق الفاعلية والفائدة المشتركة[1].

أما عن ترتيب أهم الأساليب التي يمكن استخدامها في تدريب المدرسين، سواء داخل المدرسة أو خارجها فتوضحها دراسة الواقع الميداني على النحو التالي:

١ ـ الدورات التدريبية.

٢ ـ المشاغل التربوية.

---

١ ـ مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية: وثيقة العمل الرئيسية، مصدر سابق، ص: ٥٣، ٥٤.

٣ ـ الدروس النموذجية.

٤ ـ الحلقات النقاشية.

٥ ـ تبادل الزيارات.

٦ ـ المحاضرات.

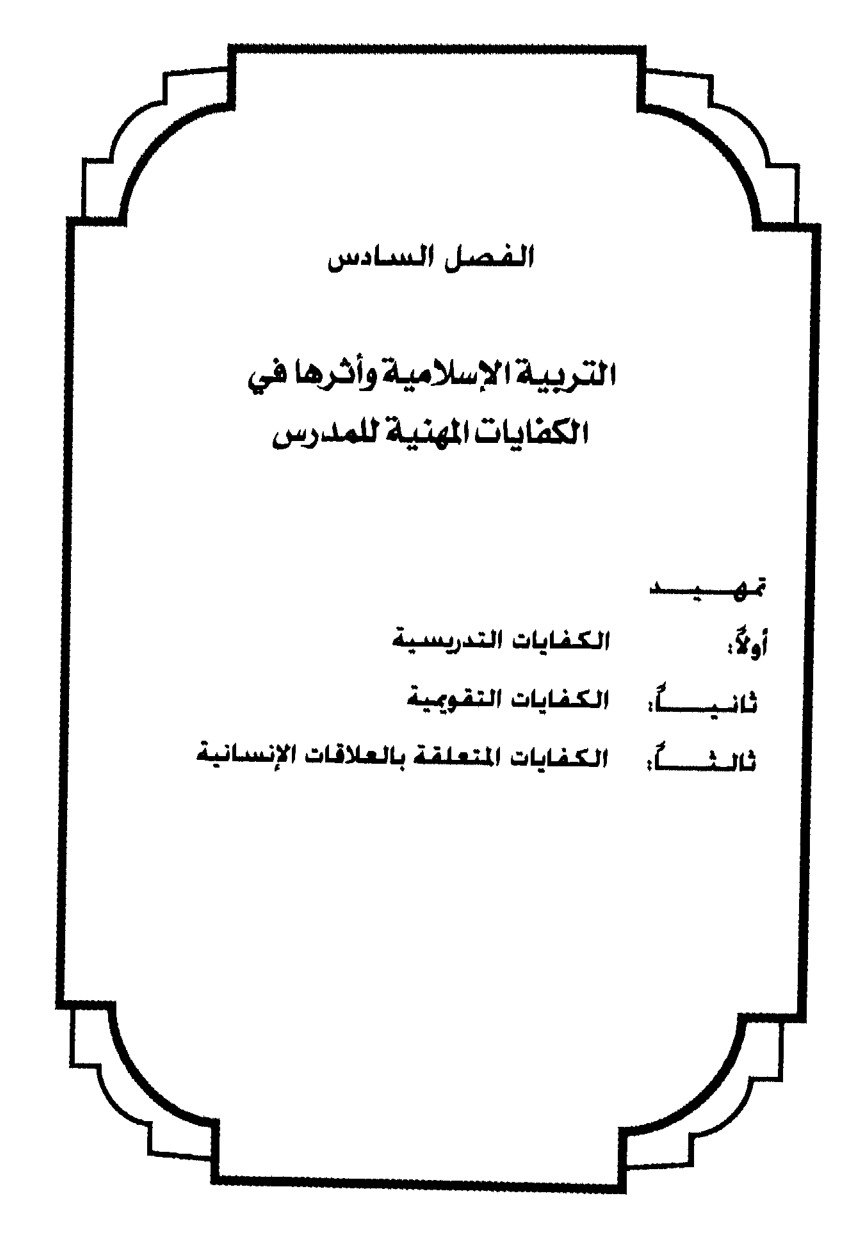
وقد أوضحت الدراسة الميدانية أن هناك اتفاقاً بين المجتمعين على المكانات المعطاة للأساليب المستخدمة في التدريب في أثناء الخدمة، ولعل مدى اقتران الأسلوب بالإجراءات التطبيقية كان معياراً حاسماً في تلك المكانة والترتيب، حيث حظيت الدورات التدريبية والمشاغل ثم تبادل الزيارات والدروس النموذجية كليهما الحلقات النقاشية على المواقع المتقدمة، بينما نجد أن المحاضرات لم تحظ بالأهمية نفسها.

وعلى الجانب الآخر فقد اكتفت مجموعة الخبراء بعرض ما تضمنته لائحة التوجيه التربوي من أساليب وهي:

الزيارات الصفية ـ تبادل الزيارات ـ إجراء البحوث ـ النشرات ـ الدورات والمشاغل التربوية ـ القراءات الموجهة والحلقات الدراسية ـ الدروس النموذجية ـ اللقاءات والمداولات والندوات ـ التعليم المصغر ـ مجلس المادة ـ المحاضرات ـ الاطلاع المستمر على كل ما يستجد في مجال التخصص[1] واضعين في اعتبارهم أن لكل من هذه الأساليب إيجابياته وأن الجمع بينها جميعاً سوف يؤدي إلى تحقيق الأهداف المرجوة من التدريب.

---

١ ـ لائحة التوجيه التربوي، القرار الوزاري رقم (٢/٣١٥) لسنة ١٩٨٨م.



الفصل السادس

التربية الإسلامية وأثرها في الكفايات المهنية للمدرس

تمهيد

أولاً: الكفايات التدريسية

ثانياً: الكفايات التقويمية

ثالثاً: الكفايات المتعلقة بالعلاقات الإنسانية

الفصل السادس

التربية الإسلامية وأثرها في الكفايات المهنية للمدرس

تمهيد:

لقد ضاق الفكر التربوي قبل الإسلام عن أن يتسع لقواعد نظرية تربوية قوية متماسكة، أو أن يسمو إلى هذا المرتقى سواء أكان فكراً يهودياً أم نصرانياً أم كان من أفكار الدول التي لا تدين بدين سماوي.

أما الإسلام فقد عرض من الفكر التربوي جديداً، لم يكن يعرفه الناس من قبل، واتسق لهذا الفكر من المميزات ما جعل له طابعه وشخصيته، والتقى فيها من عوامل القوة ما باعد بينه وبين ما شاع في الفكر التربوي الذي سبقه من قصور وسطحية، حتى يسوغ ذلك لبعض التربويين التحدث عنه تحت عنوان: «النظرية التربوية في الإسلام».

وإذا صح أن يختار للفكر التربوي ما يدل عليه ويميزه عن غيره، فأقرب ما يكون إلى الصحة أن يسمى الفكر التربوي الشامل أو النظرية الشاملة بلغة التربية الحديثة، حيث إنها جاءت شاملة تناولت مع شخصية المسلم الإنسان كل قواه وقدراته جسدية ونفسية، عقلية ووجدانية واجتماعية، روحية ونفعية. والأساس في ذلك كله قول الرسول ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف».

وقوة الشخصية لا تتأتى بناحية لها دون أخرى، ولكن بقوتها كلها، لذلك اقتضت التربية الإسلامية أن تنهض بنواحيها جميعاً، فلم تقف عند التربية الروحية وحدها أو

الجسدية وحدها أو المادية دون غيرها. كما أن الإسلام حين أكد العلم الديني حرص على ما يرقى بشخصية المسلم من ألوان المعرفة على اختلافها[1].

وإذا كان العرض السابق يتناول الإنسان في عموميته، فمهما كان موقعه أو مهنته، فإن هذا الأمر لابد أن يصبح أكثر حساسية في مهنة مهمة مقدسة مثل مهنة التدريس التي يتغلغل تأثير شاغليها من المدرسين على المجتمع وأبنائه، ومن ثم يفترض أن ترتفع مهاراتهم فكرياً وسلوكياً في ضوء ما توافر لهم من تربية إسلامية.

وسوف يتناول هذا الفصل الكفايات المختلفة للمدرس وهي:

أولاً: الكفايات التدريسية

ثانياً: الكفايات التقويمية

ثالثاً: الكفايات المتعلقة بالعلاقات الإنسانية

---

١ ـ يوسف الحمادي: أساليب تدريس التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص: ٦٤.

ولمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى:

ـ عبدالرشيد عبدالعزيز سالم: طرق تدريس التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص: ١.

ـ أبو بكر أحمد السيد: رسالة إلى المدرسين والمدرسات، المديرية العامة للمطبوعات، الكويت.

التربية الإسلامية والكفايات المختلفة للمدرس

تعد العملية التعليمية نشاطاً متعدد الأبعاد يحتوي على مدى واسع من الأدوار الصفية واللاصفية، منها تخطيط وتقويم التعليم وبنيته وتعتمد على مدى واسع من الإدراك والفهم النظري حيث لا يمكن تقنينها في مجموعة ممارسات عملية فقط، وفي عمليات ذهنية فقط لأنها تحتاج إلى أطر فكرية قابلة للتطبيق، وتحتوي على وجهات نظر متباينة ومتناقضة بالنسبة لأهدافها وأساليبها، مما يجعل التعليم نشاطاً استكشافياً فرضياً يعمل ضمن ظروف من عدم اليقين والانفتاح للنقد، كما تتطلب التزاماً للتقويم الذاتي والتزاماً بالتطور المهني [(١)] .

ومما لاشك فيه أن هذا يثقل من أعباء المدرس ويجعله يبذل جهداً كبيراً داخل الفصل التدريسي أو خارجه (الإعداد والتخطيط) لما لذلك من تأثير على العملية التعليمية وأثر فعال في إحداث التغيير المنشود في سلوك التلاميذ [(٢)] .

ولاشك أن امتلاك المدرس للكفايات المهنية أمر ضروري ومهم، حتى يقوم بمهنته على أكمل وجه، ونقصد هنا بالكفاية المهنية (قدرة المدرس على القيام بعمله بمهارة وسرعة واتقان). ولاشك أن امتلاك المدرس لمهارات الكفاية المهنية بشكل خاص وبصورة متكاملة إنما يساعده على أداء دوره وإرضاء ضميره، وفق ما تعلمه من تعاليم ومبادئ إسلامية، تحثه على الإخلاص والأمانة في عمله وتوفير المُناخ المادي والنفسي والاجتماعي الذي يشجع على التعلم [(٣)] .

---

١ ـ أنيسة (أجنس) حنانيا: تمهين التعلم وإمكانات تطبيقه في البلدان العربية، بحث منشور، المؤتمر التربوي العربي، تربية المعلم العربي في القرن الحادي والعشرين، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٩٩٥، ص: ٥.

٢ ـ محمود رشدي خاطر وآخرون: طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية، مرجع سابق، ص: ٤٥٦.

٣ ـ سامي عبدالرازق عدوان، علي حسين حبايب: الكفايات المهنية للمعلم العربي في القرن الحادي والعشرين من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية، المؤتمر التربوي العربي، تربية المعلم العربي في القرن الحادي والعشرين، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٩٩٥، ص: ١-٢.

وعلى ذلك فإن الكفاية المهنية هي مجموعة من المهارات المتداخلة معاً والمتضمنة لما يلي:

- الكفايات التدريسية.
- الكفايات التقويمية.
- الكفايات المتعلقة بالعلاقات الإنسانية.

أولاً: الكفايات التدريسية

إن عملية التعليم لا تحدث في فراغ، بل في بيئة معينة تحتوي على عدة أفراد وأدوار وعلاقات تتفاعل جميعها لتحقيق أهداف المنهاج المعلن والخفي، ولاشك أن المدرس هو المسؤول الأول عن تحقيق ذلك، من خلال استخدامه أفضل ممارسة مهنية لمصلحة تعلم الطالب واحتياجاته[1].. ويمكن تفصيل ذلك من خلال النقاط الآتية:

١ ـ التخطيط:

وهو مهمٌ وضروري لأي منشط من مناشط الحياة، وهو بالأحرى ضروري للمعلم الذي صناعته تنشئة الأجيال وتربيتهم التربية الإسلامية، التي تعنى بالتخطيط وانتهاج الأسلوب العلمي، وتتضمن:

- المدى الأوسع للأهداف سواء أكانت معرفية أم وجدانية أم مهارية.
- تحديد الأنشطة التعليمية اللازمة لتنظيم عملية التعلم على نحو فعال.
- خطة التدريس والأنشطة والإجراءات التي تستثير دافعية الطلاب.
- الأساليب والأنشطة والوسائل المناسبة لطبيعة خبرات الطلاب.
- مهمات التعليم سواء قصيرة المدى أم بعيدة المدى وبما يتفق وحاجات التعليم وأهدافه[2].

أما عن أهمية قيام المدرس بالتخطيط فترى الغالبية العظمى في مجتمع الدراسة ضرورة ذلك بما يؤكد تفاهمها على ما للتخطيط من دور هام في تنظيم العمل كما أنه مرتبط بسيرة المربي الأول ﷺ الذي أولاه كل عناية حتى تعلم المسلمون التنظيم والنظام في الحياة.

---

١ ـ انظر: أنيسة (أجنس) حنانيا: تمهين التعليم وإمكانات تطبيقه في البلدان العربية، مرجع سابق، ص: ٥، ٦.

٢ ـ مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية ـ وثيقة العمل الرئيسية، مرجع سابق، ص: ٤٢، ٤٣.

وقد كشفت الدراسة عن العديد من الأسباب لتلك الأهمية يمكن توضيحها فيما يلي:

- المساعدة في أداء العمل بكفاية.
- يمثل قيمة أساسية ترتبط بالنظام والبعد عن العشوائية.
- يمثل قيمة إيجابية أساسية.
- يساعد على الاستفادة من الوقت واستثماره.
- مواجهة الموقف التعليمي بثقة ويساعد على تجنب المواقف المحرجة.

وفي المقابل فقد أوضحت الدراسة أن البعض لا يرى، أهمية لهذا التخطيط للعديد من الأسباب المتمثلة في:

- يهدر الكثير من الوقت.
- قد تجبر الظروف المدرس على عدم التقيدية.

إضافة إلى أن بعض أصحاب الخبرة من قدامى المعلمين يقل اهتمامهم به ومن ثم فلابد من توفير القناعة لديهم بأهميته باعتباره البديل عن العشوائية والارتجال مهما كانت كفاية المدرس[1]، وكونها أيضا تواكلاً من المدرس وبعداً عن السعي الذي ينادي به ديننا الإسلامي الحنيف.

٢ ـــ الأسئلة:

تحتل الأسئلة مكانة مرموقة في طرق التدريس القديمة والحديثة على السواء، فهي وسيلة تنشيطية مهمة لإشراك الطلاب في استنباط المعلومات من المدرس، وهي الوسيلة المفضلة للمراجعة والتطبيق، ولاستنباط المغزى، وتتعدد أنواعه وتختلف باختلاف الهدف، حيث نجد أن هناك:

---

١ ـ عبدالسميع الديب: مقال بعنوان «جدد عطاءك في التخطيط الدرسي، في مجلة المعلم، العدد ٦١، جمعية المعلمين بالشارقة، أكتوبر، ١٩٩٥، ص: ٢٥.

ـ أسئلة «التمهيد» التي تتخذ كوسيلة لكشف نواحي اهتمام الطلاب وقدراتهم أو معلوماتهم وخبراتهم السابقة.

ـ أسئلة «البحث» وهي لإثارة اهتمام الطلاب وتوجيه اهتمامهم وحثهم على متابعة الدرس، أو توجيههم إلى تحليل مشكلاتهم ووضع خطة العمل.

ـ أسئلة المراجعة وهي لتركيز النقطة المهمة في الدرس وتلخيصه.

ـ أسئلة (التدريب) وهي لتثبيت المعلومات واكساب الطلاب المهارة[1].

وتوضح الدراسة الميدانية إيمان الغالبية في مجتمعي الدراسة بضرورة قيام المدرس بطرح أسئلة في أثناء الشرح ويمثلهم ٢٤ ,٩٨٪ لمجتمع المدرسين مقابل ٩٤٪ لمجتمع المديرين، وقد أكدت المعاملات الإحصائية عدم وجود فروق ذات دلالة معنوية بين المجتمعين، حيث إنه كان ٦١ ,٢ وقد أجمع الخبراء على ضرورة ذلك، بل وأيضاً الربط بين المهارة في تلك الناحية والنجاح في تلك المهام الصعبة.

كما بينت الدراسة أن أهمية ذلك تكمن في:

ـ أن الأسئلة تساعد على توصيل المعلومات وتثبيتها.

ـ تؤدي إلى جذب انتباه الطالب في أثناء الحصة.

ـ تساعد على اكتشاف الفروق الفردية بين الطلاب.

ـ تساعد على تدريب الطلاب على أحد الأساليب الهامة للتقويم.

ـ تساعد المعلم على التعرف على الاستعداد القبلي للتعلم الجديد.

وذلك مع مراعاة ثلاث صفات أساسية وهي:

---

١ ـ انظر:

محمد أحمد عبدالهادي، المربي والتربية الإسلامية، مرجع سابق، ص: ٩٩ ـ ١٠٠.

ولمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى:

ـ خليل أبو حطب، ورقة عمل في مهارة استخدام الأسئلة في التعليم الصفي، في مجلة التربية التي تصدر عن وزارة التربية والتعليم بأبوظبي.

ـ العدالة والتي تمثل قيمة إسلامية هامة تأكيداً لقوله تعالى: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾[1].

ـ ملاءمتها للمستوى الفعلي للطلاب طبقاً للفروق الفردية حيث يخاطبنا المصطفى ﷺ في ذلك بقوله: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم» انطلاقاً من الفروق الفردية التي أوجدها الله سبحانه وتعالى لحكمة دينية في البشر.

ـ تنوعها بحيث تغطي المنهج الدراسي.

٣ ـــ الثواب والعقاب التربوي وقدسية المهنة:

إن الإثابة والعقاب قد حفلا باهتمام كبير من كل من القرآن الكريم والسنة النبوية، لما لهما من أهمية كبرى في مختلف مجالات الحياة، ولاسيما في المجال التربوي، لما له من دور مهم في تكوين الشخصية المسلمة، ولاشك أن ترفق المدرسين بأبنائهم الطلاب، ولاسيما في المواقف التعليمية إنما يعود بآثار إيجابية مفيدة على التحفيز والدافعية وإذا حدث العكس فإنما قد يؤدي ذلك إلى آثار عكسية، تنعكس كلياً على إقبال الطلاب على التعلم وتقبلهم للمدرس ويقول سبحانه وتعالى في محكم آياته، ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[2].

وتؤكد السنة المطهرة على ذلك في كثير من الأحاديث الشريفة حيث نجد مثلاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[3].

وقد كشفت الدراسة الميدانية عن تأثر أغلبية المدرسين بالتربية الإسلامية واتجاهاتها في هذا الصدد حيث نجد أن نسبة ٤٧,٦٧٪ منهم مقابل نسبة ٤٨,٦٪ لمجتمع مديري ومديرات المدارس يرون أن المدرس يعمل على مساعدة الطالب المخطئ ومتابعته

---

١ ـ سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

٢ ـ سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

٣ ـ لمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى: محمود ماهر زيدان، الثواب والعقاب في التربية، تأصيل إسلامي تربوي، مؤسسة الندوة، دبي، ١٩٩٠، ص: ٢٢، ٢٦.

باستمرار من أجل الارتقاء بمستواه التحصيلي وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على البعد عن السلوكيات غير التربوية وغير المتفقة مع الاتجاهات الإسلامية الحقة.

٤ ـــ المناشط التعليمية:

يجمع المهتمون على أن المناشط التعليمية المختلفة تلعب دوراً كبيراً إذا أحسن توجيهها ـ في تحسين العملية التعليمية باعتبارها ضرورة ملحة من ضرورات المدرسة الحديثة، وباعتبارها أداة مهمة لبناء الإنسان المسلم ذي الشخصية المتوازنة التي تستطيع أن تشارك في بناء مجتمعه وتوضح الدراسة اتفاق الغالبية العظمى بنسبة ٩٤,١٢٪ لمجتمع المدرسين مقابل ٨٦٪ لمجتمع المديرين والمديرات على الدور الهام لهذه المناشط.

كما بينوا ضرورة اشتمالها على النوعين الصفي واللاصفي مع أهمية التخطيط لها وإعداد القائمين عليها حتى يمكنها تحقيق أهدافها والمتمثلة في:

- تثبيت المعلومات والأفكار ومن ثم الارتفاع بالمستوى التحصيلي.
- مساعدتها للطلاب على كيفية الاستفادة من الموارد المتاحة.
- مساعدتها على زيادة سرعة العملية التربوية.
- معالجة مشكلة الزيادة الهائلة في المعرفة الإنسانية من خلال الوسائل التعليمية.
- معالجة مشكلة الفروق الفردية بين الطلاب.

ولاشك أن الفائدة المثمرة لاستخدام المناشط من جانب الأغلبية، فإنما يجعلنا نقول إن أي مبررات لعدم استخدامها في هذا الصدد لا تكون مقبولة لأن المدرس الماهر هو الذي يستطيع أن يلائم وقت الحصة فيما يريد تحقيقه واستخدامه. كما أن الجهد المبذول إنما هو واجب مهم في مهنة مقدسة إضافة إلى أنه مهما علت قدرات المدرس ومهاراته، فإن مستوى الطلاب التحصيلي وتفاوتهم فيه إنما يفرض استخدامه لهذه المناشط.

٥ ــ المدرس ودوره مع الطلاب المتأخرين دراسياً والمتفوقين:

تشير الكتابات التربوية إلى أن هناك العديد من المهمات للمدرس، تتلخص في:

أ ـ المهمات ذات الصلة بالاستعداد للتعلم تشمل:

ـ تحديد المتطلبات الأساسية المرتبطة بالموقف التعليمي واللازمة للتعلم الجديد في ضوء إمكانات الطلاب.

ـ اختبار التعلم القبلي اللازم لبلوغ الأهداف المخططة مستخدماً الأساليب والأدوات المناسبة.

ـ اختبار مدى استعداد كل طالب لتعلم الأهداف المنشودة في نطاق المحتوى المقرر والخبرات السابقة للطالب.

ب ـ المهمات ذات الصلة بالطلاب ومستوياتهم وحاجاتهم:

ـ تنظيم التلاميذ في مجموعات عمل في ضوء استعداد كل منهم للتعلم وقدراته واحتياجاته وخبراته.

ـ توفير خبرات التعلم والنشاط والأهداف لكل فرد أو مجموعة ليجعل التقدم نحو النتاجات ممكنا وميسوراً[١].

٦ ــ المدرس وطرق التدريس:

من الضروري للمدرس أن يكون ملماً بطرق التدريس ليستعين بها في عمله، وقد يعمد بعض المدرسين إلى طرق ارتجالية غير منظمة بما يؤدي في النهاية إلى نتائج غير مرضية، لذلك كان من الأفضل أن يكون للتدريس طرق منظمة مدروسة توضح للمدرس من أين يبدأ، وكيف يسير، وإلى أين ينتهي بأقل جهد من جانبه ومن جانب التلاميذ، وبأقل وقت ممكن ونتيجة مضمونة وهناك شروط يمكن من خلالها الحكم على مدى صلاحية الطريقة وهي:

---

١ ـ مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية والدول العربية، وثيقة العمل الرئيسية، مرجع سابق، ص: ٤٠.

ـ أن يكون بمقدور المدرس أن ينفذها ضمن الوقت المحدد للدرس.

ـ أن تكون ملائمة للمستوى النفسي والعقلي للطلاب.

ـ أن يحقق الأهداف التعليمية القريبة والبعيدة التي يهدف إليها المدرس.

ـ أن تكون موافقة لطبيعة المادة التي يدرسها[1].

وتوضح الدراسة الميدانية اتفاق الغالبية على ضرورة سعي المعلم لتنويع اساليب التدريس ويمثل هذا الاتجاه نسبة ٩٨,٢٤٪ لمجتمع المدرسين مقابل ٩٨٪ للمديرين إضافة إلى إجماع الخبراء حيث اتفقوا على مجموعة الأسباب المؤكدة لذلك وهي:

ـ مساعدة الطلاب من الفئات كافة.

ـ التخلص من الرقابة التي قد تعتري المدرس والطلاب عند استخدام اسلوب واحد بصفة مستمرة.

ـ لاستثارة الدافعية لدى الطلاب.

ـ تحقيق الفهم المطلوب.

ـ تعزيز الاستجابات الصحيحة لدى الطلاب.

٧ ـــ الدور التربوي:

في ضوء المتغيرات المستحدثة في سائر أنحاء المجتمع العالمي والاتجاهات والممارسات العالمية الحديثة في التربية، لم يعد دور المدرس مقصوراً على الأعمال التدريسية داخل الفصل، كما يعتقد البعض، ولكنه يتعدى ذلك إلى كثير من الأعمال سواء داخل الصف أم المدرسة أم المجتمع ولا تقل هذه الأعمال أهمية عن أعماله التدريسية، ويقصد بها الأدوار الاجتماعية التي لا تتضمنها المناهج الدراسية، ولكنها متضمنة فيما يطلق عليه المنهج الخفي أو المستتر الذي يشمل أنماط السلوك والاتجاهات والقيم والمعلومات التي يكتسبها الطالب عن نفسه وعن الآخرين وعلاقته

---

١ ـ انظر: محمد أحمد عبدالهادي، المربي والتربية الإسلامية، مرجع سابق، ص: ١١٧ ـ ١١٨.

بهم وعن المجتمع وعناصره[1] والتي يمكن أن نطلق عليها التربية الإسلامية بكل عناصرها.

وقد أكدت الدراسة اتفاق مجتمعي الدراسة ومجموعة الخبراء على أهمية عدم اقتصار المعلم على الشرح فقط أثناء الحصة وذلك:

- لممارسة الدور التربوي.
- الاهتمام بتوجيه الطلاب وغرس القيم الدينية.
- إكساب الطلاب الاتجاهات الاجتماعية المقبولة.
- تدعيم العلاقة مع الطلاب.

٨ ـــ طبيعة المرحلة الدراسية وأداء المدرس:

يتعرض الطلاب إلى تغيرات واسعة في بعض السمات والصفات خلال انتقالهم من مرحلة دراسية إلى أخرى، فإلى جانب التغيرات الجسمية والعقلية التي تحدث، واختلاف الخبرات والمناهج، تحدث تغيرات نفسية على جانب كبير من الأهمية والحساسية، ويتطلب هذا التغير وعياً دائماً وفهماً عميقاً لخصائص طلاب كل مرحلة إضافة إلى معرفة وافية عن أنسب الأساليب التربوية لتعامله.

وقد بينت الدراسة اتفاق الغالبية على أن طبيعة المرحلة تؤثر على أداء المدرس، ويمثل هذا الاتجاه نسبة ٥٩,٤١٪ من المدرسين مقابل نسبة ٨٠٪ للمديرين وتجدر الإشارة إلى أن ذلك يعود إلى تأثر المدرس بخصائص المرحلة العمرية وطبيعة المرحلة الدراسية، ومن ثم إعداده لدروسه وأساليب تنفيذها وطرائق تقويمها ووسائل الاقناع التي يستخدمها في أثناء تعامله وتواصله بهم.

وتتفق هذه النتيجة وما توصلت إليه دراسة بعنوان «كفاءة أداء المعلمين حديثي

---

١ ـ محمد إبراهيم الوليلي، ورقة عمل عن الدور الاجتماعي للمعلم في ندوة الدور المتغير للمعلم بالتعاون مع كلية التربية، جامعة الإمارات، مجلة التربية، العدد (١٢٦ ـ ١٢٨) مارس، أبريل، مايو، ١٩٩٥، ص:١٨.

الخبرة في مدينة عدن»[1] .

ولاشك أن التخصص مطلوب في مهنة التدريس، حتى يستطيع المدرس أن يعي جيداً ما يجب أن يقوم به حيال المرحلة التي يعمل فيها، لتتراكم خبراته، ويستطيع أن يرتفع بمستوى أدائه وهو ما تأخذ به دولة الإمارات، فلرياض الأطفال معلمته الخاصة والمعدة لتعامله، وكذلك الأمر بالنسبة للمرحلة التأسيسية [مدرس فصل] وللمرحلة الابتدائية العليا مدرسوها من حملة الدبلوم المتوسط على الأقل. أما المرحلتان الإعدادية والثانوية فلهما مدرسوهما المعدون والمؤهلون بالدرجة الجامعية على الأقل.

ولاشك أن شخصية المدرس وتمكنه ثم طبيعة إعداده وكذلك إعداده المستمر في أثناء العمل وسماته واتجاهاته تجعلنا نقول: إن ذلك يكتمل ويزداد تأثيراً إذا ما وظف في المرحلة الدراسية الملائمة، حيث إن البشر ليسوا حقلاً للتجارب، فلا ننتظر مثلاً للإعداد في أثناء العمل أو غير ذلك حتى يمكن أن يقوم المدرس بدوره المنوط به، ومن ثم تأتي العملية التعليمية بثمارها المرجوة.

٩ ــــ المدرس القدوة والمثل الأعلى:

إن ما طرح سابقاً بشأن الخصائص والصفات التي يجب توافرها في المدرس، إنما تعبر حقيقة عن اهتمام متزايد تجاه تلك المهن ذات الخطورة على النشء، ولاسيما مهنة التدريس التي قربت درجة العاملين بها إلى درجة الرسل وجعل عملهم رسالة مقدسة وأمانة غالية، فهم لا يعلمون الدروس فقط، وإنما يغرسون القيم والاتجاهات المدعمة بسلوكاتهم المقبولة التي تمثل قدوة لأبنائنا الطلاب وقد أكدت العديد من الدراسات الأمريكية على هذا الصدد[2] . وعلى ضرورة أن تتوافق السلوكات والتوجهات حتى لا يحدث التناقض الوجداني، فالتربية تكون بالقول والعمل، ولم ينجح المصطفى ﷺ

---

١ ـ ماهر فاضل القبيسي، مهدي حسين: كفاءة أداء المعلمين حديثي الخبرة في مدينة عدن من وجهة نظر الموجهين الفنيين، دراسة سابقة.

٢ ـ محمد مصطفى زيدان، الكفاية الإنتاجية للمدرس، مرجع سابق، ص: ٧١.

ولمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى:

دينيس تشايلد، ترجمة عبدالحليم محمود وآخرين، علم النفس والمعلم، مرجع سابق، ص: ١١٣ ـ ١١٤.

المعلم المربي الأول إلا بأسلوب تمثل فيه القيم سلوكاً عملياً يسبق إليه بنفسه قبل أن يطالب به المسلمين. ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[1].

وإذا كانت هناك مجموعة كبيرة من التغيرات، قد ساعدت على إحداث تأثيرات ملموسة على سائر التنظيمات المجتمعية التي من بينها التنظيمات المدرسية، فإن هناك العديد من علامات الاستفهام، أصبحت تثار حول المدرس ودوره كقدوة ومثل أعلى لسلوك أبنائنا. وإذا كان هناك تأثير قد حدث في ذلك الصدد نتيجة العديد من المتغيرات التي يرتبط بعضها بالأسرة وبعضها الآخر بالمدرسين ذاتهم، فإن التعميم يكون صعباً في هذه الحالة، حيث مازال من يحتفظ برونقه كقدوة علماً وسلوكاً، أما بعضهم الآخر فيحتاج إلى جهوده وجهود المجتمع ومؤسساته بما فيها الأسرة إلى إعادة تلك القدوة المفقودة، وحتى يمكن أن يقال وبحق: إن المدرس مازال وسوف يظل يمثل القدوة والمثل الأعلى.

وقد بينت الدراسة الميدانية اتفاق الغالبية، سواء بين المدرسين أو المديرين أو الخبراء على أن المعلم القدوة يجب أن يتسم بما يلي:

- احترامه لذاته وطلابه.
- التعاون مع الطلاب.
- الحرص على الوقت والاستفادة منه.
- التحلي بالصدق والموضوعية.
- أن تكون لديه الرغبة في المساعدة.
- الالتزام والانضباط.
- الاعتناء الدائم بالمظهر أو ما يسمى بالمظهر التربوي.

---

١ ـ سورة الصف، الآيتان ٢ ـ ٣.

ثانياً: الكفايات التقويمية

تعد الكفايات التقويمية من أهم مناشط العملية التعليمية وأكثرها ارتباطاً بالتطوير التربوي، فهي الوسيلة التي تمكننا من الحكم على فعالية عملية التعليم بعناصرها ومقوماتها المختلفة هدفاً ومنهجاً وكتاباً وطريقةً، وما وضع لهذا كله من فلسفة، وما رسم له من أهداف، لنعرف مدى ملاءمته لمستويات نمو الطلاب ولطبيعة المادة الدراسية وخصائص المجتمع وقيمه ومثله، وهكذا يلعب التقويم دوراً أساسياً في تقديم معلومات دقيقة إلى القيادات التربوية عن مدى فعالية العملية ككل، حتى تتمكن هذه القيادات من إصدار قراراتها ومن تعديل استراتيجياتها الخاصة بالتحسين والتجديد والتطوير في النظام التعليمي، كما نتمكن من رسم الخطوط العملية لمنفذي هذه القرارات ولمن توجه العملية التعليمية لخدمتهم من الطلاب.

ويستخدم التقويم في هذه الحالة كمعزز للسلوك التعليمي الفعال من ناحية، ولدعم الاستجابات الناجحة للتلاميذ من ناحية أخرى، فالطالب يحتاج أن يعرف حكمنا على تقدمه في تحقيق الأهداف التعليمية التي يرجى تحقيقها كما يحتاج المدرس أن يعرف مدى فعاليته، ولاسيما في مساعدة تلاميذه على تحقيق تلك الأهداف. أما مدير المدرسة فيمكنه من خلال المعلومات التنوعية أن يقف على مدى نجاح المدرسة في توفير المناخ التعليمي الصالح [1].

وعلى ذلك فإن الكفايات المرتبطة بالتقويم تتمثل في:

---

١ ـ محمود رشدي خاطر، طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية، مرجع سابق، ص: ٤٤٧.

ولمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى:

ـ دينيس تشايلد، ترجمة عبدالحليم محمود وآخرين: علم النفس والمعلم، مرجع سابق، ص: ٣٠٨ـ٣١٠.

ـ سامي عبدالرزاق عدوان، علي حسن حبايب: الكفايات المهنية للمعلم العربي في القرن الحادي والعشرين من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية، مرجع سابق، ص: ١٨.

ـ المعرفة بأساليب وأشكال التقويم المرحلي والختامي لقياس تعلم الطلاب ومدى تحقيق الأهداف.

ـ المقدرة على بناء وسائل تقويم مختلفة تناسب طبيعة أهداف التعلم والخصائص النمائية للطلاب.

ـ المقدرة على بناء اختبارات تشخيصية للكشف عما يعرفه وما لا يعرفه الطلاب.

ـ المقدرة على بناء اختبارات تحصيلية مناسبة وتطبيقها وتحليل نتائجها للوقوف على مستوى أداء الطلاب، وتحديد المفاهيم والمهارات التي ارتبطت بمستويات أدائيه متدنية، ومن ثم توظيف نتائج تحليل الاختبار في التعليم.

وقد أكدت دراسة الواقع الميداني أهمية مثل هذه الكفايات والتعامل مع ديننا الإسلامي الحنيف، وما يشمله من قيم نبيلة ومبادئ سامية، تتمثل في تحقيق الأمانة والصدق والموضوعية ومراعاة ظروف الطلاب وحالتهم النفسية.

وهنا لابد من التأكيد على أن كل هذه الأسباب تندرج تحت القيم والاتجاهات الإسلامية الحقة والمرتبطة بالعدل والمساواة، وقد كان هناك العديد من الآيات تحث المسلم على ذلك ولاسيما عندما يكون في موقف الحكم، مثل المدرس، حيث نجد المولى عز وجل يقول في بعض آياته: ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾[1]، كما يقول أيضاً: ﴿وأفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾[2]، كما يقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾[3].

وهكذا ونظراً لصعوبة المهمة فإنه يفضل التنويع في استخدام هذه الأساليب من أجل الوصول إلى التقويم العادل الموضوعي.

---

١ ـ سورة الأنعام، الآية ١٥٢.

٢ ـ سورة الأعراف، الآية ٨٥.

٣ ـ سورة الرحمن، الآية ٨.

١ ـــ الجوانب التحصيلية إحدى المحطات التقويمية:

من بين ما يسعى المدرس إلى تحقيقه من أهداف، إثارة اهتمام الطلاب لاكتساب المعارف وفهمها وتطبيقها، وبالتالي فإنه من المقبول أن يحاول المدرس معرفة مدى ما تحقق من هذا الهدف، ولذا فإن تقويم التحصيل يمثل أحد الأهداف الأساسية لاستخدام الامتحانات، وهذا التقويم يعد أمراً طبيعياً، ولكن في مفهوم المدرسة الحديثة فإن الاقتصار على الجوانب التحصيلية فقط إنما يعد أمراً قاصراً، فهناك العديد من الجوانب والاتجاهات التي لابد أن تخضع للتقويم[١].

ومن هذا المنطلق بينت نتائج دراسة الواقع الميداني ضرورة عدم اقتصار التقويم على الجوانب التحصيلية فقط لأنها لا تستطيع قياس الأهداف المهارية الأدائية والأهداف الانفعالية التي تتضمن القيم والاتجاهات. وهنا لابد من الإشارة إلى أنه حتى الامتحانات التي تقيس الجوانب التحصيلية تتعرض لمزيد من النقد في الثبات والصدق وإمكان المقارنة، إضافة إلى أن الاقتصار على تقويم الجوانب التحصيلية أمر غير مجد لا يتفق والنظرة الحديثة إلى المدرسة ودورها في غرس وتعليم التربية الإسلامية فكراً وسلوكاً.

٢ ـــ تقويم المدرس لذاته:

إن تقويم المسلم لذاته من الأمور الحياتية الهامة التي حث عليها ديننا الإسلامي من أجل الوصول إلى الإنسان الخير والمجتمع المتكامل.

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لعموم المسلمين، فإنه قد يزداد أهمية للمهن التي تعمل في إعداد النشء ورعايته، ولعل مجتمع المدرسين يقع في مصاف هذه المهن. ومن هذا المنطلق فإن التقويم بالنسبة للمدرس يمتد ويتسع ليشمل ذاته، ولا يقتصر فقط على الطلاب، وذلك من أجل التحسين المستمر الذي ينعكس إيجابياً على الكفاية المهنية، ومن ثم على العائد والمردود التربوي.

---

١ ـ انظر: دينيس تشايلد، ترجمة عبدالحليم محمود، علم النفس والمعلم، مرجع سابق، ص: ٢٩٢-٢٩٣.

وقد أكدت دراسة الواقع اتفاق الغالبية في مجتمع المدرسين والمديرين بنسبة ٢٩ , ٩٥٪ مقابل ٩٦٪ للمديرين على قيام المعلم بذلك للعديد من المبررات نذكر أهمها فيما يلي:

- إدراك المدرسين أن الكمال من سمات الله فقط.
- للتعرف على مواطن الضعف ومعالجتها.
- لتحقيق الفائدة المستمرة للطلاب.

وإذا كان تقويم ذات المدرس لا يقف عند معرفة مواطن الضعف، وإنما تقتضي التربية الإسلامية العمل على معالجتها بما يساعد دائماً على الارتقاء بالمستوى المهني للمدرس، ومن ثم النهوض بالعمل التربوي في الدولة.

ثالثاً: الكفايات المتعلقة بالعلاقات الإنسانية

ينظر الباحثون والمهتمون إلى التنظيم المدرسي باعتباره مجتمعاً تتوافر له الخصائص والسمات المجتمعية كافة، تتحدد قوته وتأثيره بمدى تماسكه وقوة العلاقات الإنسانية التي تشمل المحبة والتقدير والعدالة... إلخ، تكون أكثر نشاطاً وفعالية وقدرة على تحقيق الأهداف التربوية المدرسية التي يمكن تلخيصها في عبارة واحدة هي: إعداد المواطن المسلم الصالح الذي يعرف ما له وما عليه[1].

ومن أجل إلقاء الضوء على كفايات المدرس المتعلقة بالعلاقات الإنسانية من خلال التطرق إلى الواقع العملي نتناول النقاط التالية:

١ ـــ أهمية توافر العلاقات والتفاعل الإيجابي بين عناصر المجتمع المدرسي:

وتوضح دراسة الواقع الميداني اتفاق الغالبية بين المدرسين والمديرين وإجماع الخبراء على ضرورة توافر العلاقات والتفاعل الإيجابي بين عناصر المجتمع المدرسي، وامتداد ذلك ليشمل المؤسسات المجتمعية كافة، وعلى رأسها الأسرة، وذلك للعديد من الأسباب نذكرها في التالي:

- انعكاس ذلك على أداء المدرسين داخل الصف وكذلك على تعاونهم.
- ارتفاع الروح المعنوية لهم بما يساعد على ارتفاع مستوى الأداء.
- إضافة إلى التزام الطلاب وغرس قيمة التقدير لديهم، مع ملاحظة أن هذا السبب يبرز بشكل أكبر لدى مجتمع المدرسين لعلاقتهم المباشرة بالطلاب.

٢ ـــ الواقع الفعلي لاهتمام المجتمع المدرسي بدعم العلاقات:

وتبين الدراسة الميدانية اتفاق الغالبية من مجتمعي الدراسة على اهتمام المدارس بتدعيم العلاقات بين عناصرها، متخذة في ذلك أساليب متعددة مختلفة في أهميتها،

---

١ ـ قارن: محمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٨١، ص: ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

فيرى مديرو المدارس على سبيل المثال الأساليب المرتبطة بهم كالعدالة والديمقراطية، إضافة إلى الرحلات الترفيهية، أما المدرسون فيرون عدالة الإدارة وصندوق الزمالة، إضافة إلى وجود أسلوب مهم كان قاسماً مشتركاً وأولياً لاهتمام المديرين والمدرسين وهو التعاون في المناسبات من منطلق تحقيق الاستقرار النفسي الذي يأتي من جراء المناخ الاجتماعي القائم على الود والأخوة بين أبناء المجتمع الإسلامي.

٣ ـــ دور المدرس في تدعيم العلاقات وتحقيق التفاعل الإيجابي:

تؤكد الاتجاهات النظرية على ضرورة توافر المهارة والكفاية الخاصة بتدعيم العلاقات وتحقيق التفاعل الإيجابي، وذلك من خلال قيامه بالآتي:

ـ المعرفة بالنظام التربوي وتطويره والمشكلات الأساسية المطروحة وتلك التي يعاني منها.

ـ المقدرة على تكوين علاقات إنسانية فاعلة مع الزملاء من المدرسين والمشرفين والإداريين وبما يسهل من وظيفة المدرسة وتعلم الطلاب.

ـ المقدرة على التعاون بفاعلية مع الآباء والأمهات، لاطلاعهم على تقدم أبنائهم وحشد تأييدهم لجهوده التعليمية وزيادة انخراطهم في الأمور ذات الصلة بتعليم أبنائهم.

ـ المقدرة على الاتصال والتواصل مع أعضاء المجتمع المحلي لاستقطاب اهتمامهم وانخراطهم بنشاط المدرسة.

ـ المقدرة على ربط التعليم ومضامينه بالمحيط الثقافي والاجتماعي[١].

وبالتطرق إلى الواقع العملي، نجد أن هناك توافقاً بين ما طرح سابقاً، وما أكدته الأغلبية من مجتمعي الدراسة محددين أهم أدوار المدرس المتعلقة بتدعيم العلاقات وهي:

---

١ ـ مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، وثيقة العمل الرئيسية، مرجع سابق، ص ٤٤.

- تعاونه مع زملائه.

- تقبله للنقد وتعديل ذاته.

- تقديره واحترامه للنظام المدرسي.

- تحمله للمسؤولية.

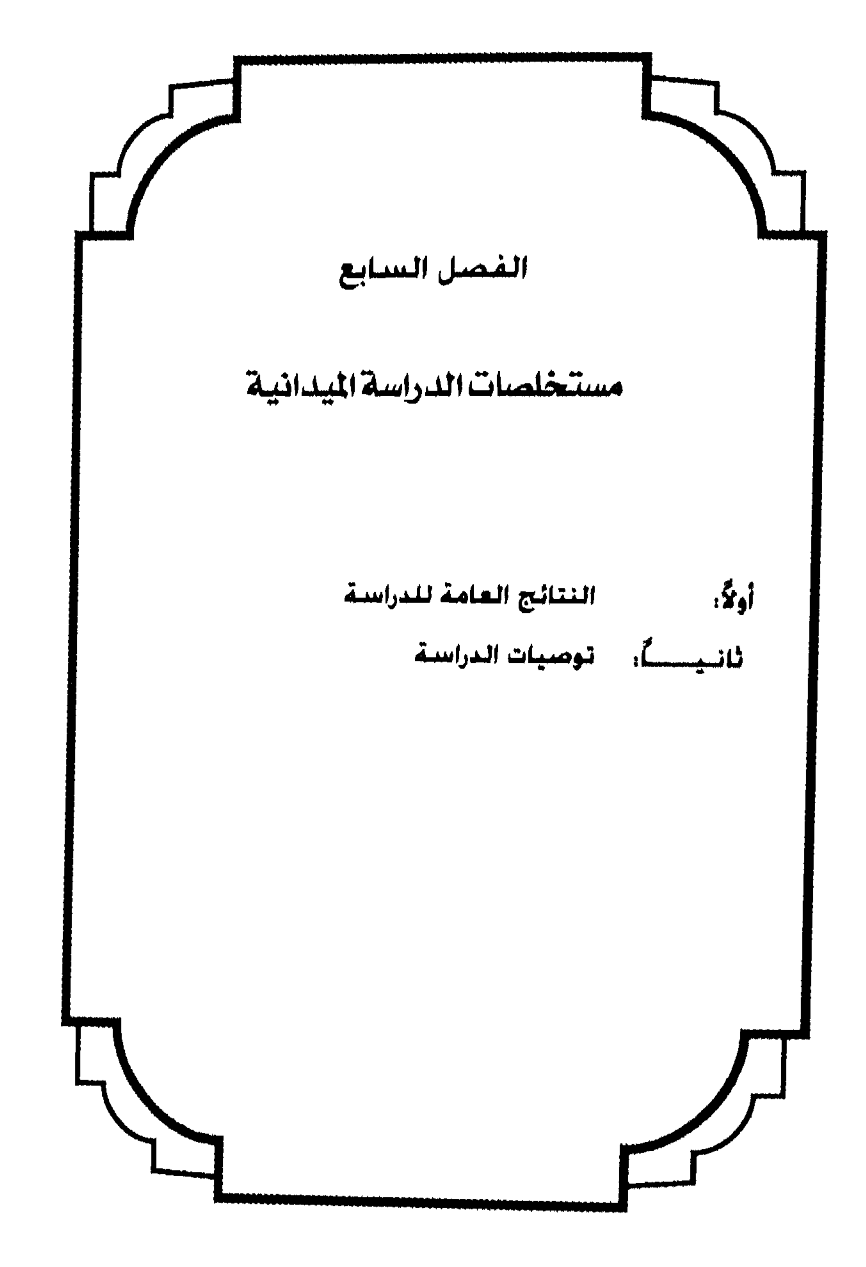
- المشاركة بفاعلية في الأنشطة.

- تقديره لأبنائه الطلاب.

كما أجمعت الغالبية على أن تصرف المدرس، إذا حدث خلاف بينه وبين أحد زملائه ينحصر في إعلاء قيمة التسامح والمبادرة بالاعتذار وعدم اللجوء إلى تصعيد الموقف، وهي بلاشك تصرفات تنطلق من القيم والمبادئ الإسلامية السمحة، عملاً بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾[1].

---

١ ـ سورة آل عمران، الآية ١٣٤.



الفصل السابع

مستخلصات الدراسة الميدانية

أولاً: النتائج العامة للدراسة

ثانيـــاً: توصيات الدراسة

أولاً ـ النتائج العامة للدراسة

وأخيراً وليس آخراً، لابد من الإشارة إلى نقاط تمثل في مضمونها سمات لواقع مجتمعي معاش على صعيد التربية الإسلامية وكفاءة الأداء في المجال التربوي، كما تمثل نتائج مستخلصة عن هذا الواقع أتت في ضوء دراسات وأبحاث، ارتكزت على شواهد ميدانية ملموسة، وعلى تحليلات نظرية منطقية، ولعل أبرز هذه النتائج:

النتائج المتعلقة بالخصائص الديمغرافية والاجتماعية:

١ ـ أن الأغلبية من المدرسين تقع في المرحلة العمرية (٣٠ ـ ٤٥)، لأنه في الأغلب الأعم يتم تفضيل عامل الخبرة والشباب في ذات الوقت في العاملين في المجال التعليمي والتربوي من أجل مزيد من الدينامية والعطاء، وما يؤكد ذلك أن خبرة الأغلبية تزيد على عشرة أعوام داخل الدولة أقل من خمسة خارجها.

٢ ـ هناك مؤشر طيب يوضح اهتمام الدولة بتعليم أبنائها وفق منهجٍ يتسم بتوحيد الرؤية بشأن النهج الإسلامي في ضوء فلسفة الدولة، وذلك من خلال تشجيع أبنائها للعمل في هذا المجال وحمل رسالته السامية، حيث أصبح وجودهم يقترب من النصف بالنسبة لمجموع العاملين في المجال التربوي بها.

٣ ـ غالبية المدرسين من الحاصلين على المؤهل الجامعي بما يوضح الاتجاه لرفع مستوى الأداء داخل هذا المجال لخطورته وأهميته، باعتباره يمثل البوتقة التي يتم من خلالها إمداد أبناء المجتمع المسلم وفق النهج الإسلامي، وفي ذات الوقت إعداده للالتحاق بسوق العمل، كما كشفت النتائج أن الأغلبية منهم قد حصلوا على مؤهلاتهم الجامعية قبل الالتحاق بالخدمة.

٤ ـ الغالبية من العاملين في هذا المجال المهمّ من خريجي كليات غير التربية، ويعد هذا مؤشراً مهماً يتطلب مزيداً من الصقل من خلال الدورات التدريبية التي



تعنى بالمهامّ التربوية التي توضح أهم الأساليب المساعدة في تربية الطلاب تربية إسلامية قوامها السلوك القويم والقدوة الحسنة وغيرها من الصفات الإيجابية التي تتواءم وطبيعة المجال الذي يعنى بصناعة الإنسان المسلم.

٥ ـ الأغلبية من مديري المدارس تقع في المرحلة العمرية (٣٠ ـ ٤٠) بما يؤكد من سياسة الدولة وانتهاجها النهج الإسلامي في إثابة المجتهدين في مجالات العمل بها والتي من بينها المجال التعليمي، حيث جعلت سلم الترقي متاحاً أمام ذوي الجدارة بغض النظر عن المستوى العمري.

٦ ـ الأغلبية من مديري المدارس من أبنائها بما يؤكد نجاح سياستها، ولضمان توحيد نهجها التربوي النابع من فلسفتها الإسلامية.

٧ ـ الأغلبية من غير خريجي كليات التربية ولا شك أن سعي هؤلاء المديرين للتزود بالمؤهلات التربوية العليا في أثناء الخدمة، إنما قد يعوض كثيراً من النواحي والمهام التربوية التي كانت مفتقدة من قبل.

النتائج المتعلقة بالاستعداد المهني أحد دعامات النجاح في أداء العمل:

٨ ـ أهمية توافر الاستعداد المهني للعمل بمهنة التدريس كتأكيد لاعتباره مطلباً شرعياً فطرياً التزم به ديننا الإسلامي الحنيف سواء في اختيار يوسف عليه السلام لتولي المسؤولية الانتقالية أو اختيار المصطفى ﷺ لهداية البشرية.

٩ ـ أغلبية المدرسين قد توافرت لديهم الرغبة للعمل بمهنة التدريس قبل الالتحاق بها، وذلك للاقتداء برسول الله ﷺ، وقيام المهنة بطريقة مباشرة بتربية أبناء المجتمع واعتبارها ضمن المهن السامية، وتولد الشعور بالرضا من ممارستها باعتبارها أقرب المهن إلى القلب والعقل والوجدان.

١٠ ـ اختلاف وجهات النظر بين المدرسين ومديري المدارس بشأن ترك المهنة للانتقال إلى عمل آخر بالمزايا نفسها، بينما أكدت الأغلبية من المدرسين على التمسك

والانتماء للمهنة، نتيجة أنه من خلالها يمكن خدمة المجتمع ورعاية أبنائه واتفاق التربية ومبادئ تلك المهنة، ومساعدتها على إرضاء الضمير، فقد كان لمديري المدارس رأي معاكس للعديد من الأسباب، من أهمها عدم وجود التقدير المجتمعي الذي تستحقه، باعتبارها تتشابه ورسالات الرسل صلوات الله عليهم، إضافة إلى كونها مهنة شاقة وعطاء المدرس من خلالها لا يقدر ومن ثم تنخفض معنويات العاملين بها.

١١ - اتفاق أغلبية المدرسين ومديري المدارس والخبراء على أن هناك مجموعة من الصفات يجب توافرها في المدرس كلها تنبثق من التعاليم الإسلامية مثل الأمانة والصبر واحترام الذات والرغبة في الخدمة والنظام والطموح والموضوعية والرحمة والاستفادة من الوقت، إضافة إلى قوة الشخصية ووضوح الصوت وسلامة النطق والمظهر الملائم والإلمام بثقافة الدولة وتراثها.

١٢ - اتفاق أغلبية المدرسين ومديري المدارس والخبراء على أن المقابلة هي أكثر الأساليب استخداما في اختيار المدرسين، يليها الامتحان الشفهي فالامتحان الكتابي كما أوضحت اتفاقهم على أن هذه الاساليب تتوافر لها الكفاية للعديد من الأسباب، أهمها اتاحة الفرصة للكشف عن المواصفات التي تتلاءم وطبيعة المهنة. وعلى الجانب الآخر فقد كان هناك بعض المآخذ على بعضها ولاسيما بالنسبة للمقابلة لحاجتها لمزيد من التقنين.

١٣ - أوضحت نتائج الدراسة اتفاق أغلبية المدرسين ومديري المدارس واجماع الخبراء على أن هناك بعض المدرسين الاكفاء الذين قد يتخطاهم الاختيار، وذلك للعديد من الأسباب أهمها: عدم اعتبار المستوى المهني شريطة الالتحاق بالمهنة، فهناك القيم والاتجاهات الإسلامية بجانب سلامة الشخصية واتزانها، باعتبار أن مجتمع الإمارات مجتمع مسلم يؤمن بأن دور المؤسسات التعليمية يتمثل في نقل المعلومات والعقائد إلى عقول المؤمنين وقلبهم لتطبيقها في سلوكهم وحياتهم.

١٤ ـ هناك اتفاق بين أغلبية المدرسين ومديري المدارس وإجماع الخبراء على ضرورة الاستمرار في هذه الأساليب لتوفير عامل الانتقاء للمتقدمين للالتحاق بالمهنة وذلك للعديد من الأسباب أهمها أمانة المهنة وتأثير شاغليها بطريقة مباشرة على أبناء المجتمع، إضافة إلى طبيعة المسؤولية المتعلقة بالمهنة، ونظرة المجتمع المسلم إلى قدسيتها، باعتبارها رسالة تقترب من رسالات الرسل صلوات الله عليهم.

١٥ ـ اتفاق أغلبية المدرسين ومديري المدارس وإجماع الخبراء على أهمية التدريب في أثناء الخدمة ومساعدته على تحقيق الكفاية المهنية للمدرس، وذلك للعديد من الأسباب اختلفت في معيار أهميتها، حيث يرى المدرسون دور التدريب في أثناء الخدمة في الاطلاع على الاتجاهات التربوية في طرق التدريس، وتبادل الفكر والرأي من خلال الالتقاء بالزملاء، ومعرفة المستجدات الحديثة، بينما يبرز المديرون أهمية دورها في تنمية المهارات البحثية وانعاش الأفكار والمعلومات بصفة مستمرة شريطة تضمنها للجوانب العملية التطبيقية.

١٦ ـ اتفاق أغلبية المدرسين ومديري المدارس على حرص المدرس على حضور مثل تلك الفعاليات التدريبية، إضافة إلى حرصه على تطوير أدائه من خلال الاعتماد على نفسه، وذلك من خلال الاطلاع على المراجع الحديثة في مادة التخصص، الالتقاء بالزملاء ومحاورتهم والقيام بالبحوث والدراسات العملية، مع ملاحظة أن هذه الفعالية تبرز بشدة لدى مجتمع المديرين، وكذلك اللجوء إلى التوجيه الفني المختص.

١٧ ـ اتفاق أغلبية المدرسين والمديرين على أن ترتيب أهم الأساليب المستخدمة في التدريب في أثناء الخدمة التي كان الفيصل في تحديد مكانتها، مدى اقترانها بالإجراءات التطبيقية ولعل أهمها الدورات التدريبية والمشاغل، ثم تبادل الزيارات والدروس النموذجية، تليهما الحلقات النقاشية.

النتائج المتعلقة بالتربية الإسلامية والحرص على أداء العمل بكفاية:

(أ) الكفايات التدريسية:

١٨ ـ هناك التزام بأحد المبادئ المهمة للعمل، وهو التخطيط المسبق، حيث كانت استجابة الأغلبية من المدرسين والمديرين وإجماع الخبراء تشير إلى أهمية قيام المدرس بذلك في أثناء عمله وذلك للعديد من الأسباب المرتبطة بالنهج الإسلامي، والثابت في العديد من المواضع، سواء بالقرآن المجيد أو الحديث الشريف، وهي أنه يمثل قيمة أساسية ترتبط بالنظام والبعد عن العشوائية، كما أنه يساعد على الاستفادة من الوقت واستثماره، إضافة إلى سبب آخر عبر عنه مجموعة الخبراء وهو مساعدته على مواجهة الموقف التعليمي بثقة.

١٩ ـ التزام المدرسين في عملهم بنهج المصطفى ﷺ والمرتبط بقوله: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم» حيث أشار أغلبية المدرسين والمديرين ومجموع الخبراء إلى ضرورة قيام المدرس بطرح الأسئلة في أثناء الشرح، وذلك للعديد من الأسباب من أهمها المساعدة في توصيل المعلومات وتثبيتها، وجذب الطلاب في أثناء الحصة، واكتشاف الفروق الفردية مع ضرورة مراعاة العدالة في توزيعها وتنوعها كي ينوع المدرس جهده وإخلاصه في العمل.

٢٠ ـ اتفاق أغلبية المدرسين ومديري المدارس على تأثر المدرسين بالتربية الإسلامية واتجاهاتها في معاملتهم للطالب المخطئ، حيث ينحصر الأسلوب في مساعدته، وكذلك متابعته باستمرار من أجل الارتفاع بمستواه التحصيلي إيماناً بالفروق الفردية والمعاملة الحسنة لهؤلاء الطلاب.

٢١ ـ اتفاق أغلبية المدرسين ومديري المدارس والخبراء على أهمية تحقيق التوازن النفسي والخلقي والديني للطالب من خلال التزام المدرسين باستخدام المناشط التعليمية المختلفة، وضرورة تكاملها وثنائيتها أي اشتمالها على الجانب الصفي واللاصفي، مبرهنين على ذلك بالعديد من الأسباب أهمها: دورها في تثبيت المعلومات والأفكار، مشاركتها في الارتفاع بالمستوى التحصيلي،

مساعدتها للطلاب على كيفية الاستفادة من المواد المتاحة، إضافة إلى مساعدتها في الإسراع بالعملية التربوية ومراعاتها للفروق الفردية بين الطلاب.

٢٢ ـ هناك بعض الأمور التربوية المتعلقة بالنهج الإسلامي التي تحتاج إلى تدعيم، حيث اختلفت وجهات النظر بين المدرسين والمديرين. وتؤكد الفئة الأولى على عدم شعورهم بالضيق عندما يجد بعض الطلاب صعوبة في الفهم نتيجة إدراكهم أن هناك فروقاً فردية بين البشر عموماً لحكمة الخالق عز وجل، وأن أمانة المهنة تتطلب بذل الجهد، إضافة إلى أن مراعاة هؤلاء تتفق واتجاهاتنا وتربيتنا الدينية وكذلك مراعاة الموضوعية، بينما تؤكد الفئة الثانية شعور المدرسين بالضيق نتيجة الجهد المضاعف الذي يبذله المدرسون معهم وإضاعتهم الكثير من الوقت، إضافة إلى شعور المدرس بأن ذلك ناتج عن تكاسلهم.

٢٣ ـ اتفاق مسلك أغلبية المدرسين وما يحمله مفهوم العمل في الإسلام بشأن مشروعية الطموح وتعزيز الإثابة حيث يقول المولى عز وجل: ﴿فأوفوا الكيل بالميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾[1]، كما يقول سبحانه: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم﴾[2]، حيث يؤكد أغلبية المدرسين والمديرين ومجموعة الخبراء على أهمية وضع برامج خاصة للطلاب المتفوقين لمساعدتهم في الاستمرار في التفوق.

٢٤ ـ اتفاق أغلبية المدرسين ومديري المدارس والخبراء على ضرورة عدم تركيز المدرس على الشرح فقط في أثناء الحصة، وذلك لأهمية استخدام الدور التربوي، واكساب الطلاب القيم الدينية والاتجاهات الاجتماعية المقبولة، ودعم العلاقات والطلاب من أجل قيام المدرسة بدورها كوسيط هام من وسائط التربية الإسلامية في المجتمع.

---

١ ـ سورة الأعراف، الآية ٨٥.

٢ ـ سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

٢٥ ـ هناك بعض المؤثرات التي قد أثرت على منزلة بعض الأعمال، حيث أكدت أغلبية مديري المدارس على أن المدرس لم يعد يمثل القدوة والمثل الأعلى، وكذلك الأمر بالنسبة للخبراء بينما نجد أن أغلبية المدرسين ترى عكس ذلك، ولاشك أن هذا السلم القيمي يرتبط في جوهره بالتربية الإسلامية والتي تحتاج إلى مزيد من التركيز حتى تتواءم وما جاء بشأن مفهوم العمل في الإسلام.

(ب) الكفايات التقويمية:

٢٦ ـ كشفت نتائج الدراسة عن التزام المدرسين بتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص أمام جميع الطلاب للوصول إلى أكبر قدر من الأمانة والصدق من خلال استخدامهم للأساليب المتاحة لتقويمهم، وذلك عملاً بقول المولى عز وجل في محكم آياته: ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾[1]، وكذلك قوله جل شأنه: ﴿فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾[2].

٢٧ ـ اتفاق أغلبية المدرسين ومديري المدارس، واجماع الخبراء على ضرورة الاهتمام بالقيم الإسلامية والاتجاهات الإيجابية والسلوكات المقبولة، وذلك من خلال إدراجها في بنود تقويم الطلاب وعدم الاقتصار على الجوانب التحصيلية فقط، والذي لا يتفق في جوهره والنظرة الحديثة إلى المدرسة ودورها المهم في غرس التربية الإسلامية وتعليمها فكراً وسلوكاً وما يحمله جوهر عمل المدرس باعتباره صاحب رسالة.

٢٨ ـ اتفاق أغلبية المدرسين ومديري المدارس على اهتمام المدرس بتقويم ذاته من آن لآخر، وذلك للعديد من الأسباب، لعل من أهمها: إدراكه أن الكمال من سمات الله فقط، ولتعرف مواطن الضعف ومعالجتها، وذلك لتحقيق الفائدة المستمرة للطلاب، كما أوضحت النتائج اتفاق أغلبية المديرين على أن التربية

---

١ ـ سورة الأنعام، الآية ١٥٢.

٢ ـ سورة الأعراف، الآية ٨٥.



الإسلامية للمدرس تجعله حريصاً بصفة مستمرة على نموه المهني.

٢٩ ـ اتفاق الأغلبية من المدرسين ومديري المدارس، وإجماع الخبراء على أهمية تهيئة بيئة العمل من خلال توافر العلاقات والتفاعل الإيجابي بين عناصر المجتمع المدرسي، وذلك للعديد من الأسباب أهمها: انعكاس ذلك على أداء المدرسين داخل الصف، وعلى تعاونهم وارتفاع الروح المعنوية لهم بما ينعكس على ارتقاء مستوى الأداء، إضافة إلى التزام الطلاب وغرس قيمة تقدير الآخرين لديهم وملاحظة أن السبب الأخير يبرز بشدة لدى مجتمع المدرسين بحكم تعاملهم المباشر مع طلابهم.

٣٠ ـ اتفاق أغلبية المدرسين ومديري المدارس على اهتمام المجتمعات المسلمة «الشارقة على سبيل المثال» بتدعيم العلاقات بين عناصرها متخذة في ذلك العديد من الأسباب، وكلها ترتبط بالقيم الإسلامية، وتنطوي على التضامن، مثل العدالة والديمقراطية والرحلات الترفيهية وصندوق الزمالة والتعاون في المناسبات، من منطلق التكافل الاجتماعي الذي ينادي به الدين الإسلامي.

٣١ ـ اتفاق الأغلبية من المدرسين ومديري المدارس على أن للقائم بالعمل دوراً في تدعيم العلاقات وتحقيق التفاعل الإيجابي، وذلك من خلال التزامه بتعليمات دينه مثل التعاون، وتقبله للنقد، وتعديل ذاته، وتقديره لنظام العمل، وتحمله للمسؤولية، ومشاركته بفاعلية في الأنشطة، وحبه لعمله.

٣٢ ـ اتفاق أغلبية المدرسين ومديري المدارس على أن تصرف المدرس إذا حدث خلاف بينه وبين أحد زملائه ينحصر في إعلاء قيمة التسامح، والمبادرة بالاعتذار، وعدم اللجوء إلى تصعيد الموقف. ولاشك أن ذلك يوضح مدى التأثر بالقيم الإسلامية عملاً بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾[1].

---

١ ـ سورة آل عمران، الآية ١٣٤.

ثانياً ـ توصيات الدراسة

في ضوء ما سبق طرحه من نتائج نسوق التوصيات الآتية:

١ ـ أن مراجعة مناهج التربية الإسلامية في المراحل الدراسية المختلفة نجد أنها تهتم بإعلاء قيمة العمل في الإسلام من خلال ببعض الموضوعات التي تتسم بالعمومية، مثل تقديره للعمل النافع، وتحليل موقف الإسلام من العمل بشكل عام، إلا أن هناك بعض الموضوعات والتي تتطلب مزيداً من التدعيم والتخصيص حيث إنها في وقتنا الحالي قد تثير بعض القلاقل والاختلافات والاجتهادات مثل عمل المرأة، الخلط بين مشروعية بعض الأعمال من عدمه وغيرها من موضوعات، ولاشك أن تضمين ذلك ضمن المناهج وبطريقة متدرجة يساعد على توضيحها بين أبنائنا الطلاب، ومن ثم عدم السماح للبعض بتقويض أفكارهم.

٢ ـ أن متضمنات مناهج التربية الإسلامية في المراحل الدراسية تتحدث في بعض مواضعها عن العمل ولكن ليس بالشكل الذي يساعد على تحقيق الأهداف التي يرمى إليها تجاه هذا الموضوع الهام، ولذا لابد من مراجعة تلك المناهج وتدعيم جوانبها بما يؤكد قيمة العمل ويوضح مفاهيمه.

٣ ـ إن عملية التربية الإسلامية والتي تهدف إلى تنشئة الإنسان المسلم عملية ليست من السهولة بمكان، فهي عملية صعبة، ولاسيما في تلك التغيرات الاجتماعية السريعة، ولذا فإننا قد نظلم أحد التنظيمات إذا عهدنا إليه فقط بها، فالمدرسة برغم أنها أحد الوسائط التربوية الهامة إلا أن دورها لن يتضح، وتصعب مهمتها في غياب مساندة المؤسسات والتنظيمات الأخرى كالأسرة والإعلام وغيرها، لذا ينبغي أن يكون هناك برنامج متكامل يرتكز على أسس تربوية، يصمم ويتابع من قبل لجنة عليا، تضم ممثلي كل التنظيمات المشاركة في تلك العملية وذلك من أجل تحقيق الهدف الذي ترمي إليه تلك العملية.

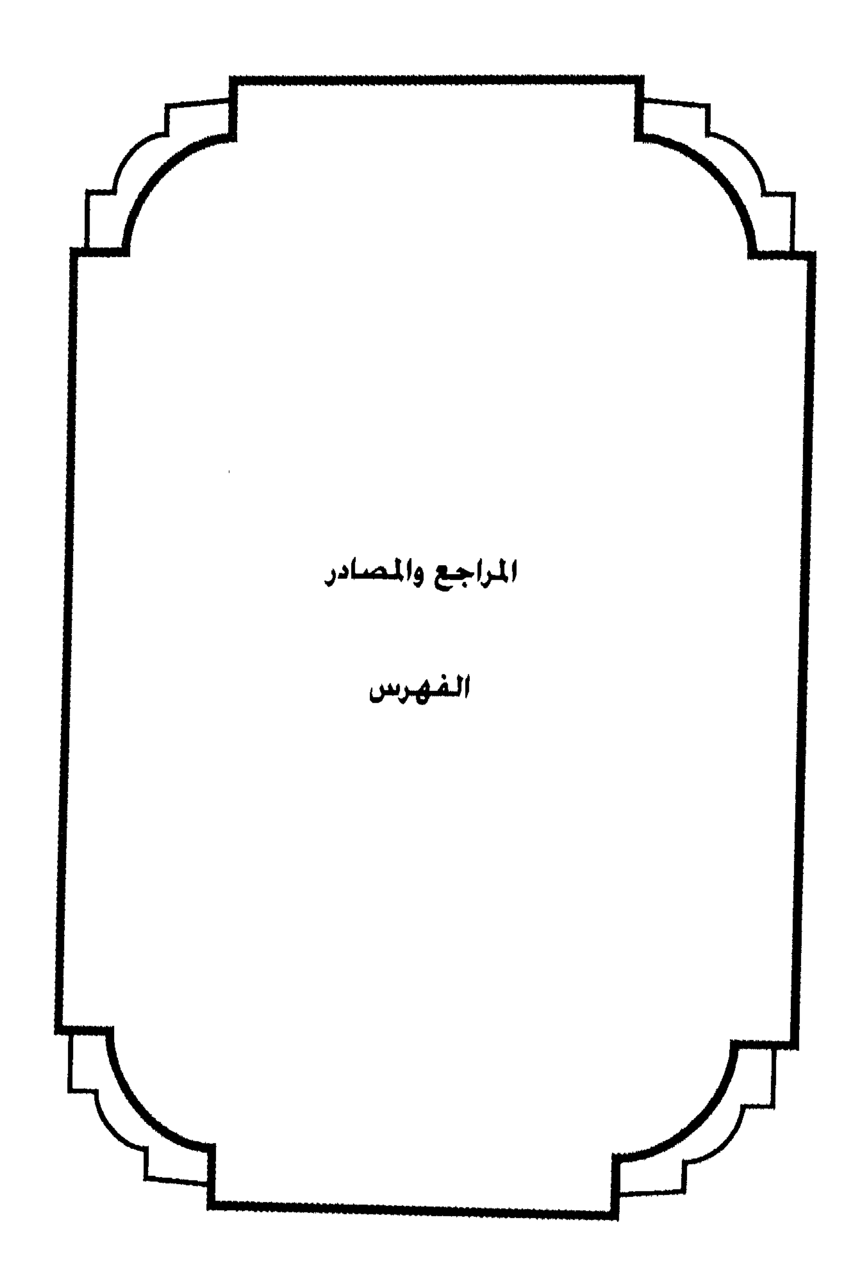
٤ ـ على الرغم من تقدير الأمة الإسلامية لكافة المهن والأعمال التي تقع في دائرة المشروعية إلا أن سيطرة بعض المتغيرات المادية قد أدت إلى انخفاض مكانتها ومكانة العاملين بها [مهنة التدريس على سبيل المثال] ولذا فإن هذا الأمر يتطلب تكاتف الأسرة وأجهزة الإعلام والمسجد والمدرسة في العمل على إعادة مكانة هذه الأعمال نظراً لأهميتها وتقدير الإسلام لها.

٥ ـ مازالت الأعمال اليدوية تحتل الترتيب الأخير في السلم القيمي لمكانات العمل في العديد من مجتمعاتنا الإسلامية على الرغم من أنّ رسولنا الكريم ﷺ، وكذلك صحابته رضوان الله عليهم قد عملوا بها، لذا فإن الأمر يتطلب مزيداً من التوعية والتركيز على مثل تلك القضايا في مشتملات التربية الإسلامية من أجل تعديل اتجاهات أبنائنا تجاه ذلك النوع من الأعمال.

٦ ـ إن الله سبحانه وتعالى قد وهب عباده العديد من القدرات التي تختلف من شخص لآخر، الأمر الذي يجعل هناك اختلافاً في اللياقة المهنية بين سائر البشر، ولذا فإنه من الضروري وقبل التحاق الشخص بعمل ما لابد من اختبار قدراته لمعرفة مدى تواؤمها والعمل الذي سوف يؤديه من أجل ضمان نجاحه وتحقيق راحته النفسية، الأمر الذي ينعكس على عطائه وإخلاصه في العمل.

٧ ـ إن الإثابة والتحفيز من المبادئ الإسلامية التي لابد من الاهتداء بها، لضمان سير العمل في كافة المجالات، ولاشك أن تلك الإثابة، وذلك التحفيز لابد وأن يرتكز على أسس موضوعية للتقويم من أجل ضمان العدالة والابتعاد عن الاحساس بالظلم، ولاشك أن هذا يتأتى من خلال التوصية بتقنين العديد من المحكات والمعايير التي يمكن الاحتكام إليها في هذا الصدد.

٨ ـ إن النجاح في العمل أي إن كان هذا العمل يتوقف وبقدر كبير على تهيئة وإعطاء قدر ملائم من الاهتمام بالعلاقات الإنسانية غير الرسمية والاهتمام بعمليات التكافل والتضامن والتعاون بين العاملين كافة.



المراجع والمصادر

الفهرس

المراجع والمصادر

أولاً: الكتب

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ إبراهيم زيد الكيلاني في الفكر الإسلامي، مطبوعات جامعة الامارات، العين، ١٩٩٠.

٣ ـ إبراهيم سلمان الكردي وآخر، المرجع في الحضارة الإسلامية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٤.

٤ ـ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

٥ ـ أبو الفضل بن منظور وآخر، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ١٩٨٦.

٦ ـ أحمد البقري، العمل في الإسلام، الاسكندرية (ب ـ ت).

٧ ـ أحمد خليل، قضايا معاصرة، مكتبة الفلاح، دبي، ,١٩٨٢

٨ ـ أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، الجزء الرابع، مكتبة النهضة المصرية، (ط١)، القاهرة، ١٩٧٧.

٩ ـ أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجليل، بيروت، ١٩٨١.

١٠ ـ الغزالي، إحياء علوم الدين، جزء ٤.

١١ ـ بهجة المعرفة، موسوعة علمية مصورة، مسيرة الحضارة (م ـ ١) دار المختار للطباعة والنشر، بيروت، سويسرا، ١٩٧٩.

١٢ ـ حسين مؤنس، عالم الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، بيروت، ١٩٨٩.

١٣ ـ حكمت عبدالله البزاز، التربية والعمل منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٥.

١٤ ـ راشد البراوي، التفسير القرآني للتاريخ، دار النهضة العربية، (ط ١) القاهرة (د.ت).



١٥ ـ سعد مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، (ط ٥) القاهرة، ١٩٨١.

١٦ ـ سعيد حوى، الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١.

١٧ ـ شوقي أبو خليل، الحضارة الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٨٧.

١٨ ـ شوقي الساهي، المال وطرق استثماره في الإسلام، مكتب السلام، (ط ٢) القاهرة، (د.ت).

١٩ ـ صالح باقارش وآخر، أصول التربية الإسلامية العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د.ت).

٢٠ ـ صادق مهدي السعيد، العمل والضمان الاجتماعي في الإسلام، (د.ت)

٢١ ـ صحيح البخاري.

٢٢ ـ صحيح مسلم.

٢٣ ـ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، دار القلم، (ط ٢) بيروت، دمشق، ١٩٨٠.

٢٤ ـ عبدالسميع المصري، مقومات العمل في الإسلام، مكتبة وهبة، (ط ١) القاهرة، ١٩٨٢.

٢٥ ـ عبدالله عبدالدائم، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، (ط١) بيروت، ١٩٨٤.

٢٦ ـ عبدالكريم الخطيب، التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته، دار المعارف للطباعة والنشر، (ط٢) بيروت، ١٩٨٥.

٢٧ ـ عبدالمنعم خلاف، المادية الإسلامية وأبعادها، دار المعارف، (ط٢) القاهرة، ١٩٨٣.

٢٨ ـ عبدالمنعم النمر، إلى الشباب في الدين والحياة، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع القاهرة، (د.ت).



٢٩ ـ عز الدين الخطيب، نظرات في الثقافة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.

٣٠ ـ عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ت).

٣١ ـ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، معالم التاريخ الإسلامي، دار الفكر العربي، بيروت (د.ت).

٣٢ ـ عمر التوني الشيباني، أسس التربية الإسلامية، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ١٩٧٨.

٣٣ ـ فاخر عاقل، التربية قديمها وحديثها، دار العلم للملايين، (ط٣) بيروت، ١٩٧٤.

٣٤ ـ محسن عبدالحميد، منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، مؤسسة الرسالة، (ط١)، بيروت، ١٩٨٣.

٣٥ ـ محمد الجمال، موسوعة الاقتصاد الإسلامي، دار الكتاب المصري (ط١) القاهرة، (د.ت).

٣٦ ـ محمد المبارك، نظام الإسلام، الاقتصاد، مبادئ وقواعد عامة، دار الفكر، بيروت، (ط٣)، ١٩٨٤.

٣٧ ـ محمد جواد رضا، العرب والتربية والحضارة، دراسة في الفكر التربوي المقارن، دار الزهراء للطباعة والنشر، (ط١) بيروت، ١٩٧٩.

٣٨ ـ محمد سعيد الشفعي وآخرون، تاريخ الحضارة الإسلامية، وزارة المعارف، (ط٢) السعودية، ١٩٧٩.

٣٩ ـ محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، (د.ت).

٤٠ ـ محمد فاضل الجمالي، نحو تجديد البناء التربوي في العالم الإسلامي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.

٤١ ـ محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة والنشر، (ط٢) (د.ت).



٤٢ ـ محمود السيد سلطان، مفاهيم تربوية في الإسلام، دار المعارف، مصر، ١٩٨١.

٤٣ ـ محمود مهدي الاستانبولي، عظمة الإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.

٤٤ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.

٤٥ ـ نعمت إسماعيل، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

٤٦ ـ هنري أرفون، فلسفة العمل، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، باريس (د.ت).

٤٧ ـ يوسف النبهاني، الفتح الكبير في الزيادة على الجامع الصغير للسيوطي.

٤٨ ـ سنن أبي داوود.

٤٩ ـ سنن ابن ماجه.

٥٠ ـ أبو بكر أحمد السيد، رسالة إلى المدرسين والمدرسات، المديرية العامة للمطبوعات الكويت، (د.ت).

٥١ ـ جابر عبدالحميد وآخر، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٣.

٥٢ ـ دينيس تشايلد، علم النفس والمعلم، ترجمة عبدالحليم محمود وآخرين، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٨٣.

٥٣ ـ السيد محمد خيري، الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٥.

٥٤ ـ عبدالباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، مطبعة وهبة، القاهرة، ١٩٨٥.

٥٥ ـ عبدالرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، الرياض، ١٩٧٩.



٥٦ ـ عبدالرشيد عبدالعزيز سالم، طرق تدريس التربية الإسلامية، وكالة المطبوعات (ط ٣) الكويت، ١٩٨٣.

٥٧ ـ لويس عوض، الجامعة والمجتمع الحديث، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

٥٨ ـ محمد أحمد عبدالهادي، المربي والتربية الإسلامية، دار البيان العربي للطباعة والتوزيع، جدة، ١٩٨٤.

٥٩ ـ محمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

٦٠ ـ محمود مصطفى زيدان، الكفاية الإنتاجية للمدرس، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨١.

٦١ ـ محمود رشدي خاطر وآخرون، طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات الحديثة (ط ٤) ١٩٨٩.

٦٢ ـ محمود ماهر زيدان، الثواب والعقاب في التربية، تأصيل إسلامي تربوي، مؤسسة الندوة، دبي، ١٩٩٠.

٦٣ ـ محمود أحمد عجاوي، التعليم في دولة الامارات، مكتبة الإمارات، العين، ١٩٩١.

٦٤ ـ الموطأ للإمام مالك.

٦٥ ـ يوسف الحمادي، أساليب تدريس التربية الإسلامية، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٧.

ثانياً: البحوث والدراسات:

٦٦ ـ إسماعيل الفاروقي، ندوة بعنوان الإسلام والعمل، منظمة المؤتمر الإسلامي، الأمانة العامة، جدة، المملكة العربية السعودية، (د.ت).

٦٧ ـ رفعت العوضي، الإسلام والنظام الاقتصادي الدولي الجديد، البعد

الاجتماعي، ندوة بعنوان اقتصادات العمل والأجر في الإسلام، منظمات المؤتمر الإسلامي، الأمانة العامة، السعودية، (د.ت).

٦٨ ـ منصور رجب، مذكرات غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٥.

٦٩ ـ أنيسه (أجنس) حنانيا، تمهيد التعليم وإمكانات تطبيقيه في البلدان العربية، بحث منشور، المؤتمر التربوي العربي، تربية المعلم العربي في القرن الحادي والعشرين، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، عمان، الأردن، ١٩٩٥.

٧٠ ـ رفيقه مسلم حمود، تكامل سياسات وبرامج تدريب المعلمين قبل وأثناء الخدمة، بحث منشور، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، تونس، ١٩٨٧.

٧١ ـ سامي عبدالرازق عدوان، علي حسن حبايب، الكفايات المهنية للمعلم العربي في القرن الحادي والعشرين من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية، المؤتمر العربي، تربية المعلم العربي في القرن الحادي والعشرين، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، عمان، الأردن، ١٩٩٥.

٧٢ ـ فائز بن علي الحاج، التوافق المهني للمعلم، «الواقع والتطلعات» بحث منشور، المؤتمر التربوي العربي، تربية المعلم العربي في القرن الحادي والعشرين مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، عمان، الأردن، ١٩٩٥.

٧٣ ـ ماهر فاضل، مهدي حسين، كفاية أداء المعلمين حديثي الخبرة في مدينة عدن من وجهة نظر الموجهين الفنيين، بحث منشور، المؤتمر التربوي العربي، تربية المعلم العربي في القرن الحادي والعشرين، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، عمان، الأردن، ١٩٩٥.

٧٤ ـ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، توصية بشأن أوضاع المدرسين، سكرتارية منظمة الأمم المتحدة، باريس، ١٩٦٦.

٧٥ ـ مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، وثيقة العمل الرئيسية،

ورشة العمل الإقليمية حول تمهين التعليم وإعداد المعلمين وتأهيلهم وتدريبهم، عمان، الأردن، ١٩٩٥.

٧٦ ـ نزار مهدي الطائي، التفضيل المهني والاختيار المهني وعلاقته ببعض السمات، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كليه التربية جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٦.

٧٧ ـ نفيسه أحمد حسن، العلاقة بين الميول المهني والاختيار المهني، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، , ١٩٧٥

ثالثاً: المجلات والدوريات:

٧٨ ـ عبدالسلام أحمد غيغو، بحث بعنوان: صيانة أجور العمال في الشريعة الإسلامية، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السعودية، (د.ت).

٧٩ ـ عيسى عبده، بحث بعنوان «تشغيل النساء»، مجلة الاعتصام، عدد رمضان، القاهرة، ١٩٨١.

٨٠ ـ خليل أبو حطب، ورقة عمل في مهارة استخدام الأسئلة في التعليم الصفي، مجلة التربية، وزارة التربية والتعليم، دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد ١٢٦ ـ ١٢٨، مارس، أبريل، مايو، ١٩٩٥.

٨١ ـ عادل عبدالفتاح سلامة، توطين التعليم وتمهينه في دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة ميدانية لقيود الواقع وطموحات المستقبل بحث منشور، مجلة التربية، الإمارات العربية المتحدة، العدد ١٢٦ ـ ١٢٨، مارس، أبريل، مايو، ١٩٩٥.

٨٢ ـ عبدالسميع الديب، مقال بعنوان: جدد عطاءك في التخطيط الدرسي، مجلة المعلم، العدد ٦١، جمعية المعلمين، الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، أكتوبر، ١٩٩٥.

٨٣ ـ محمد إبراهيم الوليلي، ورقة عمل عن الدور الاجتماعي للمعلم في ندوة الدور المتغير للمعلم بالتعاون مع كلية التربية جامعة الإمارات، مجلة التربية، العدد



١٢٦ ـ ١٢٨، مارس، أبريل، مايو، ١٩٩٥.

رابعاً: اللوائح:

٨٤ ـ لائحة التوجيه التربوي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٠.

الفهرس



هذا الكتاب

في إطار تزايد أهمية دور المدرسة في عملية التربية الإسلامية وتعاظم دور المعلمين، باعتبارهم المنوط بهم تحقيق ذلك وامتداد دورهم، خاصة في أعقاب ما أدى إليه التغير الاجتماعي من اهتزاز بناء ووظيفة الوسائط التربوية الأخرى، فإن المؤلف في هذا البحث الذي نال بموجبه على شهادة الدكتوراه من أكاديمية العلوم بأذربيجان، يحاول التعرف على تأثير التربية الإسلامية التي حصل عليها المعلمون سواء في عمليات التنشئة الاجتماعية أو أثناء اعدادهم المهني على كفاءة أدائهم.

يقوم البحث على مسح التراث النظري الإسلامي المتعلق بالموضوع، ويرصد الواقع العملي من خلال دراسة ميدانية تكاملت خطوات منهجها العلمي، متخيراً مدينة الشارقة بمدارسها المتعددة كمجال جغرافي بحكم خبرة المؤلف بمجالها التعليمي وادراكه لخصائصه بوصفه مديراً لمنطقتها التعليمية.

